History: Syriacs
Beth Mardutho Library

عنوان المؤلف :
ابراهيم كبرائيل صومي
صندوق البريد ٥٩٤٦
سان باولو ـ البرازيل

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܫܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܒܝܬ ܕܝ̈ܢܐ
ܘܕܚܝܠܐ ܡܢ ܒ̈ܢܝ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܡܝܐ ܕܢܣܒܘ ܢܦܠ ܐܘ
ܟܠܗ ܠܗ ܫܪܐ ܠܐ ܢܣܒܘ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܪܐ ܒܝܬ
ܒܟܬ̈ܒܘܗܝ ܒܪܡܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ابراهيم كبرائيل صومي

كتاب المقالات

في

الامة السريانية

مطبعة صفدي التجارية
منشئها جميل صفدي

سان باولو ـ البرازيل

١٩٧٩

فهرس الكتاب

اهداء الكتاب ٧

المقدمـة ٩

المقالة الاولى

تكوُّن الامة السريانية ١٧

المقالة الثانية

معجزات الامة السريانية الثلاث: الثقافة، الدين، المدنية ٦٥

القسم الاول ٦٥

القسم الثاني ١٠٧

حكاية الملك طاووس او سقوط الشيطان ١٢٩

حكاية النسر والحية او الصديقين المتناقضين ١٣١

القسم الثالث ١٥٦

المقالة الثالثة ١٨٦

المقالة الرابعة ٢٠٨

المقالة الخامسة

مراحل الامة حول دورتها الزمنية

بدء المرحلة الاولى او نقطة الانفصال ٢٥٧

المرحلة الاولى ٢٥٨

المرحلة الثانية ٢٥٩
المرحلة الثالثة ٢٦٠
المرحلة الرابعة ٢٦١
المرحلة الخامسة ٢٦٤
المرحلة السادسة ٢٦٦

مصادر الكتاب ٢٧٣

الرسوم

شكل مراحل الامة السريانية ١٦
آشور نصري بال ملك اشور ١٠٦
فتاة سريانية اشورية ١٥٥
الثور المجنَّح ٢٠٧
الاله اشور ٢٧٢

اهداء الكتاب

اهدي كتابي هذا الى ابناء المجتمع السرياني العربي الناطقين بلغتي السريان والعرب

ابراهيم كبرائيل صومي

سان باولو في ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٧٨

المقدمة

استحقت الامة السريانية ان تكون خالدة ومؤبدة بكيانها حتى الان بسبب قدميتها واسبقيتها لجميع امم الارض ثقافياً ومدنياً، إذ بها نمت اولا مباديء المدنيـة العالمية وثقافتها المتوارثـة، وامتدت الى جميع اقطار المسكونة بهمة عناصرها واقوامها، وشعوبهـا وممالكها التي استوطنت منذ البدء، وازدهرت في اقاليم اسيا الغربية الممتدة من إيران الى البحر الابيض المتوسط، منذ ختـام العصور الحجرية، تلك الاقوام التي من تكاثرهـا ونموها وازدهارها تكونت الشعوب القديمة المتقاربة والمتآخية عنصرياً، كالاكاديين، والسومريين، والاشوريين، والبابليين، والاراميين والكنعانيين والفروع الخارجة منها مثل الكلدانيين والعبرانيين، والعاموريين والفينيقيين الذين من مجموعهم واتحادهم التدريجي تكونت الامة السريانية اثناء مراحل حياتهـا التاريخية لالوف السنين قبل الميلاد. واثناء تطوراتهـا الزمنية المتواصلة مرّت امامها أمم وشعوب كثيرة وعبرت الى النهايـة، واما هي فقد بقيت تسير حثيثاً في مضمار الحياة تكيّف في بيئتها ومحيطها شتى الوسائل الثقافية والانظمة المدنية طبقاً للاحوال المحيطة والمارة بها الى ان تفوّقت على معظم تقلبات الازمـان ووصلت الى وضعهـا الحالي المكوّن من عدة طوائف وملل دينية والتي منهـا الان طوائف السريان الكلدان، والسريان الاشوريين، والسريان الموارنة، والسريان الكاثوليك، والسريان الارثوذكس. وما زالت جميع هذه الطوائف متمسكة بتقاليدها

الوراثية وبلغتها السريانية مع المواظبة في خدماتها لمدنية البشرية وثقافتها. وستبقى حيّة وخالدة ما دام مفعول حسنات خدماتها هذه سارياً في حياة البشرية او حياة أممها وشعوبها المتمدنة.

من المعلوم والمعروف ان الامم والشعوب تحيا وتعيش اعماراً قصيرة او طويلة حسب مقدار او صلاح فوائد خدماتها الثقافية والمدنية لها وللبشرية. والامة السريانية سبقت جميع أمم الارض، ليس بقدميتها في الحياة فحسب بل وايضا في كثرة خدماتها المتوالية وعظمة فوائدها المتزايدة للمدنية والثقافة البشرية بحكم طول حياتها وبقائها، وخاصة اثناء ثلاث مراحلها الحيوية وهي الاولية والاوجية والانهيارية، قبل ان تصل الى ما هي عليه الان من حالة الانظمة الطائفية والملل الدينية عَلَى الرغم من انه ما زال معظم ابنائها يقيمون ويتعايشون في اوطانهم الاصلية بعدد يتراوح بين الثلاث والاربع ملايين من الانفس المنتشرة بين شعوب الدول العربية الحديثة (العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين)، الذين هم ايضاً يعودون اصلاً الى الارومة السريانية القديمة وشعوبها المذكورة انفاً.

ولقد انفردت هذه الامة في قيادة البشرية ثقافياً ومدنياً لعدة الوف من السنين وسبقت وتزعّمت قبل كل الامم الادارة العالمية والمدنية البشرية والسياسة الزمنية لمدد عديدة وطويلة تُقدّر بنحو ٨٫٠٠٠ سنة ممتدة منذ ختام العصور الحجرية حتى انهيار مجدها الزمني في مراكزها الرئيسية مثل اشور (سنة ٦٠٦ قم) وبابل (سنة ٥٢٨ قم). وبعد ذلك فقدت الامة، او بالاحرى، اعتزلت عن تلك الادارة الزمنية وتركتها لغيرها من الامم والشعوب اللاحقة، كالفرس واليونان والرومان وغيرهم من بعدهم. وحصرت جهودها في ناحية خدمة البشرية عن طريق الثقافة والتهذيب

الديني لاجل تعميم الفضيلة الحسنة بين البشر وتوطيد حياة الامن والالفة بواسطة تعميم المحبة والسلام بين جميع الطبقات البشرية.

بيد انها، بعد فقدان تلك الزعامة السياسية وقيادة إدارة العالم بسبب انهيار مجدها الزمني في اشور وبابل، نتيجة انتهاك قواها الزمنية في خدمة البشرية ومدنيتها، اختفى الكثير من معالمها المدنية تحت طيات الارض والاطلال وخرِّبَ مدنها بسبب كثرة الغزوات الهمجية من الخارج وكثرة الفتوحات والحروب الهدامة للبلاد بين الغزاة داخل تلك الاوطان لمدد طويلة. ومع ذلك كله فانها استمرت بسيرها الحثيث ثقافياً في مضمار الحياة اثناء الاجيال اللاحقة لانهيارها الزمني. ودامت تحيا وتعيش وهي تمدّ البشرية بخدماتها الثقافية والتهذيبية. لقد اغتنم بعض كتّاب الامم والشعوب المعاصرة لانهيارها، مثل العبرانيين واليونان والرومان وحاولوا إخفاء او انكار خدمات هذه الامة ثقافياً ومدنياً للبشرية، مدعين ذلك لانفسهم واقوامهم، وزاعمين انها لدى انتقالها من التسمية «الارامية» الى التسمية «السريانية» في فجر النصرانية كان بعض المتعصّبين للنصرانية قد هدموا او خرّبوا وابادوا جميع المعلومات الثقافية او الكنوز العلمية والتآليف العائدة «للآرامية» التي اعتبروها حالة وثنية جاهلية، وبادعائهم ذلك اوجدوا بعض التشويه في تاريخ الامة السريانية والتحريف في تاريخ العالم القديم. وكاد العالم ينسى ويتجاهل الحقائق التاريخية عن تطورات هذه الامة وكونها المصدر الاول لنشؤ ونمو المدنية العالمية، لولا ان كشف المنقبون الاثريون في القرنين الاخيرين الستار عن الاثار والتحف الثقافية الكثيرة التي تركها قدماء السريان والتي تدل بصراحة على عظمة محاسن جهود هذه الامة وسعيها العظيم لتثقيف وتمدين البشرية. وظهر للملاء بل وثبت

بطلان تلك الادعاءات، وتحقق ان ثقافة تلك الاقوام المدعية لم تكن إلا فروعاً انسلخت من شجرة الثقافة والمدنية السريانية التي غطّت بفروعها الكثيرة والمزدهرة والمثمرة جميع اقاليم الارض شرقاً وغرباً، شمالا وجنوباً.

وكنتيجة لمكتشفات تلك الآثار السريانية العديدة، وتحفها التاريخية الثمينة التي لا تُعد ولا تحصى والتي ملأت متاحف الامم المتمدنة، حصل بعض الانتباه كنهضة ثقافية ليس الى امم وشعوب الارض فحسب بل ايضاً الى طوائف وملل الامة السريانية التي تشكّل الان مجموعة كبرى بين سكان الدول العربية الحديثة، والدول الاسلامية المجاورة مثل تركيا وإيران او العجم. وثبت ان السريان الحاليين يعودون اصلاً الى اتحاد الشعوب السريانية القديمة مثل الاكاديين والسومريين، والاشوريين والبابليين، والاراميين والكنعانيين، الذين من صلبهم تكونت الامة السريانية بهمة ونشاط وجهود ملوك بابل مثل سركون الاول وعمورابي، وثم ملوك آشور، مثل شلمن آسر الاول (١٢٧٣ ق‌م). وتغلت بل آسر الاول (١١٢٠ ق‌م). واسرحدون وآسور بني بال، وغيرهم الذين سميوا مع شعوبهم آسوريين او السريان بالنسبة الى آسور او اسور المنحرف اصلاً من آشور او آشر. ولقد غلب استعمال هذا الاسم تدريجيّاً الى ان اصبح اسماً قومياً لجميع ابناء تلك الشعوب المتآخية والمتقاربة العناصر والمذكورة انفاً، بالرغم من جميع التسميات الأخرى القديمة ومعها التسمية الارامية والبابلية والكنعانية وغيرها التي انحصر استعمالها في كتب ذكريات التاريخ، كل ذلك بسبب نشاط الشعب الاشوري وتفوّقه او تزعُّمه الاداري والسياسي لعدة قرون، كما ان الاوطان السريانية ايضاً بجميع اقسامها وامتدادها

الواسع والشاسع سمّيت باسمهم هذا، اعني انها عُرفت باسم اسوريا او سوريا المنحرف ايضا من اسم آسور او اشور، الى ان اخيراً ثبتت وتوطّدت هذه التسمية الأخيرة للامة السريانية واوطانها في الخمسمئة سنة السابقة لفجر النصرانية وبها عُرفت خاصة لدى الشعوب الفاتحة والمحتلة للاوطان السريانية كالفرس واليونان والرومان وثم العرب والاتراك.

والان نزولاً عند رغبة الكثيرين من ناطقي اللغة العربية، والحاح ابناء جلدتي من ناطقي اللغة السريانية، اقدم هنا بعض الايضاحات او المعلومات الدالة على تطورات تاريخ هذه الأمة الخالدة بشكل مقالات التي منها يمكن للقراء ان يطلعوا على حقيقة تطوّر الثقافة والمدنية السريانية وامتدادها الى امم وشعوب الارض، ودحض اراء المدعين الذين اتهموا الامة السريانية بانها لدى اعتناقها النصرانية وانتقالها الاخير من التسمية «الارامية» العامة، الى التسمية «السريانية» اتلفت ما كان لديها من المؤلفات العلمية والتحف الثمينة العائدة لازمنة الوثنية او الازمنة الجاهلية السابقة للنصرانية. وقد ثبت الان وتحقق بطلان ذلك الادعاء الذي اختلقه المدعون لمراميهم، ذلك لان الامة ليست شخصاً واحداً لتتخذ قراراً مثل ذلك وتنفذه كما انه لم يكن من الممكن لتلك الأمة المتقدمة والمزدهرة مدنياً وثقافياً التي كانت تُعد انئذٍ بعشرات الملايين من الانفس، وهي منقسمة راضخة لحكم ونير الاجانب والأغراب كالفرس والرومان، ان تُقدم او تقبل على مثل ذلك العمل المخجل، او ان تتفق وتجمع الرأي فتقرر بفم واحد، بين ليلة وضحاها، وتقوم باتلاف وإبادة ما ابدعته افكار وايدي الاباء والاجداد من جمال فنون وعلوم ثقافية، واعمال مدنية نتيجة جهود الاف السنين لمجرّد اعتناق البعض من المتعصبين مبادىء النصرانية.

إلا ان مما لا ريب فيه هو ان قسماً من ذلك الخراب جاء تدريجياً مع سير العصور الكثيرة، ليس عن يد السريان بل عن يد الغزاة الخوارج او الامم والشعوب الفاتحة التي احتلت الاوطان السريانية، وعاثت فيها الفساد والدمار، الى ان قضت على الكثير من محاسن المدنية السريانية، وخاصة في المـدة الممتدة بين الستمئـة سنة السابقة لفجر النصرانيـة، والمـدة المنتهية في اوائل المئة السابعة الميلادية، التي من بعدها، او بسبب ذلك الخراب والدمار، تحوّلت اخبار وتواريخ الامة السريانية الى شكل طلاسم عويصة الفهـم، او قصص مبهمـة، واساطير وخرافـات بعيدة عن الفهـم والادراك. ومن بعد تلك المدة المشؤومة دخلت البشرية ايضاً مع شعوب الامة السريانية في ازمنة العصور المظلمة السابقة للعصور الوسطى، وكل ذلك بسبب انتهاك قوّة الكيان السرياني، ذلك الكيان الذي كان يشكّل قسماً كبيراً من سكان الارض، وآل نحو الضعف والانحلال الزمني لفقدانه حريته وحرية اوطانه، الى ان وقعت الامة في الحالة الطائفية الحالية، مع اندماج اقسام كبرى منها وجماهيرها العظيمة في العناصر الغريبة او الشعوب الدخيلة والمجاورة.

ورغم كل تلك التقلبات الزمنية، وما تعرّضت اليه الامة السريانية من الصعوبات والاضطهادات التي ادت الى اندحارها وانهيارها، ولكن ليس الى الانقراض والفناء، او الزوال النهائـي، كما زالت من الوجود غيرها من الامم وانقرضت نهائياً، فانها احتفظت بالكثير من غناها الثقافي او العلمي في احضان طوائفها ومللها الدينية المتعددة التي ناولت قسماً كبيراً منها للشعوب العربية ومدنيتهم الاسلامية، عن طريق النقل والترجمة. وهؤلاء ايضاً وبدورهم نقلوها اثناء العصور الوسطى الى الشعوب والامم

الشرقية والغربية، وبها صار انتباه وانتعاش عام للثقافة والمدنية العالمية الحالية وخاصه للعالم الغربي· ومثل باقي اقسام البشرية، فان ابناء الطوائف السريانية ايضاً دخلوا في نهضة ثقافية لاحتفاظهم بالكثير من مواريث عن الثقافة السريانية مع تداول اللغة السريانية بين جميع طوائفها هذه اللغة التي كانت وما زالت السبب المباشر لبقاء الكيان السرياني في حياة الخلود والابدية·

وبناء على هذه المعلومات يمكننا ان نعلم بان ثقافة الامه السريانية اصبحت خميرة صالحة ابدية لتخمير وتخصيب المدنية العالمية وقوة ظاهرة لتسيرها نحو الازدهار· ولذلك يقول المستشرقون وخاصة علماء التاريخ· إن صدف واختفت فجأة من بين الامم المتمدنة الاحرف الابجدية (الف باء)، التي هي إحدى مواهب الثقافة السريانية للانسانية ومدنيتها، وبطل استعمالها من بين البشر لمدة قصيرة من الزمن، ترجع البشرية الى حياة الهمجية والبربرية او حياة الغابة التي فيها قد يفترس الانسان اخاه الانسان· وقالوا ايضاً، اذا فقد الكتاب المقدس من العالم تجده في مراسيم الكنائس السريانية

وختاماً آمل من وراء هذه المقالات المدرجة في هذا الكتاب ان يتكوّن رأي حقيقي للقراء الكرام عن مجرى التاريخ، فيحصلوا على نظرة حقيقية لتاريخ الامة السريانية الخالدة وعلاقاتها مع تاريخ البشرية، ويقدّروا فوائد خدماتها للمدنية والثقافة العالمية الامر الذي بسببه استحقت ان تكون امة خالدة ومؤبدة، تسير مع خلود البشرية ومدنيتها·

مراحل الامة السريانية وتطوراتها اثناء ١٥ الف سنة من تاريخها الرئيسية على وجه الارض

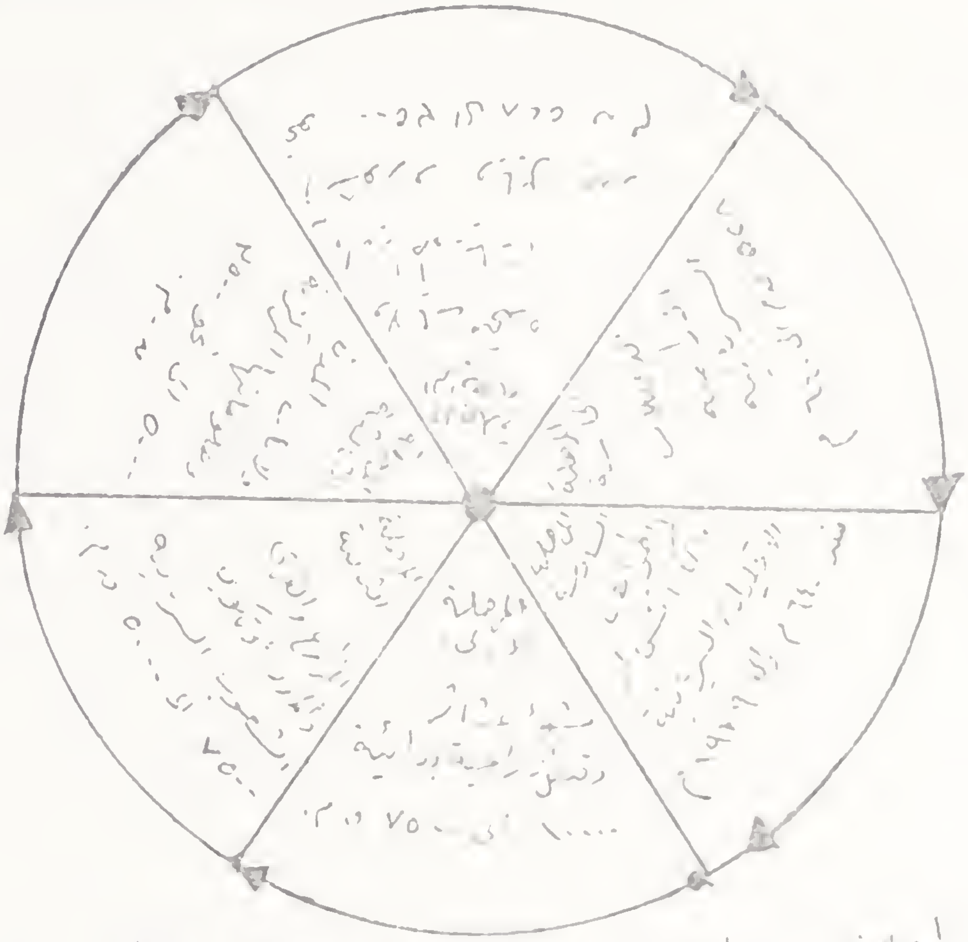

تغطية الزمن من ازمنة العصور الحجرية الاخيرة للسريان الى الازمنة الحديثة

الثلاث حقبات لتطور حياة الامة السريانية

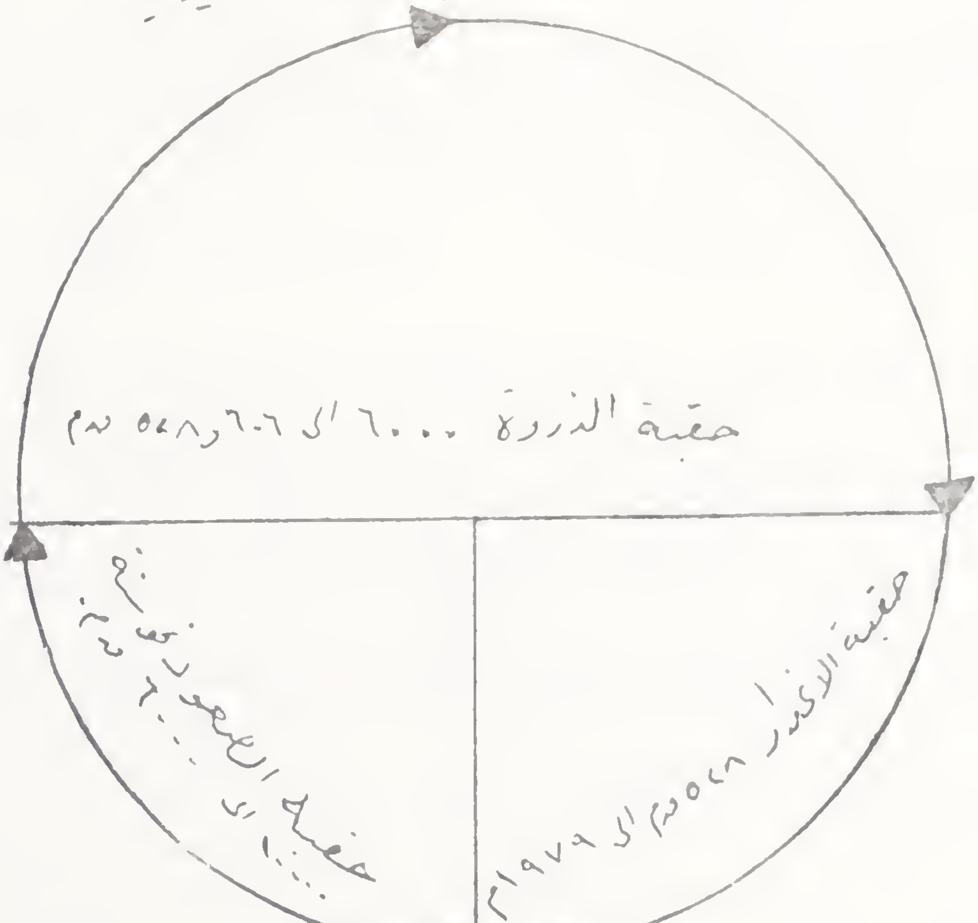

المقالة الاولى

تكوُّن الامة السريانية

من المعلومات التاريخية المبيّنة في الكتب الدينية، واثار الاقدمين. يمكننا ان نتبيَّن كيف ان المدنية العالمية الحالية نشأت وبدأت تنمو منذ نحو عشرة الاف سنة في الأوطان السريانيه القديمه الممتدة من اواسط بلاد عيلام وفارس شرقاً الى الشواطيء الشرقية من البحر الابيض المتوسط غرباً، ومن اقاصي شمالي ما بين النهرين العليا وسوريا وشرقي آسيا الصغرى، او من منابع الفرات والدجلة، الى الخليج العربي جنوباً، بفضل جهود «الشعوب السريانية» المدعوة عادة باسم «الشعوب السامية الشمالية». ففي القسم الشمالي من تلك الاوطان او البلاد المعروفة سابقاً باسم آثور، بمعنى المكان او الوطن، والتي عُرفت ايضاً باسم آشور او آسور، بمعنى البدء او البداية، هنالك بالذات بزغت ونمت ونضجت وازدهرت اول مدنية عالمية منذ الالف التاسع ق.م. ومن ثمّ انحدرت جنوباً الى منطقة ما بين النهرين السفلى، وخاصة سهل سنعار او سهل «ضوء القمر»، حيث ظهرت دولتا سومر واكاد. وقد ثبت ان ذلك الامتداد المدني من الشمال الى الجنوب تمّ تدريجياً بين الالفين السابع والسادس ق.م. الى ان تكوّنت من اتحاد سومر وآكاد المملكة او الدولة البابلية مقابل المملكة او الدولة الاشورية او الاسورية في بلاد آثور، في الشمال. وفي هاتين الدولتين واوطانهما، في اثور وبابل، ظهر فيما بعد الشعبان الارامي والكنعاني. وبما ان بعض قبائل هذين الشعبين الاخيرين كانت كثيرة

التنقّل والتردد داخل الاوطان السريانية وخارجها، لا بل كثيرة الحلّ والترحال بين الاراضي السهلة والجبلية، وبين البراري والصحاري• وبحكم صلات القرابة العنصرية، فقد كان الاراميون والكنعانيون كثيري الاختلاط باخوانهم الاشوريين والبابليين والاندماج فيهم• وهكذا وُجدت في الأوطان السريانية القديمة بعد اتحاد سومر وآكاد اربعة شعوب سريانية رئيسية هي : الشعب الاشوري، والشعب البابلي (اؤ الكلداني) والشعب الارامي والشعب الكنعانـي• ومن اختلاط هذه الشعوب الاربعـة بعضها ببعض واتحادها معاً تكونت الامـة السريانية بعد الطوفان الكبير الذي وقعت احداثه بين الالفين الخامس والرابع ق•م• وقد انتظمت شعوب هـذه الامة بنوعين من المعيشة : فاوجدت المدنيـة الثابتة، وهي مدنية الزراعة وفلاحـة الارض او مدنية المدن والقرى والارياف المحاطـة باراضي الفلاحة والزراعة وتربية المواشي، والمدنية المتنقلة، او مقابل لهـا مدنية اهل الباديـة والرعاة او سكان الخيام المتنقّلين مع مواشيهم ومقتنياتهم بين الصحارى والبراري، وبين السهول والجبال• ومع تطور حيـاة تلك الشعوب الرئيسية التي عُرفت ايضاً باسـم «الشعوب السـامية الشماليـة»، انحـدرت منهـا وظهرت شعوب صغيرة أُخرى كالعاموريين والفـينيقيين والكنعـانيين والكلـدانيين والآدوميـين والعـبرانيين والعامونيين والموآبيين والمديانيين والاسماعيليين، وغيرهم ممن جاء ذكرهم في كتاب التوراة• وهـذا كله بين الالفين الثالث والثاني قم• وادّى تطور الحياة الاجتماعية لهذه الطوائف السريانية الاصل وتكوينها الى نشأة نواميس الاديان السماوية وما نتج عنها من اداب ومدنيات فضلى سارت بالبشرية عامة نحو افضل انواع الحياة الاجتماعية التي عَلَى ضوئها تسر الان المدنة العالمبة•

ان جميع تلك الشعوب القديمة التي منها تكوّنت الامة السريانية، عَلَى مدي الاحقاب والعصور، كانت تنشأ وتنمو مع لهجاتها المحلية، وتزداد وتتكاثر في محيطها، او ما تجاوزه، وفقاً لسنة التقدم او حسب الناموس القائل «اثمروا واكثروا واملأوا الارض» (تك ٩ : ١) وبموجب تطور انظمة اجتماعية اوجدوها مبنيّة عَلَى اراء وعقائد دينية كانت توجههم نحو الايمان بوجود قوات الهية موحّدة هي مصدر كل حياة. ومن تلك العقائد وذلك الايمان بالوحدانية الالهيـة، تكونت تدريجياً لـدى الشعوب السريانية نواميس وعوائد وتقاليد، وعلوم وثقافات، وصنائع وفنون، كانت تنظم حياة تلك الشعوب وتسيرهـا نحو التقدم المدني والثقافي. ومـا ان حلّ الالف الرابع قبل الميلاد حتى كانت مدنية السريان وثقافتهم قد نضجتا ووصلتا الى اوج العظمة والكمال بالنسبة الى سائر شعوب العالم القديم. وبعد ان شملت مدنيتهـم معظم البـلاد السريانية، بسكانها واقطارها واقاليمها، اخذت في الامتداد غرباً نحو افريقيا واوروبا، وشرقا نحو الهند والصين، منذ الالف الثالث ق.م. وفي معظم تلك العصور الغابرة كانت الاوطان السريانية في اثور وبابل وسوريا المصادر الرئيسية لانبثـاق التطورات الثقافية والدينية والمدنية، كما ودامت لتلك المناطق السريانية الزعامة السياسية وقيادة دفة الادارة العالمية مدنيا وثقافيا لمدة نيفت عَلَى سبعة الاف سنة، اي منذ نهاية العصور الحجرية الى ايام انهيار دولتي اثور وبابل في سنة ٦٠٦ و ٥٣٨ ق.م. ومن بعدها تحوّلت إدارتهـا السياسية الى حكم شعوب وامم أُخرى غير سريانية كالفرس واليونان والرومان والعرب والاتراك. اما الاوطان السريانية القديمة حيث يعيش الان نحو اربع ملايين من السريان، تنقسم الى ثلاثة اقسام كبرى تحكمها ثلاثة شعوب،

هي الفرس والاتراك والدول العربية الحديثة كالعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين.

ومن الصعب ان نفهم كيفية نشوء الاديان السماوية العليا وتطورها وما نتج عنها من الثقافات والمدنيات العالمية الدارجة حتى الان دون العودة الى درس تطوارت تاريخ الامة السريانية وبحثها، وتحليل معاني الاسماء والاصطلاحات الدينية وترجمتها، واعادتها الى اصولها السريانية ذلك لان العلوم الدينية السريانية اثناء نقلها الى الاقطار الخارجية وانتشارها فيها بصورة طبيعية تعرّضت الفاظها ومعانيها الى بعض التغييرات اللفظية والمعنوية حسب الزمان والمكان او حسب المحيط الذي حلت فيه الى ان اضحت عَلَى مر العصور مبهمة المعاني، كثيرة التعقيد، صعبة التفسير، مما ادى ايضاً الى بعض التشويش والتعقيد في المفاهيم الدينية، ونتج عن ذلك تعدد المذاهب والمعتقدات الدينية. وبالعودة الى تحليل المعاني والاصطلاحات الدينية وتفهمها بواسطة اللغة السريانية التي لا تخلو لغة من تأثيرها، يمكن فهم المعاني والاصطلاحات القائمة حتى الان في الاديان السماوية المنتشرة بين شعوب الامم المتمدنة، او الامم الراقية مدنياً وثقافياً.

وما زال الكثيرون من المثقفين حتى الان لا يفهمون معاني العديد من الكلمات المأخوذة اصلاً عن اللغة السريانية والمتداولة حالياً بين شعوب الارض وامها المتمدنة والمنسوبة الى توجيهات الاديان الالهية مثل : ايل، وبعل، والله، وايّا، ويهوى، واهيه اويه، وريمون او رعمون واشور او آسور، ومسيح، وهملقر، وارام، وابولو، وهانيبل او حاني بال، وروما، ومكة، وبغداد، وحمورابي، وسركون، ويوسف، ويسوع، وصفى، وطياميت وابشو، ومامو، وكمن كاي، وادم، وبلطشاسر او بعل وآسر،

وأليسار او ايلي سار، وايشبال، وكلكمش، ونوح، واثنافشنيم، وأرخ، وانسان، ورحمان،وفرقان، وقرآن،وميخائيل،وكبرائيل،ودانيال، وحزقيال، وكرنفال، ومسخرة، واسماءأخركثيرة لا تعد ولاتحصى ولا يمكن فهمها بسهولة دون العودة الى شرحها وتفسيرها باللغة السريانية المأخوذة عنها لدى امتداد هذه اللغة الى الشعوب القريبة والبعيدة منذ العصور القديمة، مع الاخذ بعين الاعتبار للتطورات الدينية والمدنية التي تعرض لها معظم حوادث امم العالم القديم بعد حوادث الطوفان الكبير وتشييد برج بابل وتفرّق لهجات الشعوب السريانية ولغاتها في سوريا وما بين النهرين وامتدادها التدريجي الى الاقطار المجاورة والبلدان الشرقية ومنها الى اوروبا وافريقيا. ان ذلك الامتداد التدريجي عُرف باسم تبلبل اللغات والالسنة، وكان بمثابة اوّل ثورة عالمية ادّت الى انتشار المباديء الدينية والمدنية السريانية في كل اقطار العالم القديم وبين سكان الارض الذين كانوا رازخين تحت ثقل العصور الحجرية وجهلها وظلامها، بينما كان قد مضى زمن ينيّف عَلَى اربعة آلاف سنة عَلَى نشوء المدنية والدين والثقافة وتطورها في الاوطان السريانية حسبما يظهر لنا من الاثار والتحف التاريخية التي تركها لنا قدماء السريان منذ الازمنة النائية.

وهكذا بعد ان تكونت الثقافة الدينية والمدنية من اتحاد الشعوب السريانية الانفة الذكر، واخذت شكلها الخاص في المعتقدات الدينية والمباديء المدنية العامة. إمتدت فوائد معالمها الثقافية حتى الديار الهندية شرقاً، والديار الافريقية والاوروبية غرباً، متخذة من الاوطان او الديار السريانية مراكز إنبعاث ونور هداية للقابعين في ظلام جهل العصور الحجرية، واوجدت اشكال المدنيات المحلية، وسارت بجماهير البشرية

في تلك الاصقاع نحو التقدّم المنشود بانظمة مدنية جميلة مرتكزة عَلَى مبادىء دينية صالحة لتقدّمها الاجتماعي. واثناء ذلك التطور خلال عصور عديدة كانت تظهر منها مبادىء انواع الاديان النيّرة حسب تأثير المحيط كاليهودية والمجوسية والنصرانية والاسلامية، وكلها كانت تنوّه الى الايمان بالوحدانية الالهية لكونها من مصدر واحد هو الثقافة الدينية السريانية التي كانت منذ القِدم توجّه نحو توحيد البشرية تحت إمرة إله واحد، (ولو تنوعت الاسماء والصفات)، هو إله الحياة. ونظراً لتطوّر الثقافة الدينية السريانية القديمة العهد التي منها ظهرت معظم الاديان العالمية في ادوار متعاقبة واماكن مختلفة، يمكننا ان نتبيّن انّ اصحاب الاديان الالهية وزعماءها، امثال موسى وعيسى ومحمّد، كانوا دعاة مبشّرين يدعون البشرية الى اتحاد الرأي والعقيدة والعمل عن طريق المحبة البشرية والايمان بالوحدانية الالهية للعيش والتمتع بحياة آمنة ومسالمة كعائلة بشرية واحدة تعود لاب الهي واحد رحوم ومحب للبشر، هو الله تعالى عزّ وجلّ جلاله، طبقاً للعوائد والعقائد الدينية السريانية المتوارثة والمتداولة آنئذٍ.

وبالعودة الى اخبار التاريخ القديم، نعلم ان الامة السريانية بعد تكوينها وقيامها من اتحاد تلك الشعوب المتآخية كالاشوريين والبابليين او الكلدانيين والاراميين والكنعانيين وغيرهم، وامتداد حكمها السياسي ونفوذها الثقافي الى اقاصي العالم القديم خلال الاف السنين، انقسمت بصورة طبيعية الى دويلات ارامية متعددة، بعد سقوط نينوي وبابل، بفعل كثرة الغزوات الخارجية، وثم الى طوائف دينية متعددة، وكنائس متنوّعة منها الان كنائس السريان الكلدان، والسريان الاشوريين، والسريان

الموارنة، والسريـان الكاثوليك، والسريـان الارثوذكس، وغيرها من الطوائف السريانية التي فقدت قوميتها السريانية لاندماجها باقوام بشرية أُخرى في الشرق والغرب والتي كانت كلها فروعاً دينية، ثقافية ومدنية، نشـأت وتطورت في احقاب متعددة ومتتابعـة من ارومـة الثقافة الدينية السريانية القديمة العهد. وقد لا نتمكن من فهم كنه الاديان السماوية النيّرة وما نتج عنها من الثقافات والمدنيات الدارجة حالياً ما لم ندرس كيفية تطوّر الثقافة والمدنية السريانيتين القديمتين وامتدادهن من البلاد السريانية الى باقي اقطار العالم في ازمان ومدد متعددة وطويلة، او منذ نحو الالفين الرابع والثالث ق.م.، والاهتمام بكيفية التكوين والتطوّر للعناصر السريانية وشعوبها القديمة مثل الاكاديين والسومريين، والاشوريين والبابليين، والاراميين والكنعانيين، الذين بجهودهم ونشاطهم، أُوجدت أنـواع الكتابـات والخطوط، كالصوريـة او الرمزيـة، والاسفينيـة او المسماريـة، واخيراً الاحرف الابجدية او الهجائيـة الحاليـة التـي بفاعليتها تضاعف كثيراً سير البشريـة عامـة وتقدمها في مضمار الثقافـة والمدنيـة العالميتين الى ان وصلت الى مـا هي عليـه الان من التقـدم والازدهار والنضوج المدني العالمي. ومن تحليل المعلومات المتداولة عن الحوادث والتطورات في حياة الامة السريانية، نجد حقاً ان عقائد الاديان الالهية نتجت وتولّدت من تطوّر الثقافة السريانية العامّة التي كانت قد رسخت مبادئها تدريجياً في الاوطان السريانية الممتدّة من بلاد فارس الى البحر الابيض المتوسط اثر انتهاء العصور الحجرية، او قبل اليهودية بنحو ستة الاف سنة.

وبالتمعن في حالات تطوّر حياة الشعوب القديمة; نجد ان اليهودية

والاسلامية نتجتا عن شعوب القسم الجنوبي من الاوطان السريانية او من العناصر البابليَّة والكنعانية، وان النصرانية او المسيحية نتجت في القسم الشمالي من العناصر الاشورية والارامية، مما يجعلنا نرى ان زعماء الاديان الالهية النيّرة كانوا سويَّة من ابناء الثقافة الدينيَّة السريانية العامة في الجنوب والشمال، وان اعتدال هذه الاديان او تعصبها كان بموجب اعتدال اهلها او تعصبهم، وكان حسب المناخ الطبيعي لتينك المنطقتين الشمالية والجنوبية، وهكذا نجد ان النصرانية نجحت بامتدادها في الاقاليم الشمالية المعتدلة للكرة الارضية، ونجحت الاسلامية في اقاليم المنطقة الجنوبية الحارة وامتدّت فيها. وبكلمة أخرى يمكننا ان نرى الاديان الالهية كانت نتيجة معتقدات الثقافة السريانية العامة، وانها تفجَّرت بموجب مفعول المحيط المحلّي وثم انتظمت وتطورت مرتكزة عَلَى الايمان بالوحدانية الالهية لتسيّر البشرية ومدنيتها موّحدة في سُبل الحياة الاجتماعية الصالحة والمستنيرة بالثقافة الصادرة عن اعماق المحبة الالهيَّة والمحبة البشرية...

وبحكم التطور الطبيعي او النشوء والنمو والتكاثر، تولَّدت من تلك الاديان الالهية المتنوعة انواع العقائد والمذاهب، ومعاهد ونواد و مجتمعات دينية كثيرة، تكوّنت وتكتلت حول كل منها ملل وطوائف، او كنائس وجماهير بشرية، تمارس عوائد وتقاليد دينية اجتماعية طبقاً لمباديء وعقائد تلك الفروع الدينية، مدّعية عن اخلاص بصدق معتقدها الخاص الذي كانت نظُمه تسيّر حياتها الاجتماعية. ولاجل ذلك كانت احيانا تتوشح بعض تلك الطوائف بثوب التعصُّب والحميَّة الدينية. ومن جرّاء ذلك كانت تتفجر ايضاً انواع النظريات الدينية الجديدة، وتتراكم

النظريات الدينية عبر الازمنة، الى ان تحوّلت بعض الاديان الى الغاز صعبة التحليل والتطبيق وصار الكثير منها عرضة للاهمال والنسيان، بل وآل الى انكار مصادرها الاصلية، مما ادّى الى تشويه بعض المعلومات التاريخية ايضاً وكيفية تطوّر الاديان والمدنيات البشرية. ولذلك فان بعض السريان الحاليين، باطلاً يظنون بان وجودهم او وجود كيانهم يبدأ بظهور النصرانية ويرمون بالنكران كل ما كان من التطور الديني والثقافي والتقدم المدني لآبائهم واجدادهم في العصور السابقة للنصرانية، لظنهم ان السابقين لهم كانوا وثنيين جهّال او عبدة اصنام، ومتجاهلين بان من اصل تلك الاديان الوثنيّة تطوّرت تدريجيّاً معتقدات وعوائد الاديان الالهية العليا، بما فيها النصرانية او المسيحية منذ ثمانية آلاف سنة قبل النصرانية.

وهكذا ايضاً باطلاً مثلهم يعتقد اليهود بان الديانة اليهودية او الامة اليهودية تبدأ بموسى النبي ونواميسه الدينيّة وبان عقيدتهم الدينية هذه تبدأ بابراهيم الخليل. وتراهم يستنكرون او يتجاهلون مصادرها الوثنية السابقة لابراهيم، ويخفون العلاقات الوراثية بينهم وبين اجدادهم الآراميين الذين تسللوا متحدرين منهم ومن باقي العناصر السريانية السابقة لليهودية والتي كانت مصدراً من مصادر ظهور اجدادهم ومعهم عقائدهم الدينية التي توارثوها عنهم.

ومثل اولئك فان الكثيرين من علماء العرب ايضاً يتجاهلون تاريخهم السابق للاسلام، مكتفين بوصفه ونعته باسم «العصور الجاهلية». ولغايات ومآرب دينية وسياسية او ادارية خاصة، كان معظم زعماء الاديان الالهية يعلنون لاتباعهم بان نواميسهم الدينية هي منزلة من السماء فيتحتم الاقبال عليها دون التردد. وهنا كان يُسدل ستار النسيان حول التطورات القديمة

والسابقة لهـا، او حول معرفـة ماهيَّة وكيفيَّة تطوّر الثقـافات الدينيـة والمدنية الحاصلة والسابقة لظهور الاديان الالهية العليا. ولهذه الاسباب وغيرها اختفت وانطوت ايضاً اكثر المعلومات التاريخية الباحثة في ماهية وكيفية تطوّر المباديء الدينية والمدنية للسريان وغيرهـم من الشعوب المتمدنة اللاحقة حتى اواسط القرن التاسع عشر (بم) إلا انه اخيراً توفَّق المنقبون الاثريون وكشفوا القناع والستار عن وجـه الماضي السحيق وتطوراته الدينية، واتحفوا العالم الحديث بمخلَّفات وتحف المدنيات السريانية القديمة التي كانت مبعثرة في مطاوي الخرب والاطلال تغطّي مئآت المدن والقرى السريانيـة المنتشرة في طول الاوطان السريـانية القديمة من عيلام وفارس وحتى شواطيء البحر الابيض المتوسط.

ومن جرّاء تلك المحـاولات المغرضة لاخفـاء وطمس حقائـق التطورات الدينيـة، كانت تتولَّد بعض التعقيـدات الدينيـة، المسبّبة لاصطدام الاراء لدى الاقدمين واللاحقين مما ادّى الى انبثاق مذاهب وملل وطوائف دينية بنسبة تضاعف وتكاثر او تراكم العقائد الدينية المتباينة، هذه العقائد بدورها كانت تختلط وتتمازج فينجم من جراء ذلك ظهور طوائف جديدة تدّعي بالتفوق عَلَى غيرها،فتنتج بعض الاصطدامات الدينية التي حملت البعض منها الى الادعاء بالانتماء الى البداية الاصلية، من حيث العنصر والدين، ولهذا السبب عينه نرى حتى الان بعض السريان باطلاً يعلنون انتمائهم الى عناصر غريبة غير سريانية، فمنهم مَن يقول بانهم يعودون في الاصل الى العرب والعبران او اليونان والرومـان وحتى الى الفرس والاعجام، متجاهلين بذلك انتماءهم الحقيقي الى العناصر السريانية التي سبقت وتكوّنت تدريجياً من مجموعة او اتحاد الشعوب السريانية القديمة

العهد، والتي توحَّدت بحكم التشابه العنصري واللغوي، الذين منهم كان الآكاديون والسومريون، والاشوريون والبابليون، والاراميون والكنعانيون، والاقسام والفروع الصادرة عنها.

ومهما كانت الاسباب والدواعي، فان إخفاء بعض أئمة الاديان الالهية لتلك المعلومات الدينية السابقة لظهور عقائدهم الخاصة او بداية مذاهبهم او نعتهم العصور السابقة بالوثنيَّة او الجاهليَّة خشية رجوع اتباعهم اليها، قضت عَلَى معظم المعلومات عن التطورات الدينية والمدنية فأصبحت صعبة الادراك لدى عامة الشعب.

والان بعد البحث والتدقيق نعلم ان التسمية «السريانية» تكوّنت تدريجياً من التسمية الاشورية او الآسورية المشتقَّة او المتحرفة أصلاً من اسم آشور الذي كان صفة إلهية، بمعنى «البداية» او الازلية للاله مردوخ ابن أهيه او أيَّه إله الحياة، وهو الان الله المعبود عز وجلّ. ولقد ورد ذكر هذا الاسم او كلمة «آشور» لأول مرة في قصة الطوفان (تك ١٠: ٢١) كما ذكره ايضاً (كلكمش) في ملحمته في الالف الرابع (ق‌م) كصفة لمردوخ الذي قال «به وبأبيه أهيه صارت «بداية» الحياة البشرية» وتحت هذا الاسم الذي تطور لفظياً الى آشوريا او آسوريا اتحدت معظم الشعوب السريانية المذكورة آنفا، في عدة اوقات ومناسبات، وذلك بفضل وسعي الكثيرين من زعماء وملوك الشعوب السريانية أمثال كلمكش واورنعما وسركون الاول ونارام سين وعمورابي، وثم شلمن آسر الاول وتغلت بل آسر الاول. وكانت اخيراً قد نمت واشتدّت حركة اتحاد تلك الشعوب تحت التسمية السريانية المتحرفة من التسمية الآسورية، في عهد الملكين الاخيرين المذكورين هنا، ذلك في

القرن الثالث عشر (١٢٧٢ قم) واواخر القرن الثاني عشر (١١٢٠ قم) بعد ان قضي عَلَى العناصر الخارجية كالكوشيين والحثيين الذين كانوا قد استولوا عَلَى الاوطان السريانية لمدد طويلة.

ولسبب تزعم ملوك الآشوريين حركة تحرير البلاد من اولئك الخوارج عليهم وعَلَى شعبهم الاشوري اتحدت جميع تلك الشعوب الشمالية القديمة تحت التسمية «السريانية» المتحرفة اصلاً من اسم آشور او آسور ولسبب تعاون الشعب الارامي مع الشعب الاشوري في سحق قوة اولئك الخوارج، فان لهجتهم الارامية تغلّبت تدريجياً عَلَى لهجات تلك الشعوب السريانية المتآخية. ومن جرّاء اختلاطها باللهجات المحليّة فقد سُمّيت كلها باسم اللغة «الآرامية»، وثم باسم اللغة السريانية ايضاً.

فمن مجموع تلك اللهجات وتعدّدها واختلاطها، تكونت «اللغة السريانية» التي ظهر جمالها وبهاؤها في فجر النصرانيّة، الى ان عُرفت هي ايضاً، واعني الديانة النصرانية ايضاً لدى السريان باسم الديانة السريانية (سوريوثا) Sirianismo لصدورها وانبثاقها من اصول الاديان السريانية القديمة وهكذا طُبّق اسم آشور او آسور عَلَى الديانة واللغة والامة السريانية. وقد تم ذلك التطبيق التسميوي في فجر النصرانية، بعد اصطدامات عنيفة بين التسميتين، «السريانية» المتحرفة من اسم آشور و «الارامية» المتحرفة من اسم آرام، الى ان تمت اخيراً الغلبة للتسمية «السريانية» في فجر النصرانية، اذ بها سُمّيت جميع الشعوب الداخلة في النصرانية والناطقة باللغة الارامية عَلَى اختلاف انواع لهجاتها، وخاصة البقايا من طوائف الاكاديين والسومريين، والآسوريين والبابليين، والاراميين والكنعانيين والكلدانيين والفينيقيين.

وبفعل ذلك الاتحاد التسميوي الذي تم لتلك الشعوب السريانية بدوافع دينية ولغوية وثقافية وسياسية، تكوّنت الامة السريانية عَلَى مدى عصور وازمنة طويلة، في بوتقة الاوطان السريانية، خاصة منذ ايام سركون الاول وعمورابي وشلمنآسر الاول وتغلت بل آسر الاول، وأخيراً في ايام آسور يني بال ونبوخذنصر اللذين في اثناء حياتهما، توصلت الامة السريانية الى اعلى قمم المجد والسيادة العالمية، من حيث النضوج الثقافي الديني والمدني معاً. ومن ذلك النضوج نتجت المعتقدات والايمان بالوحدانية الالهية كالنصرانية مثلاً والتيمُّن باله واحد رحوم ومحب للبشر، ومخلّص ومنقذ للانسانية من الابادة والهلاك بالشر والسوء، هو الله تعالى.

بيد انه عندما تمَّت الغلبة النهائية للتسمية السريانية وتفوّقها عَلَى جميع تسميات الشعوب السريانية الأُخر والقديمة، كانت قد تجرّدت الامة السريانية من حريتها القومية، وفقدت ادارة اوطانها للغزاة الخوارج مثل الماديين والفرس واليونان والرومان، لانشغال وانهماك زعمائها في الامور الادبية الروحية او الدينية، وتحولت ادارتها الداخلية جزئياً لرجال الدين والزعامة الدينية، في سبيل الفضائل الحسنة بين الشعب. فكانت النتيجة ان انحدرت الامة السريانية وانخرطت سياساً في نظام الدويلات والولايات الصغيرة، ومنها انبثقت الدويلات الارامية الاخيرة، كدولة الانباط وتدمر وحدياب والرها. وثم من هذه، الى كنائس وطوائف دينيَّة مثل السريان الكدان، والسريان الاشوريين، والسريان الموارنة، والسريان الملكيين، والسريان الكاثوليك، والسريان الارثوذكس، وغيرها من الطوائف الأُخرى والمتعددة، التي اندمج البعض منها في اقوام وشعوب أُخرى غير سريانية، الى ان هكذا اصبحت الامة السريانية،

أمّة عالمية خالدة، اعطت العالم اديانا إلهية وثقافة عالمية، او مدنية مثالية، التي عَلَى ضوئها تسير البشرية الآن في تقدمها الاجتماعي والمدني.

وبموجب تطوّر معلوماتهم الدينيّة، كان السريان الاقدمون يدعون القوات الالهية بمختلف الاسماء والصفات والشخصيّات والاقانيم الحاملة معانيها الدينية المختلفة، طبقاً لرغائبهم ومقاصدهم الدينية.

ومنذ الالف الخامس او ما قبله كانت قد تكوّنت لدى السريان العقائد عن الوحدة الالهية، ذات ثلاثة اقانيم. والذين منهم كان «اهيه» و «مردوخ» و «آشور». هؤلاء كانوا يعدون مصدر او بدء حياة البشرية وحماتها ومخلّصيها من الموت والهلاك. ولذلك يُظن انهم هم القائلون : «هلموا نعمل الانسان عَلَى صورتنا ومثالنا» وبالفعل خلق الله الانسان عَلَى صورته وشاكلته. وكما يُستدل من معاني اسماء هذه الاقانيم الالهية الثلاثة، يظهر انهم كانوا يشكّلون وحدة عائليّة منها الآب والابن والروح الالهي، اذ كان يُعرف اهيه بانه هو الآب، لكونه مصدر الحياة كما يستدل من معنى اسمه هذا الذي تطوّر لفظياً الى هيه من اهيه، وابنه مردوخ الذي كان يُرسل من قِبَل ابيه لحماية وخلاص البشر، وكان يُنعت احياناً باسم آشور الذي يعني البداية، لان به وبابيه اهيه، صارت بداية حياة البشرية، وان تلك الصفة او النعت تحولت الى اسم علَم، وذلك كما صارت فيما بعد (ليسوع الناصري) صفة المسيح بمعنى المعيَّن لخلاص البشر، كما وانه من هذه الصفة، تكوّنت التسمية «المسيحية». هكذا ايضاً تحولت معنى صفة مردوخ الى اسم آشور او آسور بعد ان كانت صفة إلهية لمردوخ. ومن ثم وُجدت او تطوّرت منها أسماءٌ ومعانٍ كثيرة ومتعدّدة كانت عرضة للتغيّرات اللفظية بحسب المكان والزمان.

وبعد ان دام الاتحاد السرياني لالوف من السنين، انتهى سياسياً بسقوط نينوى وبابل حوالي سنة ٦٠٦ و ٥٢٨ (قم)، امام هجمات شعوب غير سامية، كمادي وفارس من الشرق، واليونان والرومان من الغرب. وانضم معظمهم الى ممالك ودويلات ارامية صغيرة التي تطوّرت فيما بعد الى كنائس وطوائف دينيّة منذ الفتوحات العربية الاسلامية ودامت هكذا الى ايامنا هذه.

وكان من جرّاء تقارب الصلات العنصرية القديمة بين السريان والعرب، ان تعرّض كثيرون من السريان للاندماج بالعرب والعروبة، وهكذا الدخول في الاسلام، وهم الذين منهم تكوّنت وتشكّلت معظم شعوب الامة العربية الحالية ودولها الحديثة الممتدة من إيران الى الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط، كالعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين. اما الباقون منهم ضمن نطاق الامة السريانية وخاصة الناطقون باللغة السريانية او المحافظون عليها في مراسيمهم الدينيّة، فهم ما زالوا يعيشون، بشكل طوائف واقلّيات مسيحية منتشرة في الاوطان السريانية القديمة والمنقسمة حالياً بين الفرس والاتراك، وبين الدول العربية الحديثة الذكورة انفاً، ومنهم السريان الكلدن والسريان الاشوريين او الاثوريين والسريان الموارنة والسريان الكاثوليك والسريان الارثوذكس. ويقدّر مجموع عدد نفوس هذه الطوائف الدينية السريانية بنحو اربع ملايين من المقيمين في الاوطان السريانية القديمة، وبنحو عشرة ملايين مع المنتشرين في الهند واستراليا واوربا والاميركات.

ومن الجدير بالذكر ان معظم هذه الطوائف السريانية يدّعون بانتمائهم اصلاً الى شعوب الامة السريانية القديمة كالاشوريين او الاثوريين

والبابليين والكلدانيين والاراميين والكنعانيين، وذلك لاوجه الشبه بينهم وبين اولئك الاقدمين، ولتمسكهم وتعلّقهم بتقاليدهم السريانية القديمة واحتفاظهم بعوائدهم التقليدية الموروثة منذ اقدم العصور، وتعلّقهم باللغة السريانية وبثقافتها في اثناء ممارساتهم التقاليد والعوائد الدينية، وفي حياتهم اليوميَّة، حيثما وجدوا واينما حلوا.

إلا انه من خلال النتائج الحاصلة من هذه التسمية «السريانية» العامة، والتي كانت سبباً لاتحاد شعوبها، دينيّاً ولغويّا واداريا وثقافيا، وبتجمّعهم في «الامة السريانية»، في عصور واطوار متعدّدة سابقة لعهد النصرانية، يبدو انه في فجر النصرانية كان قد انقطع حبل معرفة التطوّرات التاريخية الوراثية لتلك الشعوب، وعلاقاتها بالامة السريانية، لاسباب وعوامل شتى، منها :

١) تغلغل العناصر الاسرائيلية واليهودية في قلب الاوطان السريانية، الذين أخذوا مسبَّبين الى نينوى وبابل، في القرن الثامن والسادس (ق‌م) وكانوا سبباً في انهيار آشور وبابل، حيث بثُّوا ونشروا تعاليمهم اليهودية ومحبَّة عنصرهم الخاص بين العناصر السريانية الى ان اكتسبوا عطف العامة مع عطف الفاتحين الاغراب كالفرس مثلاً.

٢) تأثير طغيان ادعاءاتهم الباطلة عَلَى العقائد الدينية السريانية والتي كانت سبباً في ايجاد عدة انقسامات بين الشعوب السريانية.

٣) غزوات الفرس واليونان والرومان،للاوطان السريانية بعد سقوط آثور وبابل، حيث طغت السفسطات اليونانية عَلَى الحكمة السريانية فحولتها من حقيقة ظاهرة الى وهمية خيالية معقَّدة.

(٤) تزعُّم الدينيين ادارة الامة، روحياً ودينياً، وشدّة تعصُّبهم للتسمية السريانية في فجر النصرانية، ومقاومة التراث والتقاليد القديمة، واهمالهم المعلومات التاريخية عنها، بغية القضاء عَلَى كل ما كان باقياً من المأثرات الثقافية والدينيـة الموروثة من العصور الوثنيـة، لاعلاء شأن النصرانية فوق كل شأن، متناسين بانه من وثنية اسلافهم الاشوريين والبابليين والاراميين والكنعانيين تكوّنت وانتظمت تدريجياً، الاديان الالهيه، او الايمان بالوحدانيَّة الالهية، وخاصة الديانة النصرانية.

(٥) واخيراً، ولهذه الاسباب وغيرها مما لا طائل تحتها، اصبحت تلك المعلومـات التاريخية عن الامة السريانية وشعوبهـا القديمة في العصور السابقة نسياً منسياً، وظلّت هكذا حتى اوائل القرن التاسع عشر (بم). ولسبب تلك الاتجاهات المغلوطة، او ذلك التجاهل والنكران المغرضين، فقد استُجهلت ايضا المعرفـة عن كيفية تكوين الامـة السريانية واخبار مصادرها ومنابتها الحيوية، حتى لدى زعمائها الدينيين.

اما الان، وبعد التحقيق والبحث والاستقراء، عَلَى ضوء المعلومـات الاثرية الاخيرة، ومن مراجعة المعلومات المدرجة والمبينة في الكتب الدينية، ومنها المنزلة والغير منزلة، اصبحت معلومةً وواضحةً لـدى المثقفين المعاصرين، كيفيَّة او شكل تكوين وتطوّر الامة السريانية من شعوبها القديمة، وسموّها وبلوغهـا ذرى المجـد العالمي، حتى القرن السادس (قم) وثم انحدارها الى انظمة الدويلات الارامية، ومن هـذه الى انظمة الطوائف والاقلّيات الدينية الحالية، مع الاعتقاد الراسخ بأن منها ومن عظمة ثقافتهـا، ظهرت وتطوّرت الاديـان الالهية، كاليهودية والنصرانية والاسلامية، وعَلَى عظمة أُسس واركان مدنيتها، قامت وازدهرت

المدنيات المثالية او الكلاسيكية، كالمصرية والفارسية واليونانية والرومانية والنصرانية والاسلامية، واخيراً المدنية الشرقية والمدنية الغربية٠

وهكذا بعد ان طغت الدعاية اليهودية والسفسطة اليونـانية، على الحكمة السريانية، وأسدل ستار النسيان عَلَى اخبار تطوّر شعوب السريان القدامى والسابقين لفجر النصرانية، عاد اخيراً فكُشف القناع عن سير الحقائق التاريخية في الاوطان السريانية، بعد القرن الثامن عشر م٠ وبان وظهر للملاء اجمع، بوضوح ظاهر، عظمة مكان او مركز الامة السريانية، في تكوين التاريخ العالمي، وما اسدته من الخدمات في سُبل تقدّم المدنية العالمية، وانظمتها الاجتماعية، بفضل وهمّة شعوبها القديمة التي منهـا كان السـومريّون والاكاديـون والبـابليون والاسوريون والكنعـانيون والاراميون والكلدانيون، والذين معظمهم تنصّروا بسهولة، ودعيوا اخيراً ونهائياً بـاسم «السريـان»، وبعـد تنصّرهـم ببضعة اجيـال، فقد أسـلم واستعرب قسم كبير منهم. ومن الـذين تسرينوا واستعربوا. يتشكل الان معظم سكان الدول العربية الحالية، كسوريـا والعراق ولبنـان والاردن وفلسطين، ومعظم سكان تركيا الحالية وإيران الحديثة (او العجم وفارس)٠

وفي العودة الى ذكر الماضي، نرى انـه نحو نصف عدد الامـة السريانية، كان قد أسلم واستعرب، حتى ايام القرن الثالث عشر، وكثيرون اخرون انـدمجوا بالفرس والاتراك، واصبحوا عونـاً لتسيير دفّة إدارة الاوطان الشرقية، ولحفظ الاديان والمذاهب الالهيـة العليا، التي منهـا تكوّنت وتطوّرت المدنيّة الشرقية والغربية٠

أما بالنسبة الى اسم «السريان» فاننا نعلم بانه قد حُرّف تدريجياً،

او تكوّن وتطور لفظيا، من اسم آشور او آسور، كما ورد انفاً. ومن هذا الاسم وُجدت عدة مشتقات لفظية، مثل آشر وشار وشر، او آسر وسار وسر، وذلك بقلب الشين سيناً، كما هو معهود وعاديّ جداً في اللغة السريانية والعربية وغيرهما من اللغات، أما الهمزة الظاهرة في اول الاسم، فانها كانت أداة تعريف بموجب اللهجات القديمة، كالاكادية والاثورية، او حتى بموجب اللهجة السريانية الطورانية الحالية الدارجة بين العامة التي حتى الان تضاف وتحذف حسب الحاجة في لهجة اهل طور عابدين السريانية، لاجل التعريف او التنكير، كما تضاف او تحذف أل التعريف الى اول الاسم في اللغة العربية، إذ نقول سوريا او أسوريا، كما نقول، ومن طورا أطوار ومن طرفا أطرافا. ولاجل النسبة الوطنيّة اضاف اليونان والرومان لفظة «يان» IAN الى اخر الاسم، فاصبح أسُريان عند اليونان، وأسِريان عند الرومان او اللاتين ASSYRIAN, ASSURIAN، كما هي الحال في كلمتي ITALIAN, ARABIAN، وعند العرب أُضيف الى اول الاسم في كلتا اللفظتين أداة التعريف، بدلا من الهمزة، ومنها جاءت لفظتا السُريان والسِريان، واذا ارادوا تعريب الاسم لفظيًا، فأنهم يقولون : الاسوريين. واما عادة ابقاء الهمزة في اول الاسم او حذفها، لم تكن مختصَّة بهذا الاسم فقط، بل وكانت تطبَّق هذه العادة اللفظيَّة، لاجل التخفيف والتنحيف اللفظي، عَلَى الكثير من اسماء الشعوب القديمة الغير السريانية، كقولك : عربي من أعرابي، ويوناني من ايوني وقبطي من اجتي (وهم القبط او الاقباط). وكما بقي هذا الاسم الاخير «القبطي» خاصة، بنصارى مصر، هكذا ايضاً بقي اسم السريان خاصة، بالنصارى المتحدرين من الاسوريين والبابليين والاراميين والكنعانيين والكلدانيين،

في إيران وتركيا والعراق وسوريًا ولبنان والاردن وفلسطين الناطقين منهم باللغة السريانية٠

فاسم آشور او آسور، اذن، كان في الاصل الصفة الالهية لمردوخ ابن إيه Ea ،إله الحياة، وذلك بمعنى الازلية او بداية الحياة البشرية٠ ومع كثرة التداول اصبح اسم عَلَم، كما في حالة تسمية «المسيح» الذي وان كان صفة خاصة ليسوع الناصري، فانه قد اصبح ايضاً اسم علم لاتباعه النصارى الذين دُعيوا وسمّيوا باسمه نصارى او مسيحيين، وهكذا ايضاً اتباع اشور، فقد دُعيوا آشوريين او آسوريين، بنوع النسبة الى آشور او آسور٠ ويُظن ان هذا الاسم كان في حالة التداول بين الالف الخامس والرابع(ق م)٠ وبه دعي آثور احد ابناء سام بن نوح الذي عاش اثناء الالف الخامس(ق م) كما نستدل من الكتب المقدّسة (تك ١٠ـ٢٢)٠ ومنه تحدر السريان الاشوريون الذين كانوا يُعرفون ايضاً باسم الاثوريين بالنسبة الى آثور بمعنى المكان والاثر او المواطن او المحلّي Pátria

وبما انه كانت عادة حذف الهمزة من اول الاسم معهودة عند العرب والسريان واليونان، كما تبين، فقد تحوّل الاسم الى سُريان من أسُريان Surian من Assurian والى سِريان من أسِريان Syrian من Assyrian ومنذ فجر النصرانية، اعتاد السريان، بل واتخذوا لفظة سُورَيَا الموجزة من أسوريا للمعنى الديني، ولفظة سوريا للمعنى العنصري او الوطني، وذلك باضافة ياء النسبة لاخر الاسم كقولك من سوريا سوريَيا٠ وحتى الان مجازياً يطبّق السريان الناطقون باللغة السريانية لفظة سوريا مفرداً وجمعاً، عَلَى جميع اتباع النصرانية او المسيحية، لاعتقادهم بان الديانة المسيحية ليست إلا فرعاً من الاديان السريانية القديمة، وذلك كما

يطبّقون لفظة طي او طائي عَلَى جميع العرب اتباع الديانة الاسلامية، ولذا يقولون متسائلين بمعنى «أمسيحي انت ام طائي؟»٠

وفي العصور الجاهليّة او في الازمنة السابقة للفتوحات العربية الاسلامية، كان العرب في بعض الاحايين يسمّي٠ السريان باسم «الاساورة» بالنسبة الى اسم اسور في حالة الجمع، كما جاء في حكاية امروء القيس والقوم الذين تعاونوا معه في حروبه الانتقامية لمقتل ابيه، ومفرد «أساورة» بالطبع هو اسور او اسر المحرّف من اسم اشور او اشر، ولقد جاء ايضاً ذكر لفظة «آسر» لاول مرة في سفر التكوين ١٤ : ٠٩

ولا غرو اذا قلنا بأن اسم «اسرائيل» ايضاً مركّب من اسم الاله اسور او اسر، والاله إيل، ومن توحيدهما صار اسم اسرائيل ومعناه اسور الاله، واتخذ العبرانيون ابناء يعقوب هذا الاسم «اسرائيل» لدى خروجهم من ارض حرّان او فدان آرام احدى مدن السريان الاراميين، حيث كان يُعبد الاله اشور كاله الحرب، وحيث بدأ اولا اتحاد الشعبين المتآخيين، الاشوري والارامي، تحت التسمية السريانية المتخذة او المشتقة من اسم اسور، وحيث كان يتفوّق استعمال اسم اسور واسر (من اشور واشر) منذ اوائل الالف الرابع (ق٠م) واشتد استعمال هذا الاسم في اوائل ألالف الثاني بين الذين كانوا يتيمّنون بالاله آشور، ومنهم العبرانيون ابناء يعقوب اب الاسباط الاسرائيلية اثناء مكوثهم في ارض فدان آرام، فسميوا بنو اسرائيل٠

ومنذ تلك الاونة اخذ يتفوّق استعمال هذا الاسم، اعني اشور، في معظم الاقاليم الشمالية، لما بين النهرين، حيث كانت تتفوّق ايضاً عبادة الاله آشور، كما وكانت تتفوق عبادة مردوخ في بابل وفي معظم الاقاليم

الجنوبية لما بين النهرين، بالرغم من ان كلتا التسميتين آسور ومردوخ كانتا صفة واسم عَلَم لمسمًّى واحد هو مردوخ، كقولك : يسوع المسيح، او مردوخ آسر.

ومن تأثير ذلك المحيط الشمالي، حيث ولـد معظم ابناء يعقوب، أو اباء القبائل الاسرائيلية العبرانية اتخذوا اسم «اسرائيل» اسما قومياً أو عنصرياً لهم، وذلك تيمُّنا بالاله اسر، وهكـذا صار وتكوّن اسم اسرائيل اسما مركّباً من «آسر ـ ايل» بمعنى إله البدء او الاله الازلي. وبما ان اسور كان لدى السريان القدامى إله الصراع والحرب او حتى إله الحياة والقوة، فقد اصبح ثابتا ان اتخذه يعقوب اب الاسباط عندما كان بحاجة ماسة الى القوة الفائقة لاجل المصارعة مع اخيه عيسو. ومن تأثير ذلك الوهم والخوف، ظهر له في الحلم مقدار قوته، لدى مصارعته مع الملاك. ومن ذلك الحين اتخذ له اسم «اسرائيل» (تك ٣٢ : ٢١ ـ ٣١) التجاءاً وتيمُّناً بالاله آسور. ومنذ القرن الثامن عشر (ق‌م) عُرف جميع ابناء يعقوب باسم الاسرائيليين، وبه تميزوا عن بقية الشعوب العبرية كالموآبيين والعامونيين والادوميين والاسماعيليين. وهكذا اصبح لهم اسماً دينياً وقوميا في وقت واحد، لامتهم ولشعبهم، ودعي الههم ايضاً باسم «اله اسرائيل». ولهذه الاسباب يُعزى ايضا ادّعاء بعض النصارى بانهم هم ايضا ينتمون اصلاً الى عبادة إله اسرائيل الموروثة من العبادات والاديان السريانية القديمة والسابقة لعهد الاسرائيليين واليهود، والتي جميعها ترمي الى العبادة والايمان باله واحد هو بداية كل الحياة.

واننا نستنتج من هـذا الشرح الموجز عن اسم «السريان» وكيفيّة تكوينه من اسم اشور او اسور، بان اسم الجزء قد طبّق عَلَى الكل، واعني

بذلك، ان هـذا الاسم المحرّف والمشتق من اسم الشعب الاشوري او الاسوري، قـد طبّق عَلَى جميع الشعوب السامية الشمالية الناطقة بلهجات اللغة الارامية القريبة من بعضها بعضاً، عنصرياً ولغوياً وثقافيا، التي من مجموعها تكوّنت الامة السريانية القديمة المذكورة هنا، والذين منهم كان الاكاديون والسومريون، والاشوريون والبابليون، والاراميون والكنعانيون. ومرجع كل ذلك يعود لجهد الشعب الاشوري وفتوحاته السياسية والدينية.

وليس هذا التطور التسميوي بامر غريب، لعلمنا بأن كل أُمة عظيمة الشأن يبدأ تكوينها من عدة شعوب وقبائل متشابهة ومتآخية. وقد يُدعى او يُسمّى مجموعها باسم الشعب الذي يتغلب اسمه وسمعته عَلَى بقية العناصر المتحدة به، وللدلالة عَلَى ذلك نذكر بان تسمية الامبراطورية الرومانية او الامة الروميّة او الروم، تكوّنت من اسم مدينة روما، كما واننا نعلـم بانه احيانا يُعرف جميع سكان بريطانيا العظمى باسم «الانكليز» لتغلّب وتفوّق اللهجة الانكليزية عَلَى اللهجة الاسكتلندية والارلندية والولشية، وتفوّق العنصر الانكليزي عَلَى اهل او شعوب هـذه اللهجـات القريبـة والمتآخية للشعب الانكليزي، والتي كلهـا تُعرف الان وتـدعى باسـم الانكليز دون تمييز.

ومثل الرومان والانكليز، فان اليونان الذين كانوا يُعرفون ايضاً باسم «الاغريق» كان منهم المقدونيون والاثينيون والاسبرطيون والكورنثيون والاتاكيّون، وقل هكذا ايضاً عن العرب الذين تكونوا اصلاً من اتحاد بني عدنان وقحطان ونجران وغسان وعنزة وشمّر وبني طي وغيرهم الذين عُرف جميعهم ايضاً باسم «يعرب» او «العرب» التي تعني بالسريانية، سكان العاربة او العرباء. عَلَى هـذا الشكل ايضاً تكوّنت الامة السريانية، من

اتحاد شعوبها القديمة والمذكورة هنا مراراً واتخذت لها اسمها هذا العام والاخير من اسم آسور، دعمت تسمية «السريان»٠

وكانت قد اشتدت بوادر ذلك الاتحاد ونشاطه، منذ القرن الثالث عشر (ق.م) بهمة شلمن اسر الاول احد ملوك اشور الذي يعني اسمه «إله السلام»٠ وقد تم تعزيز ذلك الاتحاد السرياني، بفتوحات تغلت بل اسر الاول ١١٢٠ (ق.م)، الى ان اثناء حكم الفرس واليونان كان قد تغلّب هذا الاسم (واعني اسم الجزء) نهائياً عَلَى جميع اسماء الشعوب السريانية القديمة وفروعها ، وطبّقت تدريجياً هذه التسمية السريانية عَلَى اللغة الارامية ايضا، التي كانت قد تغلّبت وتفوّقت عَلَى جميع لهجات تلك الشعوب وفروعها، ودُعيت هي ايضاً باسم «اللغة السريانية»٠ واصبحت لغة الكتابة والثقافة، منذ ذلك الزمن، ليس للسريان فقط بل ولمعظم الشعوب وامم العالم القديم الممتدة الى الهند شرقا والى شواطيء المحيط الاطلسي غرباً، لمدة تزيد عن العشرين قرن، او منذ نحو القرن الخامس عشر (ق.م) والى القرن العاشر بعد الميلاد، وقد تقلّص امتدادها، عندما بدأت اللغة العربيّة تحل محل اللغة السريانية، وذلك منذ القرن العاشر للميلاد٠

وطوال تلك الازمنة او العصور العديدة والبعيدة الامد، كانت تتعرّض هذه التسمية السريانية الى التغيرات اللفظية في داخل الاوطان السريانية وخارجها، وذلك بموجب تطبيقها دينيّاً او قومياً، ومفردا او جمعاً، ومذكرا او مؤنثا، بموجب لهجة اللغة الملفوظة بها. واذا أُبدل حرف السين بحرف الشين، تعود التسمية الى لفظها الاصلي المكوّن من اسم اشور. وعلاوة عَلَى تطبيق هذا الاسم عَلَى اللغة الارامية حتى الان، فانه

ما زال ساري التداول كاسم عَلَم او دين، لمعظم الطوائف والكنائس، او الاقليّات والملل والشعوب التي منها تتكوّن الامة السريانية عامة، فنقول الكنيسة السريانية الكلدانية والكنيسة السريانية المارونية والكنيسة السريانية النسطورية والكنيسة السريانية الارثوذكسية والكنيسة السريانية الكاثوليكية. وما زال ايضاً قسم من الاوطان السريانية، مثل بلاد «سوريا» حاملاً هذا الاسم حتى اليوم، ولذا يُعرف سكانها لدى الاجانب باسم السريان SYRIAN او SÍRIO سواء كانوا نصارى ام مسلمين، وهي تسمية مختصرة من اسّريان Assyrian او Assírio وباللغة العربية، يُعرف المواطن باسم سوري وذلك بحسب اللفظ السرياني، وقد دُعيت هذه البلاد اخيراً باسم «سورية العربية» لسبب تعرّب معظم سكان سوريا، السريانية الاصل.

وكذلك لسبب اندثار بعض المعلومات التاريخية عن كيفية تطوّر الامة السريانية العريقة في القِدم وغياب الكثير من اثارها التاريخية، تحت خرب مئات المدن والدساكر والقرى، فقد ضل وسها كثيرون من علماء السريان وغيرهم عن حقيقة معرفة كيفية تطور التسمية السريانية، لغويّا ودينيا او ثقافيا واجتماعيا، وحتى كيفية تطور تاريخها وتحدرها من اشور او أسور، وكيفية تطبيق اسمها هذا الاخير عَلَى جميع الشعوب والملل الناطقة باللغة السريانية ولهجاتها المتعددة، وماهية المنتمين اليها عنصريّاً.

ولذلك مع مرور الزمن تغلّب التعقيد والتشويش بهذا الخصوص، منذ ازمنة الخمسمئة سنة السابقة لفجر النصرانية. وامتد تيار ذلك التشويش الى العصور الاولى للنصرانية، الى ان وقع ائمة السريان وعلماؤهم في حيرة من كيفية إدلاء المعلومات عن تلك التطورات التسميوية لغة وعنصراً،

وفقدوا المعلومات الحقيقية عن المواريث السريانية، لاعتمادهم بالاكثر عَلَى المصادر الدينية فقط، التي كانت قد طغى عليها التشويش اليهودي والتعقيد اليوناني، لدى ادلاء البيّنات التاريخية.

ولسبب زوال مجد السريان الزمني تعرّضت شعوب الامة السريانية، كالاشوريين والبابليين والكنعانيين والاراميين، الى تهكّم اليهود عليهم واتهامهم اياهم بالوثنية وعبادة الاصنام، وشدة الظلم «لشعب الله الخاص» او اليهود. وبذلك انكروا فضل خدمات تلك الشعوب السريانية، وما قدّمته للثقافة والمدنية العالمية، حبا باظهار وانتشار المذاهب او الثقافة اليهودية الخالية من الفنون الجميلة، الى ان باطلاً ظنّ البعض بأن اليهودية هي هي بدء ظهور الاديان الالهية العليا، او انه باليونان قد بدأت المدنية والثقافة العالمية، وغيرها من بيناتهم التي تحتاج الى التثبيت.

اما الان، او بعد التنقيبات الاثرية في آسيا اصبح من الثابت حقاً، بأن بالشعوب السريانية القديمة بدأت تظهر تدريجياً مباديء الاديان الالهية العليا والمدنيات الناتجة عنها، وخاصة النصرانية، وذلك قبل ظهور اليهود واليونان بالاف السنين.

ولهذه الاسباب وغيرها، فان كثيرين من علماء السريان وكتّابهم من شرقيين وغربيين، امثال ابن علي، وحسن بن بهلول، وابن الصليبي، وابن العبري، قد أدلوا سهواً بالبيّنات الغير حقيقيّة عن اصل السريان وعناصرهم، او عن الشعوب والقبائل التي من اتحادها وامتزاجها، عَلَى مدى الازمنة والعصور، تكوّنت الامة السريانية، وكيفية تسميتها هذه، لاعتمادهم واتكالهم عَلَى معلومات المصادر اليهودية واليونانية التي لم تخلُ من التعقيد والتشويش.

ولمجرد هذه الاسباب الواهية، فقد قال البعض منهم، بان السريان سميوا او دعيوا باسم «سوروس» (او سيروس المحرّف من اسم قوروش او كوروس الفارسي) الذي قيل عنه بانه قتل اخاه وبني مدينة انطاكيا. ومن المؤسف ان نرى حتى الان ما زال بعض ائمة السريان الحاليين، يُدلون بمثل هذه البينات الباطلة التي كثيراً ما تشوّه وجه التاريخ، لظنهم وادلائهم، بان التسمية السريانية، متأتية من اسم سوروس (المحرّف من لفظة كوروش باليونانية وسيروس باللاتينية) وهو الفاتح لمدينة بابل سنة ٥٢٨ (قم)، ووفاءاً بوعده، اعاد يهود السبي البابلي الى اورشليم، الامر الذي بسببه (راجع اشعيا ٤٥ : ١) اتخذه اليهود مسيحاً لهم.

ومن المعلوم بان اولئك الائمة والكتبة السريان، قد خلطوا بين شخصية سوروس الفارسي وبين شخصية احد ملوك اليونان الذي بنى مدينة انطاكيا، باسم ابيه انطياخوس، وذلك بعد سوروس الفارسي باكثر من مئتي سنة (راجع مقدمة كتاب دليل الراغبين في لغة الاراميين، للقس يعقوب اوجين منا)، الاّ ان البطريرك ميخائيل الكبير، قد خالف رأيهم هذا، في مقدّمة كتابه عن تاريخ العالم. حيث بيّن بكل صراحة عن لسان التلمحري الذي أدلى ببيّناته الحقيقية، لاحد اساقفة اليونان، قائلاً : بأن السريان هم حقا حفدة الاشوريين الذين من ملوكهم كان سركون وسنحاريب واسرحدون واشور بني بال، المذكورين في الكتاب المقدس، ويبيّن في ذلك بانه قد كان للسريان، الرئاسة والسيادة العالمية، بسبب فتوحاتهم الثقافية والسياسية والدينية لزمن طويل واجيال عديدة.

والان، بالاستناد الى المراجع التاريخية الحديثة والى الاكتشافات الاثرية، نعلم جيّداً، بان امة السريان قد تكونت طبيعيا وتدريجيا، عَلَى مدى

العصور من الشعوب السامية الشمالية القديمة، بهمة وعزائم ملوك آثور وبابل، واستولت عَلَى السيادة العالمية القديمة، في احقاب وفترات عديدة، امتد حكمها منذ ختام ونهاية العصر الحجري الاخير، والى ايام سقوط نينوى وبابل سنة ٦٠٦ و ٥٣٨ (ق.م).

وقد سارت وجدّت مجتهدة، منذ الالف الثامن، في سبيل التكوين والتقدم الثقافي والمدني، الذي بـه انارت العالـم وانقذته من ظلمات العصور الحجرية، لالوف من السنين، او الى ايام حوادث الطوفان الكبير الذي جرت حوادثه المؤلمة والمحزنة والمهلكة حوالي الالف الخامس (ق.م)، وبعدها نهضت الامة السريانية في تلك الآونة، وجدّدت المدنية ثانية بهمة ونشاط شعوبهـا الرئيسية التي ظهرت بعد الطوفان بتسمياتهـا السريانية، امثال الاكاديين و السومريين والاشوريين والبابليين والاراميين والكنعانيين، وفي كلا الحالتين، السابقة واللاحقة لحوادث الطوفان، فقد انشأ السريان مدنياتهم اولا في المناطق العليا الشمالية او المناطق الجبلية لما بين النهرين الشمالية.

وقد انحدر اقوام منهم الى المناطق الجنوبية مثل سهل سنعار حيث سكنوا وانشأوا امجادا مدنية. ومن كلا المنطقتين، الشمالية والجنوبية، كانت تمتد وتنتشر تعاليم الثقافة والمدنية السريانية الى اربعة اقطار العالم القديـم. الـذي كان لـم يزل رازحـاً تحت ديـاجير الجهل وحيـاة الفطرة. ولقد كشف الاثريون، حديثاً عن خرائب عدة مدن سريانية، يعود انشـاءُها وبناءُها الى ما قبل الطوفان، مثل اريحـا وشوريبك، وهـذه الاخيرة هي مدينة مولد نوح التي يسود الظن بانها انشأت بجوار جنة عدن، كما يُستدل من معنى اسمها بالسريانية. ولقد وجدت تحت انقاض نينوى،

اثار عمرانية، تعود الى ازمنة الالف السادس (ق‌م)· ويتضح من اكتشافات اثرية أُخرى في مدينة ارخ، ومن كتابات ومؤلفات ملكها كلكمش اوملحمته، والذي عاش في الالف الرابع (ق‌م)، بأن في جنوب العراق كانت قد نشأت وبدأت ظواهر الاتحاد بين سكان المدن السريانية وشعوبها التي عُرفت بعد الطوفان، باسم الاكاديين والسومريين الذين بهم بدأت اولا بوادر الاتحاد السرياني وتكوينهم مملكة بابل· وقد تحقق ذلك الاتحاد واشتدت اوصاله، في ايام اور نعمه ملك اور· وتم في ايام سركون الاول الذي عاش في الالف الثالث (ق‌م) وهذا الاخير توفق الى اكمال اتحاد سومر وآكاد تحت اسم بابل·

ومن اتحاد هاتين الدولتين، قيل انه وجّدت مملكة بابل، في اوائل الالف الثالث، بالرغم من ان مدينة بابل قد كانت موجودة، ومزدهرة قبل ذلك الوقت بعدة عصور، واما في الالف الثالث تم تجديدها وتوسيعها عن يد سركون الاول·

وقد حافظ عَلَى ذلك الاتحاد نرام سن حفيد سركون، وذلك بمقاومته وسحقه موجات الغزاة الاريين الذين انحدروا آنئذ من مناطق القوقاس وجنوب روسيا، وارغمهم عَلَى التحول الى اسيا الوسطى شرقاً، والى اسيا الصغرى واوروبا غرباً·

وفي ايام عمورابي، اتّسع امتداد ذلك الاتحاد وشمل بلاد آشور وآرام، وذلك بالاتفاق مع شمس آحي ملك اشور، واولاده من بعده·

وفي المدة الواقعة بين القرن الثامن عشر واوائل القرن الثالث عشر (ق‌م)، كانت قد تعرضت البلاد السريانية عامة لاحتلال ونير

الخوارج، مثل الكوشيين والعيلاميين من الشرق، والحثيين من الشمال، والمصريين من الجنوب، وظلت دولة آشور، كل تلك المدة، متحدة مع القبائل الارامية الشمالية، تقاوم وتحارب اولئك الغزاة بشدة وعنف، الى ان تمكنت من سحقهم، وطهرت منهم كل البلاد السريانية الممتدة من اواسط إيران الحديثة حتى شرقي البحر الابيض المتوسط، وقضت عَلَى اخطار العناصر الغريبة، الى ايام سقوط نينوى وبابل سنة ٦٠٦ و ٥٢٨ (ق‌م)٠

وهكذا، بهمة الاشوريين واخوانهم الاراميين، استردت الاوطان السريانية القديمة حريتها، ودامت لها السيادة العالمية القديمة ثانية، الى نحو ختام القرن السادس (ق‌م)، وفي اثنائها او في مدة الالف سنة السابقة لازمنة سقوط نينوى وبابل، كانت قد نضجت وتقدمت وازدهرت الثقافة والمدنية الاشورية البابلية او السريانية، وانتشرت معالمها في جميع الاصقاع والامصار في العالم القديم٠

ومن نتائج ذلك الوضع السياسي والتقدم المدني، اخذت تتغلب اللهجة الارامية عَلَى سائر اللهجات السريانية الاخرى القديمة والمتعددة، كاللهجة الاكادية والسومرية والاثورية والبابلية والكنعانية، التي بفضل اتحادها واندماجها باللهجة الارامية، تكونت اللغة السريانية الفصحى المعروفة الان، والتي بها كتبت الكتب الدينية المسيحية، وبها ايضاً تكلم السيد يسوع المسيح٠

وباندماج جميع لهجات تلك الشعوب القديمة الشمالية واتحادها باللهجة الارامية العامة، تضخمت واتسعت اللغة السريانية، التي حتى اوائل القرن السادس والخامس (ق‌م)، كانت معروفة باسم اللغة الارامية،

والتي بعد ذلك، ولتأثير حكم الاجانب في الاوطان السريانية، سُمّيت اخيراً، باسم اللغة السريانية، متخذة هذه التسمية ايضاً من اسم الشعب الاشوري، كما تبيّن في الاسطر السابقة، وذلك لانه بهمّته وعزيمته، كانت قد تحررت البلاد من نير الحثيين والكوشيين. وتغلّب بذلك استعمال الاسم السرياني، ليس عَلَى اللغة الارامية فحسب، بل وعَلَى سائر تلك الشعوب القديمة الشمالية او الشعوب السريانية القديمة المتآخية، واوطانها، ومنها حدث وتم الاتحاد السرياني العام. وهكذا تحققت وتكونت وحدة الامة السريانية، وطنيا وقوميا ولغويا. وامتدت التسمية السريانية وشملت جميع العناصر السريانية المنتشرة آنئذ في عيلام وفي اواسط إيران وحتى الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط، ومن منابع الفرات والدجلة، والى خليج العجم (العرب اليوم) وسيناء وشمال افريقيا. وبقيت للسريان الاشوريين قيادة وسيادة جميع البلاد السريانية، ومعها البلاد المجاورة لها، منذ اوائل القرن الثالث عشر، باعتبارها زعيمة تلك العناصر السريانية، منذ ايام شلمن نآسر الاول ١٢٧٣ (ق.م). وتوارثها عنهم اخوانهم السريان البابليون او السريان الكلدان، الى ايام سقوط بابل سنة ٥٢٨ (ق.م).

وهكذا استمرت تلك العظمة الزمنية لتلك الشعوب السريانية، الى ان هاجمهم اهل مادي وفارس من الشرق، واليونان والرومان من الغرب، وغيرهم من الشمال والجنوب، واستولوا عَلَى بلادهم واوطانهم الى يومنا هذا.

ومنذ ايام الطوفان الكبير، والى ايام سقوط نينوى وبابل، وهي مدة تزيد عَلَى الاربعة الاف سنة، كانت قد نشأت وازدهرت بالاكثر الثقافة

والمدنية السريانية في الاوطان السريانية المومأ اليها، ومنها امتدّت الى باقي اقطار العالم القديم، وعليها قامت الثقافة والمدنية العالمية، كما وانه منها وبتأثيرها، قد تولّدت الاديان الالهية النيّرة.

ومنذ تلك الاونة، اخذ معظم ملوك السريان من اسوريين وبابليين وغيرهم، يضم اسم اله اشور او اسور، مع مشتقاته او اقسامه اللفظية الى اسمائهم الملوكية الخاصة، إمّا تيمّنا بالاله اسور او لاظهار مركزهم الرئيسي المقتبس من معاني اسمه الالهي. فمنهم كان سركون وشلمن آسر وآشوردان واسر حدون واشور بني بال، واشور نصري بال وتغلت بل اسر، وذلك كما كان يُضم اسم فرعون لملوك مصر، او اسم قيصر لملوك روما. وكل ذلك يدل بأن لفظة الاسم السرياني، المتحدرة اصلاً من اسم اشور او اسور، لم تبدأ او تظهر في فجر النصرانية فقط، بل لقد كانت معروفة بتلك التسمية ومتداولة بين الشعوب السريانية القديمة المختلفة والمذكورة هنا، والاقسام المتفرعة منها، منذ ايام الالف الخامس (ق م). وان اجداد السريان مع مختلف ملوكهم وامرائهم، وشعوبهم وقبائلهم الذين منهم وبهم تكوّنت الامة السريانية، اوجدوا دولا وممالكاً عظيمة، خاصة بهم وبادارتهم المدنية، وبها قادوا العالم القديم، ثقافيا ومدنيا، الاف السنين. وشملت احكامهم وتأثير مدنياتهم جميع مدنيات الكرة الارضية. وما زالت البشرية حتى الان، تهتدي بمبتدعات ومكتشفات المدنية والثقافة السريانية القديمة العهد والسابقة لجميع مدنيّات وثقافات العالم كلّه، والتي عليها يقوم الان صرح المدنية العالمية، وبها تهدي البشرية، ويكفي برهانا للدلالة عَلَى ذلك قولنا : بأن جميع الامم المتمدنة، ما زالت تعبيء حكمتها وثقافتها، وجميع معالمها، وتختزنها لاستثمارها في كل الاجيال في نطاق الحروف

الابجديـة او في الحروف الهجائيـة، او «الألف باء» التي كانت من مخترعات الشعوب السريانية. وبنزع الحروف الهجائية او الابجديـة، واخفائها عن استعمالها بين شعوب وامم الارض، تعود البشرية، في مـدة وجيزة، الى حياة البداوة والفطرة، او الى الوضع الاجتماعي الشبيه بنوع حياة العصور الحجرية، ذلك لان السريان بابتداعهم الحروف الابجدية او الهجائية التي ما زالت تحمل اسماءاً ومعان سريانية دون غيرها، فقد قدّموا للبشرية جمعاء اعظم أداة لخدمة المدنية والثقافة العالمية. وستبقى فوائدها المدنية في جميع العصور المقبلة، او حتى زوال المدنية العالمية الحاضرة.

إلا ان تقدّم شعوب الأمة السريانية واوطانها القديمة، مدنيا وثقافيا، وامتداد نفوذهم المدني وسلطانهم الزمني، الى الهنـد شرقاً، والى مصر وشمال افريقيا غربا، والى بقية اقطار العالم القديم، شمالا وجنوباً، صار مجلبة لمطامع الغزاة، وخاصة الامم المجاورة والمحيطة بهم. وصار السريان واوطانهم غنيمه للمطامع البشريـة اللامتناهية. وبالرغـم من مقاومة شعوب الامـة السريانية، باستمرار الغزاة، للدفاع عن اوطانهم، فقد استنزفت، اخيراً، قواهم بسبب كثرة الحروب والمعارك الحيوية وغارات الغزاة، الى ان اصبحت الغلبة النهائية لمطامع اولئك الغزاة الذين تفوقوا عليهم بالبطش والقوة وقسموا البلاد الى دويلات صغيرة، هي الدويلات الارامية الاخيرة التي ظهرت في ازمنة الفرس واليونان والرومان، والتي كانت منها دولة حدباب والرها وحرّان، ودولة الانباط والغساسنة، ودولة تدمر التي تعرّب معظمها فيما بعد، وتكونت منها شعوب الدول العربية الحديثة والحالية، مثل العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين.

وللمحافظة عَلَى الكيان السرياني، من الزوال والابادة النهائية، فقد التجأت الامة السريانية،الى مزاولة الثقافةوالادارةالروحية والدينية، بزعامة ورآسة قواد ورجال الدين، الى ان هكذا تطوّرت تلك الدويلات الارامية ايضاً، واستحالت الى كنائس وطوائف ورعايا دينية، تبث الفضائل الحسنة، فمنها كنيسة السريان الكلدان، وكنيسة السريان الاشوريين، وكنيسة السريان الموارنة، وكنيسة السريان الكاثوليك، وكنيسة السريان الارثوذكس، التي تترأس ادارتها الروحية بطاركة ومطارين وغيرهم من رجال الدين، الذين كل منهم ينفرد برعيته· بيد ان القسم الاكبر من الامة السريانية، قد اندمج ثم اسلم وتعرب· وما زالت عملية الاندماج والتعرب سارية بين معظم هذه الطوائف السريانية، حتى الان·

وبالرغم من كل تلك التقلبات الزمنية، فما برح شعاع التقدم المدني والثقافي، يعم جميع اقطار العالم القديم، بهمة ونشاط شعوب الدويلات الارامية وكنائسها السريانية التي كانت مدفوعة بعامل العقيدة بالوحدانية الالهية، وبوجوب الوحدانية البشرية، كأسرة واحدة لآب واحد، هو الله تعالى، وذلك بالرغم من فقدان السريان حريتهم الزمنية، وحرية اوطانهم السياسية·

ولهذه الاسباب والاوضاع التطورية، نجد ان مدنية الفرس واليونان والرومان والعرب، لم تخلُ من عظمة تأثير الثقافة الدينية والمدنية السريانية، او سَريان مفعولها في مواريثهم وتقاليدهم الدينية والمدنية·

وفي أثناء الفتوحات الاسلامية العربية، انضمّ كثيرون من الرعايا السريانية الى جيوش العرب الفاتحين وبالاشتراك معهم، تمكنوا ان يفتحوا

بسهولة فائقة، معظم اقاليم العالم القديم، التي كانت معروفة بنضوجها الثقافي والمدني، وذلك بفاعل الثقافة السريانيه، مما ساعد كثيراً وبسهولة فائقة جداً لانتشار الدين الاسلامي في تلك الاصقاع، ودخول سكانها في العروبة والاسلام·

اما السريان الذين لم يعتنقوا الاسلام، فقد عُرفوا باسم «اهل الذمة»، وذلك يعني بانهم اصبحوا في ذمة اخوانهم الذين اسلموا· وقد كانوا قديماً نحو سبع طوائف او كنائس دينية، خمس منها بقيت محافظة عَلَى استعمال اللغة السريانية، وهم الكلدان والاشوريون (او النساطرة) والموارنة، والسريان الارثوذكس، والسريان الكاثوليك، واثنتان تركتا اللغة السريانية، نهائيا، وتعرّبتا، وهما طائفة السريان الملكيين الذين يُعرفون الان باسم طائفة الروم الارثوذكس وطائفة الروم الكاثوليك، او الروم عرب· وباستثناء هاتين الطائفتين الاخيرتين، فان بقية الطوائف السريانية الاخرى، ما زالت محتفظة ومتمسكة باللغة السريانية. ويقدّر عدد اتباعها او مجموع نفوس رعاياها بنحو اربعة ملايين، في الاوطان السريانية القديمة، وبما يناهز العشرة ملايين، خارج الاوطان، بما في ذلك الهند واوستراليا واميركا واوروبا وافريقيا·

وبالرغم من كل التقلّبات التاريخية التي مرّت عَلَى الامة السريانية وشعوبها، من حروب واضطهادات مؤلمة وقاسية، وفقدان حريتها وحرية اوطانها، وادارتها السياسية الزمنية، فان الاوطان السريانية لم تخلُ قط، من استعمال اللغة السريانية، ومن السكان السريان او المواطنين السريان، حول العواصم وفي المناطق الجبلية الحصينة في ايران واذربيجان وتركيا والعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين· ولذلك نقول بانه رغم كل

النوائب والتقلبات الزمنية، فما زال مقيما في هذه الاوطان السريانية القديمة، نحو اربعة ملايين ينطقون باللغة السريانية، ويمارسون الكثير من تقاليد الآباء والاجداد ويفاخرون بالثقافة السريانية. ولم يتمكن الخوارج من ابادة الامة السريانية والقضاء عَلَى لغتها، لغنى وعظمة ثقافتها ومدنيتها التي بها كانت تقابل قوات الغزاة وتخفف عنها من شدة وطأتهم وعنفهم، وذلك بتلقيحهم بثقافتها الدينية والمدنية، التي كانت دائما تهدي الى الأيمان بمحبة الله ومحبة القريب، ومقابلة الشر بالخير، والالتجاء الى الامن والسلام، بسبب تجردها من كل ادوات المقاومة والتسلح بها وانقيادها الى الفضائل الدينية، كما هي حالياً حتى الان.

وبالنظر الى الوضع الحالي، ومقابلته بالاوضاع القديمة السابقة، وبالتطورات التاريخية، فاننا نجد ان الامة السريانية التي كمل تكوينها واتحادها من قبائل وعشائر، وثم من شعوب ودول وممالك، كبرى وصغرى، ودخلت في مجد السيادة والعظمة، بسبب تقدمها الثقافي والمدني، وقادت العالم القديم، اداريا وسياسيا، لبضعة الاف من السنين، مالت طبيعياً نحو الانحدار، من ذلك المجد الزمني والسياسي، وانقسمت الى دويلات وممالك صغيرة متعددة، هي الدويلات الارامية الاخيرة، ومن ثم الى ملل وطوائف وكنائس دينية متنوعة، منها الخمس طوائف السريانية المذكورة هنا.

وطوال تلك الآونة والازمنة، كانت تنفصل عنها افواج كبيرة من البشر وتندمج بالامم القريبة والمجاورة، كالعرب والفرس والاكراد والاتراك وغيرهم، وبذلك اصبحوا نواة صالحه، لتمدين وتثقيف العناصر الغير السريانية: شرقاً وغرباً. وللمقارنة، نجد ان الامبراطورية الرومانية

تعرضت ايضا، لمثل هذه التطورات والتقلبات الزمنية، اذ انقسمت الى عدة دول اوروبية، ومن ثم الى طوائف دينية، ومثلها كثيرات من الامم اللاحقة.

ومن خلال تحليل التطورات الزمنية والظواهر الحالية يمكننا ان نعلم بان القسم الاكبر من المنفصلين عن الامة السريانية، كان قد انضم الى العرب، بفاعل القرابة اللغوية والعنصرية السامية، الى ان منهم تشكلت وتكونت شعوب الدول العربية الحديثة الممتدة من ايران الى البحر الابيض المتوسط.

وبالاستقرار والتدقيق وامعان النظر في التطورات والتقلبات التاريخية، يمكننا ايضا ان نعلم بأن القسم العربي من سكان جنوب العراق الذين يتكلمون العربية ويدينون بالاسلام، بلا شك، ينتمون اصلاً، الى الارومة السريانية البابلية او الكلدانية، كما وان القسم الشمالي من سكان العراق وسوريا، ينتمون الى الاصل الاشوري او الاسوري. وهكذا ايضاً، فان معظم سكان سوريا الحالية، ينتمون غالبا، الى الاصل الارامي والاسوري، اما سكان الاردن وفلسطين ولبنان، فانهم ينتمون الى اخلاط من الاراميين والكنعانيين، الذين منهم كان العاموريون والفينيقيون والقرطاجنيون. وحالة هذه الدول العربية الحديثة، من حيث العوائد والتقاليد والادارة والسياسة والسلطة الزمنية، او العلاقات اللغوية والعنصرية مع بعضها بعض، تشبه كثيراً حالة الشعوب السريانية السابقة لفجر النصرانية، او بالاحرى تشبه كثيرا، حالة الدويلات الارامية الاخيرة، التي تكوّنت بعد زوال مجد الامبراطورية السريانية او الاشورية والبابلية، سنة ٦٠٦ و ٥٨٢(ق.م)

ولهذا يعتقد البحّاثون، عَلَى ضوء المكتشفات الاثرية والمعلومات المبينة في الكتب الدينية، بانه في الاوطان السريانية القديمة، وخاصة

في اقاليمها الشمالية والعالية، بزغ اولا، نور المدنية العالمية، منذ نحو عشرة الاف سنة، بواسطة اقوام وقبائل بشرية، تكوّن منها تدريجياً، المجتمع السرياني وشعوبه المتعددة التي تُعرف ايضا باسم «الشعوب السامية الشمالية». ومن تلك الاقاليم امتدّت اشعة وانوار المدنية جنوباً الى سهل شنعار او سنعار، والى باقي الاقطار السريانية، منذ نحو الالف السابع (ق م)، وخاصة الى غربي إيران الحديثة، والى كل العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والاردن، والمناطق المتاخمة لبحيرتي وان واورميا وبلاد الاذربيجان، ومعظم شرقي آسيا الصغرى او تركيا الحالية، وكل المناطق المعروفة باسم الهلال الخصيب. وبامكان القاريء ان يرى حتى الان، هنالك او في معظم تلك المناطق والاقطار، اقواماً كبرى من العناصر السريانية الاخيرة المتحفظة بتقاليدها ولغتها السريانية القديمة، مثل السريان الكلدان، والسريان الاشوريين، والسريان الموارنة، والسريان الكاثوليك، والسريان الارثوذكس.

وهنالك وفي تلك الاقاليم الشمالية، بُنيت اولا، وأُقيمت البيوتات والمساكن، وأُنشأت القرى والدساكر والمدن، وغيرها من الظواهر المدنية، منذ الالف الثامن والسابع (ق م)، ومنها امتدّت معالم المدنية نحو الشرق حتى الهند، ونحو الغرب والى شمال افريقيا. وحوالي الالف الثالث (ق م)، وصلت الى الصين وبلاد المغول والتتر وجنوب روسيّا، ومن ثم الى جميع اوروبا الجنوبية وافريقيا الشرقية، وهكذا الى ان شملت انوار المدنية السريانية وثقافتها معظم بلاد العالم القديم الممتد من المحيط الهادي والهندي شرقاً، والى المحيط الاطلسي غرباً. وبعد الالف

الثانية (قم)، امتدّت مآثر المدنية السريانية نحو اوروپا وجنوب افريقيا والى غربي افريقيا·

وقد ظهر للقاريء اللبيب، بان المدنية السريانية، التي تطوّرت الى مدنية عالمية، كانت باستمرار، تمتد وتتّسع من الثقافة السريانية، الى كل جهات العالم، متخذة من الاوطان السريانية، وخاصة من سوريا والعراق ولبنان،قلباً نابضاً،تتدفق منه انظمة الحياة المدنية الصالحة الى سائر اقطار العالم القديم، وذلك في نحو ثلاث دفعات زمنيَّة، وعَلَى شكل ثلاث حلقات، او مناطق داخل بعضها بعض، متخذة من البلاد السريانية عامة، كمنطقة اولى او الوسطى، وهي بلاد الهلال الخصيب، والمنطقة الثانية امتدت الى فارس ومصر واسيا الصغرى وبلاد اليونان والرومان· والمنطقة الثالثة كانت قد امتدت واحتوت عَلَى البلاد المحاذية للمحيط الهندي والهادي، شرقاً، والمحيط الاطلسي غرباً، الى ان هكذا اصبحت المدنية السريانية، منارة عامَّة للمدنية العالمية، ولذلك قلّما نجد اي مدنية من مدنيات الامم، تخلو من تأثير مفاعيل المدنية السريانية، دينيا او ثقافيا·

ومن الثابت بان المدنية المصرية وغيرها من المدنيّات القديمة، كالفارسية واليونانية والرومانية والعربية، قامت على اضواء وركن المدنية السريانية، ومنها استمدّت واتخذت حياتها الثقافية والدينية، عن طريق امتداد العلوم والمعارف والفنون السريانية، الى بلاد وشعوب تلك البلاد· وخاصة بواسطة امتداد معرفة فنون الكتابات والخطوط السريانية المتنوعة التي منها كانت الاحرف الصورية او الرمزية، ومن ثم الاحرف الاسفينية او المسمارية، واخيراً الاحرف الابجدية او الهجائية، والتي منها تكوّنت احرف «الالف باء» لجميع الامم المثقفة والمتمدنة· وهذه

الاحرف الابجدية المنتشرة في العالم كله، والتي صارت الالة او الاداة الفعالة لامتداد وتوسع وانتشار المدنية العالمية، ما زالت تحمل الى اليوم اسماءها السريانية في جميع لغات العالم. الامر الذي يثبت بانها حقاً، لهي من مكتشفات الامة السريانية وشعوبها المدنية القديمة، وهي حتى الان اعظم اختراع او وعاء يحتوي عَلَى الحكمة البشرية وحياة المدنية العالمية، وبزوالها قد تزول المدنية العالمية ايضاً، وتعود البشرية، في وقت قصير، الى حياة وانظمة العصور الحجرية.

والان يمكننا ان نرى عَلَى ضوء المعلومات التاريخية المذكورة هنا، ولو بايجاز، بان الامة السريانية قد سبقت وفاقت مدنيات جميع الامم بمزاياها وفضائلها الثلاث، وهي : الدين والثقافة والمدنية. واصبحت نواة صالحة للمدنية العالمية، لاعتقاد شعوب الامة السريانية القديمة وطوائفها ومللها الحاضرة، بوجوب ارتباط الوحدة البشرية بالوحدة الالهية المحبة للبشر، اذ حول هاتين العقيدتين تكوّن المجتمع السرياني وشعوبه، وتطوّر في الحياة، عَلَى مدى العصور والدهور، ونظّمت تلك الشعوب نظرياتها ونواميسها الدينية لاجل حسن العلاقات والتعايش بين البشر، وتسير دفة المدنية العالمية باستمرار نحو التقدم الحيوي، لاسعاد الانسان وانقاذه من مخاوف الابادة والهلاك.

وبعامل هذه المعتقدات وتطبيقها في ذواتهم، حصلت للشعوب السريانية وطوائفها، حياة طويلة في العالم، رغم فقدان الامة السريانية مركزها السياسي بين الدول، وحريتها الزمنيّة، ورغم كل نوائب الدهور وصروفها، ومصائب التطورات الزمنية التي دهمتها عَلَى مر الاجيال والعصور اكثر من اي امة أُخرى ظهرت عَلَى وجه الارض. فان حياتها امتدّت منذ نهاية

العصر الحجري الاخير، حتى الان، وهي مدة طويلة جداً بالنسبة لحياة الامم الاخرى التي ظهرت و بادت من الوجود، اذ لم يُتح لها عقائد صالحة تقيها من الزوال، كما أتيح للامة السريانية التي بهـا تمكنت من مجابهة جميع التطوّرات الزمنية العسرة في كل العصور السابقة، وخرجت ظافرة، واصبحت امة خالدة، حيّة بين الامم ادبياً حتى الان.

وهذه النهاية الطائفية الاخيرة التي وصلت اليها الامة السريانية، حاليّا، واعني به حالتها من حيث تكوينها وانقسامهـا الطائفي، تشبه من اوجه عديدة، الحالة البدائية الاولى، عند تكوينها الاول من عشائر وقبائل بدائية، غب ختام العصر الحجري الاخير، منذ نحو عشر الاف سنة.

وان معظم بحثنا هنا، يدور حول تطوّر الامـه السريانية وعناصر قبائلها وشعوبها وطوائفها في هذه الحقبة الطويلة المنصرمة، التي لم تحظ بمثلها في القِـدَم، أيّ امة أُخرى، ظهرت عَلَى وجه البسيطة، او عَلَى مسرح البشرية.

ومن مقارنة الحاضر بالماضي، يظهر لنا ان الامة السريانية، بشكلها الطائفي الحالي، ما زالت قائمة وثابتة في الوجود، وقد اخذت الان تعيد سيرها في طريق الحياة، مدفوعة بتيّارات الحوادث والتطورات العالمية، وهي قويـة الايمان بنهضتهـا المرتكزة عَلَى الاعتقـاد الراسخ بالوحدانية العالمية، وبوحدانية القوة الالهية المحبّة لكل البشر، وبوجوب وحدانية طوائفهـا المتمسكة بلغتها السريانية او بمثُل هـذه المعتقدات الـدينية والثقافية.

وقد نستخلص مما ذُكر هنا، ان الامة السريانية، في اثناء نموهـا،

من عشائر وقبائل، تكوّنت وتطوّرت الى شعوب ودول وممالك، بواسطتها تم لها تحقيق ووضع انظمة الحياة الاجتماعية، ونواميس المدنية الصالحة والمفيدة لها، وللبشرية جمعاء التي عززتها بما اوجدته واستنبطته من فنون جميلة وعلوم قيّمة، صادفت الوف العراقيل وصنوف الاضطهادات والصعوبات الزمنية، ارغمتها الى التراجع والتقهقر، مراراً وتكراراً اثناء سيرها في طريق ذلك التقدّم، منذ ختام العصور الحجريـة الاخيرة وحتى فجر النصرانية، الى ان وصلت فائزة ومنتصرة، الى تلك الاهداف الحيويـة الصالحة، وتمكنت تدريجياً من وضع الانظمة الاجتماعية العالمية العامّة، ونواميس المدنية المثلى، لصالحها ولصالح وخير وفائدة البشرية واسعادها ولاجل تمتّع اجيالها بحياة مدنية سرمدية.

وفي اثناء كل تلك التطورات الزمنيّة، استوعبت الامة مدة تقرب من الثمانية الاف سنة اللاحقة لختام العصور الحجرية، تعرّضت فيها الى انهاك قواها وعصبيّتها القومية، حتى ما قبل فجر النصرانية بنحو خمسمئةسنة، تحوّل سيرها بنحو الانحدار، من قمة مجد عظمتها الزمنية، ومن مركزها الرئيسي لزعامة وقيادة العالم القديم، بعامل انهيار مجدها الزمني في آشور وبابل سنة ٦٠٦ و ٥٣٨ (ق.م). وبتأثير تلك التطورات الزمنية، توجهت الامـة مرغمة نحو الضعف والانحلال، الى ان وصلت اوّلاً الى مستوى نظام الدويلات الارامية، ومن ثم الى مستوى انظمة الطوائف الدينية التي هي عليها الان.

وفي كل تلك الاونة كانت تنفصل عنها اقسام او جماعات بشريّة كبرى، وتندمج عَلَى الرغم منها، بامم وشعوب غير سريانية، وتتحد مع عناصر بشرية غريبة مناوئة ومعادية، واما الباقون ضمن العنصرية السريانية فقد

كانوا دائما يعملون ويسعون لاعادة وتجديد نشاطها القومي، بشتى الوسائل الثقافية، لمتابعة سيرها في طريق الحياة المدنية، ومواصلة اضافة خدماتها للمدنية العالمية، كما كانت في سابق امرها.

ولذلك، ومنذ اوائل القرن العشرين، حتى الان، فان كثيرين من ابناء السريان، حاولوا ويحاولون تجديد سيرها وسعيها هذا، متخذين من الناطقين باللغة السريانية، نواة حياة، لبعث واحيـاء الامة، وذلك بربط اوصالهـا، وتوحيد طوائفهـا، وجمع شملهـا في جميع مناطق الاوطان السريانية القديمة، حيث ما زالت تقيم وتحيا اكثرية كبرى، من هذه الامة المنقسمة الى طوائف عديدة. وقد نجح اولياء الامر، بمقاصدهم هـذه، بالنظر الى ما هي عليه الامـة السريانية، حتى الان من تقاليـد وراثية، واسباب لغويـة وثقافيـة، واواصل عنصريـة كامنة في مجموع طوائفهـا السريانية، وغيرها من الوسائل التي كانت من شيم ومزايا ابائهم واجدداهم الذين عَلَى الرغم من تعدد النكسات، وكثرة النكبات التاريخية التي تعرّضت لها امتهم، فقد تمكنوا من النهوض بالامة، من قبل ايضاً، وفازوا لعدة مرات بانهاضها من كبوتها، الى ان حققوا ووجدوا نحو اربـع امبراطوريات، بابلية واشورية، في العالم القديم منذ الالف الثالث، وحتى ايـام انهيار مجد اثور وبابل في الستمئة او الخمسمئة سنة السابقة لفجر النصرانية.

ان هذا الوضع الطائفي الاخير الذي آلت اليه الامة السريانية ليس منوطا بها وحدها او متخصصا بهـا فقط، بل هو المصير او المحط الاخير لكل الامم المتمدنة، وذلك من نتائج سيرها في مضامير الحياة. ولا بـد لجميـع امم الارض من الوصول اخيراً الى هذه الحالـة الطائفية، كل

واحدة بدورها، ان عاجلاً او اجلاً، وهذه هي سنّة الحياة وعوامل التطورات الزمنية التي تجابهها كل امم الارض وشعوبها.

وكما ان امبراطوريات ودول الامة السريانية، من بابلية واسورية، او ارامية وكنعانيـة، انحدرت بعد زمن طويـل، الى مستوى الدويـلات الارامية، ومن ثم الى انظمة الطوائف الدينية، فقد ظهرت في العالم، بعد زوال امبرطوريات الامة السريانية، لمدد قصيرة، عدة امبراطوريات لامم أُخر غير سريانية، في مدة الخمس والعشرين قرن، مضت والتي لحقت سقوط بابل، وهـي امبراطوريـات الفرس واليونان والرومـان والعرب والعثمانيين، التي كلّهـا تعرّضت للانحدار فـالزوال، بسبب التغيرات والتطورات الزمنية، بعد ان عاشت مدداً قصيرة ووجيزة، بالنسبة لمجموع مدد حياة الامـة السريـانية وامبراطورياتها. ومعظم تلك الامم انحدر ايضاً الى مستوى الدويلات المتعددة، ومن ثم نزلت الى مستوى الطوائف والملل الدينية التي لا تعد ولا تحصى، واخيراً انقرض كلياً البعض منها باندماجها مع شعوب وامم أُخرى.

ومن هذا القبيل، لنا مثال حديث، من حيث التشبيه والمقابلة، وذلك بالايماء والنظر، او بالاشارة الى الامة البريطانية الحالية، التي بعد ان تكوّنت من اتحاد وتجمّع عشائر وقبائل كلتيّة وانجلوسكسونية وغيرها من العناصر المتقاربة، منذ ايام العصور الوسطى، وتطوّرت الى اربعـة شعوب رئيسية، منها الانكليزي والولشي والاسكتلندي والايرلـندي، التي باتحادها تشكلت الامبراطورية البريطانية الشاسعة والواسعة الاطراف، في العصور الحديثة والاخيرة فها انها الان تتراجع عن توسعها العظيم، مـا فوق البحار، وتتقلّص في جزائرها البريطانية، حيث باشرت شعوبها، مثل

الايرلنديين والاسكتلنديين، يحاولون الانقسام والانفصال من وحدة التاج البريطاني، والعودة الى نظام الدويلات والطوائف، هذا رغم نضوجهم الثقافي والمدني، ورغم اتحادهم القومي باوصال اللغة والثقافة الانكليزية التي هي الان اللغة العالمية الاخيرة، كما كانت من قبلها اللغة السريانية، اول لغة عالمية، حتى ايام القرن العاشر الميلادي.

وبالمقابلة ايضاً نرى ان الامة السريانية، عَلَى كثرة تطوراتها التاريخية، فانها تختلف وتتميَّز وضعاً وتكويناً، عن سائر تلك الامم العظمى، من حيث طول مدة بقائها في الحياة، والتي بواسطتها تمكنت ان تقدّم للبشرية اديانا سامية، وثقافات نيّرة، وانظمة اجتماعية صالحة، ومدنيات وحضارات راسخة وقابلة التطبيق، عَلَى الحياة البشرية، الى ان اصبحت مدنيتها اسلوباً ونموذجاً صالحا، بل وقاعدة راسخة، لعدة مدنيات، عَلَى سطح الكرة الارضية، اشتركت ولم تزل تشترك في تسيير المدنية العالمية،وفي انقاذ البشرية من خطر الهلاك والزوال، او من طغيان الجهل، والعودة الى حياة الغاب الوحشية، كما هي الحال في بعض اقاليم العالم، حيث لم تصل اليها مآثر المدنية والثقافة السريانية، التي تأثرت بها معظم اقاليم العالم، بهمة ونشاط شعوبها وطوائفها، منذ اقدم العصور، الى ايامنا هذه.

واما السريان الذين تعرّبوا واسلموا اثناء الفتوحات العربية الاسلامية، فانهم مثلما شكّل آباءهم واجدادهم القدماء جسامة امبراطوريتي آشور وبابل في العصور القديمة، هكذا ايضاً في حاله العروبة شكلوا معظم جسامة الامبراطوريات العربية الاسلامية، وخاصة الاموية والعباسية. وكما ان دول امبراطوريات آشور وبابل، لدى انهيارها من اعالي مجدها الزمني تعرّضت واستسلمت لحكم الفرس واليونان والرومان، كانت قد انقسمت

الى دول آرامية سريانية، هكذا ايضاً فان الامبراطوريات العربية الاموية والعباسية تعرّضت واستسلمت لحكم الاتراك والعثمانيين وغيرهم، منذ القرن التاسع وحتى اوائل القرن العشرين الذي فيه تحرر سكانها وشكلوا الدول العربية الحالية مثل العراق وسوريا ولبنان والاردن و (فلسطين) المماثلة جميعها للدول الارامية السريانية، الامر الذي منه نعلم كيف ان في هذه المرة ايضاً اعاد التاريخ نفسه، وكيف هكذا تطوّرت بالتسلسل شعوب الامة السريانية من العناصر البابلية الاشورية ودخلت في الشعوبية والتسمية «الارامية»، ومنها في الشعوبية والتسمية «السريانية»، واخيراً دخل معظمها في الشعوبية والتسمية «العربية» الحالية، التي كلها في الاصل كانت قد انحدرت من شعوب وعناصر آشور وبابل، وسومر وآكاد، وكنعان وآرام. ولكن رغم استسلام ورضوخ الامة السريانية لنير وحكم الفرس واليونان والرومان لمدة تزيد عن الالف سنة، ورغم اندماج الملايين منها في عناصر وشعوب تلك الدول الثلاث الغير السامية، الاّ انهم لم يشكلوا جسامة امبراطورياتها كما شكلوا جسامة الامبراطوريات العربية الاموية والعباسية، في مدة قصيرة جداً، بتأثير التشابه والقرابة العنصرية السامية وسهولة التفاهم بين اللغة السريانية والعربية. وما زالت حتى الان سائرة عملية تعرّب الشعوب السريانية واندماجها في العروبة مع الاحتفاظ بالعقائد الدينية والثقافة السريانية الموروثة بشكل كنائس ومعاهد سريانية مسيحية او نصرانية؛ ومع التمتع بالحرية الدينية وثقافتها، لاعتبارها وكونها اصل ومصدر الاديان الالهية، والثقافة والمدنية العالمية المسيرة لحياة امم وشعوب الارض.

ومن نتائج هاتيك الاوضاع ـ من انضمام واندماج ـ فان عدد الامة

السريانية حالياً، يزيد عن الثلاثة ملايين من الانفس والذين ينطقون ويتكلمون اللغة السريانية الشرقية والغربية علىَ اختلاف لهجاتها الارامية، بالاضافة الى اللغة العربية الدارجة حالياً بين الدول العربية الحديثة المشار اليها هنا.

صورة ملك بابل الكلداني يقدم احترامه للاله مردوخ العظيم

المقالة الثانية

معجزات الامة السريانية الثلاث

الثقافة ـ الدين ـ المدنية

القسم الاول

لقد اجمع رأي معظم علماء التاريخ المدني، وعلماء الاجتماع، بان الثقافة والدين والمدنية، هي علوم ومعاهد وانظمة بشرية، ذات ميزات متشابهة، توارثتها البشرية، تدريجيا، من افكار واراء ومعتقدات وتقاليد الاقدمين كالشعوب السريانية وغيرها لصالح ولخدمة الانسانية، ولوضع اساليب تحسين وتسيير احوال حياتها الاجتماعية للحصول عَلَى هناء وسعادة روحية وزمنية.

ومن الاكتشافات الاثرية والمباحث التاريخية، ثبت بان شعوب الامة السريانية، مع مدنها ودولها وممالكها، كانت اسبق الشعوب الى ايجاد وتنظيم تلك المعاهد والعلوم والمعارف، وتطبيقها عَلَى حياة الافراد والجماعات البشرية المختلفة، في معظم بلدان العالم القديم الممتد من النيل الى الكنج، والتي كان يتوسطها الفرات والدجلة، وهي تلك المنطقة المعروفة باسم «فردوس عدن» او الجنة الزمنية كما يعني اسمه بالسريانية.

ان شعوب الامة السريانية، نمت وازدهرت في وسط المنطقة، او بالاحرى، كانت اوطانها قلب هذه المنطقة الواسعة الاطراف، وهي

التي عُرفت باسم سوريا وما بين النهرين الممتدة من اواسط فارس حتى البحر الابيض المتوسط ·

هنالك نشأت ونمت اولا، شعوب الامة السريانية، منذ ختام العصر الحجري الاخير، او منذ نحو عشرة الاف سنة خلت، وخاصة، في المناطق الجبلية الشمالية المائية، حيث وُلد القلب الخافق للمدنية البدائية، وهي المنطقة المنقسمة حالياً بين حكومات ايران وتركيا والعراق وسوريا، وحيث ما زال مقيماً عدد كبير من ابناء الامة السريانية، ومن ناطقي اللغة السريانية الارامية، بلهجتيها الشرقية والغربية، ومن هنالك اتسع وامتد محيطها، الى جميع النواحي والاقطار او الجهات المجاورة، خاصة، بعد الالف السابع والسادس (ق‌م)، الى لن وصلت الى خليج فارس واقاصي جنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الاحمر جنوباً، والبحر الاسود والقزوبين شمالا، وبلاد فارس او ايران شرقاً، وبلدان شمال البحر الابيض المتوسط او اسيا الصغرى، ومصر وشمال افريقيا غرباً ·

هنالك ايضا،واعني انه في شمال ما بين النهرين،ظهرت للوجود اقسام الامة السريانية البدائية، بشكل جماعات تمارس فلاحة وزراعة الاراضي والحقول وانشاء البيوت والمساكن والدساكر التي من مجموعها، تكونت القرى والمدن والعواصم المتعددة، في مدى الاربعة الاف سنة الاولى السابقة لحوادث الطوفان الكبير، الذي ثبت بأن حوادثه المهلكة وقعت في ذلك المحيط السرياني، بين الالف الخامس والرابع (ق‌م)·

وبحكم البيئة والتكاثر والتكاثف، التأمت وتطورت تلك العشائر والقبائل البدائية المتشابهة من حيث العنصر والمعيشة واللهجة، واصبحت شعوباً متقاربة ومتآخية، عُرفت فيما بعد، باسم شعوب الامة السريانية او

الشعوب السامية الشمالية الاولى التي منها كان الاشوريون او الاثوريون والاكاديون (او الاكاريون)، والسومريون والبابليون والاراميون والكنعانيون، وفروعهم العاموريون والقرطجنيون· وبسبب تعميم اللغة الارامية بين هاتيك الشعوب المتآخية، وتفوقها عَلَى جميع اللهجات الاخرى المتقاربة، فقد عُرفوا باسم الشعوب الناطقة بالارامية، وفيما بعد باسم الشعوب «السريانية»، ذلك الاسم المتحدر اصلاً، من اسم اشور او اسور، كما سبق وتبيّن، ولذلك تُعرف احيانا، بقاياهم الحالية باسم السريان الاراميين، او السريان الاشوريين· وهؤلاء الشعوب المذكورة اوجدوا اولا ونظموا حكومات المدن وثم دولا وممالك متعددة، والتي من اتحادها، تكونت الامة السريانية تدريجيا، بتأثير عوامل القرابة العنصرية، وتشابه اللهجة واللغة، واسلوب حياتهم الاجتماعية، الى ان بهمتهم، وجدت اولا، الثقافة والدين والمدنية القائمة عليها الان المدنية الحالية، وهي المعروفة عند علماء التاريخ، باسم معجزات او عجائب الامة السريانية·

في تلك الفترة او الحقبة الطويلة الواقعة بين العصور الحجرية الاخيرة، ونكبة الطوفان الكبير، كانت تنشأ وتنمو وتتكون، في الاوطان السريانية الشمالية، تبعاً لتطور السكان في حياتهم الاجتاعية، ولهجات اللغة السريانية البدائية التي عُرف البعض منها بعد الطوفان، باسم الارامية، وذلك لنشوئها في الاماكن العالية كما يستدل من معنى اسمها، ثم باسم الاكادية او الاكارية في لمناطق السهلة والوسطى، لكون اهل هذه المناطق آنئذ، اكارين او مزارعين، وباسم السومرية لكون سماء تلك المناطق الجنوبية دائمة الاضائة والنور ، ومن اتحاد هذه اللهجات الارامية والاكادية والسومرية، ظهرت اللهجة الاثورية في الشمال،

واللهجة البابلية في جنوب ما بين النهرين، وعيلام، والخليج الفارسي وشط العرب *. وظهرت فيما بعد اللهجة الكنعانية، في جنوب فلسطين والاردن ومنها اشتقت اللهجة العامورية ومن خليط الارامية والكنعانية، تكوّن اللهجة العبرية، منذ الألف الثاني (قم).

ومنذ كارثة الطوفان، وحتى ازمنة فجر النصرانية، وهي حقبة أُخرى، تقارب الاربعة الاف سنة، ولكثرة تنقُّل قبائل الاراميين بين باقي الشعوب السريانية، كانت تغطي اللغة الارامية، عَلَىٰ سائر لهجات تلك الشعوب السريانية المتآخية، وتندمج بها، الى ان هكذا، تشكلت منها نهائيا، اللغة السريانية المعروفة، والمتداولة الان بين شعوب وطوائف الامة السريانية، وبين طيات الكتب الدينية والمؤلفات الادبية التي ورثتها البشرية الحالية عن اسلاف السريان، فاصبحت، والحالة هذه، لغة واسعة التعبير والتفاهم، تحتوي عَلَىٰ الفاظ واصوات لمعاني كلمات وعبارات، يعود اصلها، الى أقدم الازمنة، وهي ما زالت تحوي ايضاً معظم العلوم والمعارف الدينية والمدنية، التي حصلت عليها البشرية، منذ فجر التاريخ...

ولعراقتها في القِدم، وامتداد عمرها وبقائها، وعظمة توسُّعها

---

* ويُظن ايضاً، بان جميع تلك اللهجات المتعددة، التي من اتحادها وجدت وتكونت اللغة السريانية الحالية، قد اشتقت من اللغة الشامية او السامية الاولى، التي ظهرت، اولا، في ما بين النهرين العليا، وخاصة، في مناطق اثور الجبلية، ومن ثم انحدرت جنوباً «مع الاقوام الذين نزحوا الى الجنوب» بعد ايام الطوفان، حيث اسسوا دول سومر واكاد وبابل ومنها نزح اقسام منهم الى شبه الجزيرة العربية الجنوبية، حيث تطورت اللغة العربية من الاصل الارامي والى ما هي عليه الان.

وانتشارها، تكاد لا تخلو، اي لغة من لغات العالم، من مفرداتها ومشتقاتها، ومن مآثر ثقافتها الدينية والادبية، وهي الان، المصدر والمرجع الهام، لفهم كنه الاديان الالهية المنزلة، وادابها وثقافتها، وخاصة، الديانة المسيحية الصادرة اصلاً من اعماق الثقافة السريانية القديمة، والمتدولة الان، بين مئات الملايين من البشر، وما زالت الواسطة لحل الالغاز الدينية، ومعانيها التاريخية المكنونة في اثار وتحف الاقدمين· وبدون العودة اليها، من حيث الترجمة والتفسير، تظل معاني الاديان الالهية، الغازا معقدة، لا حل لها· ولهذه الاسباب كلها، كانت قد احتلت اللغة السريانية، المكانة الاولى في التداول بين الامم، واصبحت اللغه العالمية الاولى للتفاهم بين شعوب وامم الارض، منذ نحو القرن الخامس عشر(ق م) والى ايام القرن العاشر (ب م)·

وطوال المدة التى كانت فيها، تتكون اللغة السريانية، من لهجاتها المتعددة، كانت ايضاً دائمة الامتداد الى كل النواحي والجهات، وخاصة، الى الجنوب، الى ان بلغت اقاصي جنوب شبه الجزيرة العربية، حوالي بداية الالف الثاني (ق م)، حيث تكونت وتطورت اللغة العربية من خليط او مزيج اللهجة الارامية والكنعانية والعبرية، ومنها عبرت الى شرقي افريقيا وبلاد الحبشة، حيث تكونت للهجة الامهرية او الحبشية المعروفة. وخلال مدة الالفي سنة السابقة للنصرانية، اختصت اللغة العربية بلهجاتها المتعددة، واصبحت اداة تفاهم بين سكان الخيم في البوادي والصحاري الجنوبية، وبين مدن شواطيء جنوب وغربي شبه الجزيرة العربية، وبعد ان عمت جميع تلك المناطق الجنوبية انقلب سيرها، وانعكس امتدادها، نحو الشمال، حيث اخذت تتسلل وتحل رويداً رويداً

في كثير من امـاكن امتداد اللغـة السريـانية، مدفوعة بقوة الفتوحات الاسلامية العربية الى ان حصرت استعمال اللغة السريانية، في مواطنها الاصلية، وفي اماكن منابتها ونشوئها البدائية، في المناطق الشمالية، لما بين النهرين، الممتدة من غربـي فارس وبحر قزوين، والى الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط. وهي الان المنطقة المقسومة بين اربع دول اسلامية هي : تركيا وايران والعراق وسوريا·

امـا في المناطق الجنوبيـة من الاوطان السريـانية، والمحاذية للمناطق الشمالية، فما زالت اللغة السريانية مستعملة فقط، في بعض المدن والعواصم السريانية القديمة· وفي كلا المنطقتين، الشمالية والجنوبية، قد يبلغ الان، عدد الناطقين باللغة السريانية، نحو اربعة ملايين، تتكلمها جماعات الطوائف السريانية، وجماعات صغرى من النصارى والاسلام واليهود، في بلاد الشرق الاوسط، كالعراق وتركيا وسوريا ولبنان· وهي منتشرة خاصة، في طور عابدين وجبال هيكارى وشمال الموصل وفي داخل بغداد وحلب والشام والقرى المجاورة، وفي بعض الاماكن، في فلسطين والاردن، وثم في ايران واورميا واذربيجان وارمينيا وجورجيا، وجنوب روسيا، هذا عدا عن مئات الالوف من الناطقين بها، وهم مشتتون ومنتشرون في الهند وغيرها، من اقطار اسيا واوربا واستراليا والثلاث اميركيات·

ونظراً لهـذه الحالـة، نجد بان اللغة السريـانية عاشت وتعيش بالتداول بين البشر حتى الان، وهي مدة تناهز العشرة الاف سنة، باعتبار بداية نشوئها، منذ ختـام العصور الحجرية، الى ايـام القرن العشرين الحالي· ولهذه الاسباب وغيرها، نرى ان اللغة السريانية، فضلاً عن كونها اول لغة بشرية قديمة واسعة التداول فقد اصبحت كمرآة عالمية

انعكست عليها، معظم تطورات المدنية والثقافة البشرية، منذ ختام العصور الحجرية الى يومنا هذا.

واما الان، وبالعودة الى بحثنا في العصور القديمة، او عَلَى الاقل، بالعودة الى ازمنـة الالف الخامس (ق.م) يمكننا ان نرى، بان ظواهر اتحاد الشعوب السريانية البدائية، بما في ذلك، من توحيد مدنها وممالكها ودولها، لتكوين الامة السريانية، كانت طبيعيا، قد نشأت وتطورت في فترات او مراحل زمنية متعددة، وبرزت اولا بهمة ورباطة جأش قاداتها العظام، الى ان اخذت تتجسم الحركة الاتحادية، في الالف الرابع (ق.م) بفضل وهمة كلكمش ملك آرخ في العراق، الـذي حاول بعزم شديد وبشتى الوسائل الادارية، بتحقيق ذلك الاتحاد، مبتدءاً بتوحيد مدن سومر وآكاد. وواصل تحقيق تلك الغايـة، من بعـده، أور نعمه ملك مدينة أور، بواسطة توحيد الانظمة والنواميس والقوانين المدنية والاجتماعية، التي كان قد ورثها عن الاقدمين والسابقين له، جاعلاً منها وسيلة قويـة لحفظ امن السكان وسلامتهم واتحادهم.

واخيراً، وفي الالف الثالث (ق.م)، وعَلَى ضوء اعمال وهمة كلكمش وأور نعمه، توفّق سركون الاول الاكادي، من توحيد دولتي سومر وآكاد في مملكة واحدة هي بابل العظيمة، في القسم الجنوبي لِما بين النهرين، مقابل مملكة اشور او اسور، في القسم الشمالي ومعظم المناطق العالية لِما بين النهرين.

وفي فجر الالف الثاني (ق.م)، توفّق ايضاً عمورابي ملك بـابل، من توحيد مملكتي اشور او اسور وبابل مع بقيّة ممالك الشعوب السريانية الاخرى، في غربي عيـلام وفارس، وغربي نهر الفرات، بمـا في ذلك،

سوريا ولبنان وفلسيطن والاردن وسيناء وسكانهـا، كالاراميين والكنعانيين مع البابليين والاشوريين. وهكذا فقد تم له التوفيق في توحيد كل البلاد والشعوب السريانية الممتدة من اواسط إيران وعيلام الى البحر الابيض المتوسط، ومن اسيا الصغرى وجبال اشور وجبال طوروس، الى شبه جزيرة سيناء والحدود المتآخمة لمصر، في وحدة كبيرة وعظيمة، عُرفت فيما بين الاتحاديين، باسم سوريا بمعنى اوطان الامة السريانية. وفيما بعد فقد سميت الاقاليم الواقعة بين الفرات والبحر الابيض المتوسط، باسم سوريا الداخلية والاقاليم الواقعة شرقي الفرات باسم سوريا الخارجية. وكانت زعـامة او ادارة ذلك الاتحاد السريـاني، تتنقل بين آسور وبابل، حيث كانت مستقرة زعامة الدين والثقافة.

بيد ان ذلك الاتحاد الذي ظهر اولا بجهود كلكمش وأور نعمه وسركون وعمورابي، كان يتعرض من وقت لاخر، للانحلال والانقسام، لسبب كثرة الغزوات من الخارج، ذلك لانـه منذ تلك الازمنة السحيقة كانت الاوطان السريانية، وجمال ازدهارها وتقدمهـا المدني، وعظمـة غناها، مجلبة للغزاة او القبائل الرحَّل، وجماهير البشر المتنقلة لاشباع مطامعها البشرية.

وفي الالف الثالث مثلاً، او في ايام نارام سين، حفيد سركون الاول نزحت جماهير كُبرى من القبائل الارية، من المناطق الشمالية الى بلاد اشور وارام، في القسم الشمالي، لِما بين النهرين، حيث تصدّى لهـا نارام سين، وحوّل اتجاهها نحو فارس شرقا ونحو اسيا الصغرى والبلقان غربـاً. ولكن بعـد ذلك او فور وفاة وريث عمورابي العظيـم، كانت معظـم الاوطان السريانية، قـد وقعت تحت سيطرة الغزاة او العنـاصر-

الاجنبية، مثل الكوشيين والحثيين والسَّكونيين والمصريين، طوال اربعمئة سنة تقريباً، الى ان تمكن السريان الاشوريون، وذلك منذ القرن الثالث عشر (ق‌م)، بالتعاون مع اخوانهم السريان الاراميين من القضاء نهائياً عَلَى تلك العناصر، بعد حروب دامت اكثر من مئة سنة.

وأُعيد توحيد البلاد وتحريرها نهائياً عَلَى يد شلمن اسر الاول ملك آشور (١٢٧٣ ق‌م)، مؤسس الامبراطورية الاشورية الثانية، وبها أُعيدت الى الامة السريانية، حريتها وحرية اوطانها التي دامت الى اواخر القرن السابع والسادس (ق‌م)، او الى ايام سقوط نينوى سنة ٦٠٦ (ق‌م)، وسقوط بابل سنة ٥٢٨ (ق‌م)، في قبضة الفرس واليونان والرومان، في العصور اللاحقة.

وفي خلال تلك العصور الطويلة والمتعددة، كانت الامة السريانية، توالي حثيثاً سيرها نحو التقدم الديني والمدني والثقافي، وامتداد مآثر ثقافتها ومدنيتها الى جميع الاقطار المعروفة، القريبة والبعيدة، وهي قليلة المبالاة بالحكام الاغراب الذين كانوا ايضاً يصطبغون بصبغة المدنية والثقافة السريانية، الى ان اصبحت الاوطان السريانية، مُرتكزاً ومصدراً للدين والمدنية والثقافة العالمية، حتى تولَّدت منها الثقافة المسيحية ومن بعدها الثقافة الاسلامية. وكان قد اهتم بالمحافظة عَلَى ذلك الاتحاد والتقدم المدني، ملوك وعظماء اشور وبابل امثال شلمن اسر الاول ونصري بال، وتغلت بل اسر الاول وشلمن اسر الثالث، وسركون الثاني وسنحاريب واسر حدون واشور بني بال ونبوبل اسر ونبوخذ نصر ونبونيدس وكثيرون اخرون ممن كانوا قد اعتادوا ان يضموا اسم اشور، بأنواع الفاظه أو مشتقاته اللفظية، الى اسمائهم الملوكية الخاصة، تيمُّناً باسم هذا الاله

حامي الامبراطورية والامة السريانية. والذي كان يُعد اباً او إلهاً خاصاً لجميع السريان، وخاصة للاسُوريين الناطقين باللهجة الارامية السريانية. ومرجع كل ذلك، لان تحرير الامة جمعاء من نير الخوارج كان بفضل جهاد وهمة الاشوريين او الاسوريين واخوانهم الاراميين. وبسبب ذلك النجاح والتوفيق في القضاء عَلَى العناصر الخارجية، بالاتفاق مع اخوانهم الاراميين، اثناء حروب طويلة، كانت تتفوّق اللهجة الارامية عَلَى سائر اللهجات السريانية الأُخر بما في ذلك اللهجة الاشورية والاكادية والسومرية والكنعانية او الفينيقية التي التأمت واتحدت جميعها مع اللهجة الارامية، وأُطلق عليها اسم اللغة السريانية. وقدراً لجهود السريان الاشوريين في تحرير البلاد، فقد ثبتت الامة نهائيا، هذه التسمية الاخيرة في السبعة قرون السابقة لفجر النصرانية، وذلك ايضا لان هذه التسمية الاخيرة المشتقة من اسم اسور كانت سارية منذ الوف السنين بشكل غير مثبت.

وبعد سقوط اشور وبابل، في قبضة الفرس واليونان والرومان، قسّمت البلاد السريانية مجدداً الى دويلات وممالك سريانية ارامية، مثل حدياب والحطرة ودوله الاباجرة في حران والرها ودولة تدمر وغسان ودولة الانباط. ودام حكم معظم تلك الدويلات الارامية السريانية الى ازمنة الفتوحات العربية الاسلامية ثم تعرّب معظم سكان تلك الدويلات، واعتنق الاسلام، ومنهم تكونت وتشكّلت اولا شعوب دولتي الامويين والعباسيين ومن ثم تطورت عَلَى مدى الازمان الى شعوب الدول العربية الحديثة، مثل العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين كما وان اقساماً

أخرى من شعوب تلك الدويـلات الاراميـة السريـانية اندمجت نهـائياً بالشعوب الايرانية والتركية وغيرها واسلمت٠

وبالرغم من كل تلك الانقسامات والانفصالات، فقد بقي قسم آخر كبير محافظا على كيانه السرياني بشكل اقليّات او طوائف وكنائس وملل دينية، متعايشة ومقيمة حتى الان بين هذه الدول والشعوب العربية والاسلامية المذكورة٠ ومن هؤلاء السريان المحافظين، السريان الاشوريون والسريان الكلدان والسريان الموارنة والسريان الكاثوليك والسريان الارثوذكس، الذين يربو عددهم الان عن الاربعة ملايين من الانفس منتشرين من إيران الى لبنـان ومن حـدود روسيا السوفياتية الى خليج فارس، الى شبه الجزيرة العربية٠ ومعظم هذه الملل والطوائف السريانية ما زالت تتداول باللغة السريانية، بلهجتيها الشرقية والغربية٠ والسائح الاجنبي، يصادفهم الان منتشرين، في إيران واذربيجان وارمينيا وجورجيا وتركيـا والعراق وسوريا ولبنـان والاردن وفلسـطين واليمن والكويت والحجاز والسعودية٠

اننا لنعلم الان بانه منذ زمن الطوفان الكبير، قـد كانت الشعوب السريانية القديمة منتشرة في اقاليم وبلدان الشرق الاوسط الممتدة من غربي فارس او اواسط ايران الحالية الى الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط، وذلك لانه في القسـم الجنوبي لِما بين النهرين وعيـلام وشط العرب، ومنطقة خليج العجم او خليج العرب، كانت قد نشأت وازدهرت منذ القِدم، حضارة ومدنية السريان البابليين او الكلدانيين٠ وفي القسم الشمالي لما بين النهرين، ومعه اذربيجان وشمالي غربي إيران وسوريا حتى جبال طوروس الشرقية، كان موطن نشوء وازدهار حضارة السريان

الاشوريين. وبجانبهم او عَلَى امتداد منهم غربا نحو البحر الابيض المتوسط كان موطن حضارة اخوانهم السريان الاراميين، الذين كانوا قد امتدوا واستوطنوا بلاد سوريا الحالية والقسم الجنوبي الشرقي من اسيا الصغرى، او تركيا الحالية، منذ ايام الطوفان. وقد كانت قبائل هؤلاء الاراميين، اكثر تنقلاً في طول البلاد السريانية وعرضها، الامر الذي سبب تفوّق لهجتهم الارامية عَلَى سائر اللهجات السريانية الاخرى المعاصرة لها، وهكذا ايضاً، فان شبه جزيرة سيناء والاردن وفلسطين والبلاد المحاذية للبحر الابيض المتوسط والممتدة من سيناء الى قيليقيا في اسيا الصغرى، فقد كانت موطناً للسريان الكنعانيين الذين منهم خرج العاموريون والفينيقيون والقرطجنيون، وفي معظم هذه المواطن السريانية، تقطن الان شعوب الدول العربية الحديثة والحالية، مختلطة معها البقايا السريانية المنوّه اليها كطوائف واقليات دينية.

واذا حلّلنا تاريخيا، ماضي الشعوب العربية الحالية، في العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين، نجد بان معظمهم تحدّروا اصلاً من هذه العناصر السريانية التي تعرّبت بعد دخولها في الاسلام. واما قبل ذلك فقد كانوا إما اسوريين او اراميين او كلدانيين او كنعانيين او فينيقيين، كل حسب منطقة نشوئه.

ان هذه الاوطان السريانية القديمة، في بلدان الشرق الاوسط، كانت قد اصبحت القلب الخافق لامتداد المدنية السريانية وثقافتها واديانها، التي منها تكونت المدنية العالمية. ومن تلك الاوطان امتدت اولا، وخطت الى باقي اقطار العالم القديم، بشكل ثلاث مراحل او مناطق عالمية كبرى، وذلك انه في الالف الرابع (قم) كانت معالم المدنية

السريانية وثقافتها قد امتدت بالقوافل السريانية الارامية والاشورية الى آسيا الصغرى شمالا، والى عيـلام وفارس وباكستان شرقـاً، وبواسطة القوافل الكنعانية والارامية امتدت الى مصر وشمال افريقيا غرباً، وهكذا ايضاً الى اليمن والحجاز واقاصي شبه الجزيرة العربية جنوباً.

وفي اثناء المرحلة الثانيـة، في الالف الثالث امتـدت الى الهند والصين شرقاً، والى غربي اسيا الصغرى وبلاد اليونان والبلقان وجنوب اوروبا غربا وجنوب روسيا شمالا، ومن ثـم الى شرقي افريقيا والحبشة جنوباً. واخيراً من هذه المرحلة او المنطقة الثانية، امتدت مآثر المدنية السريانية في مرحلتها الثالثة منذ اواخر الالف الثاني (قم) وسارت الى المناطق الاخرى القصوى من العالم القديـم، الى ان وصلت الى غربي افريقيا وشبه جزيرة إيبيريا (اسبانيا والبرتغال) في شرقي المحيط الاطلسي، والى اندونيسيا في المحيط الهادي في القرن العاشر (قم). وفي اثر هذه المراحل الكبرى لسير المـدنية السريـانية، سارت فيمـا بعد، فتوحات الثقافات العـالمية الكبرى ومدنياتهـا، كالمدنية الفـارسية، والمـدنية اليونانية، والمدنية الرومانية، واخيرا المدنية العربية او الاسلامية، والتي قامت جميعها ونشأت عَلَى مبادىء واسس المدنية السريانية واديانها وثقافتها، ذلك لان الشعوب السريانية القديمـة المذكورة انفـاً، مثل السـومريين والاكاديين والبابليين والاشوريين والاراميين والكنعانيين وفروعهـم، كالكلـدانيين والعبرانيين والادوميين والعـامـوريين والفينيقيين، كانت العامل القوي في نمو وازدهار وتدفق وامتداد المدنية العالمية من الاوطان السريانية الى جميع الاقطار العالمية القريبة والبعيدة في مدى الاربع الاف سنة السابقة للميلاد.

ومن خلال البحث والتدقيق في سير التاريخ ومراحله، يمكننا ان نعلم بان الامة السريانية قبل كل امم الارض، صارت أُمّاً للمدنية العالمية بعد ان تميَّزت بثلاث مزاياها الهامة والمتشابهة والتي تولَّدت منها، وهي: الدين والثقافة والمدنية.

والغاية من بحثنا هذا، النظر في نشوء هذه المزايا الثلاث التي منها نمت وامتدت الاديان الالهية الثلاثة المعروفة الآن باسم : اليهودية والنصرانية والاسلامية، ولكل من هاتين الديانتين الاخيرتين، اعني النصرانية والاسلامية، تسنى ان تصبح ديانة ارسالية عالمية لفائدة كل العناصر البشرية دون استثناء ولتقدمها ثقافياً ومدنياً. ولقد سارت الواحدة منها تقريبا مقابل الاخرى، في امتدادها الى ان تمركزت النصرانية بين شعوب وامم المناطق المعتدلة الشمالية للكرة الارضية، بعد نموها وامتدادها، اصلاً من بلاد اشور او ارام، او شمال ما بين النهرين وسوريا، عَلَى يد اقوام ذوي ثقافة سريانية، كما وان الاسلامية ايضاً تمركزت بين شعوب وامم المناطق الحارة الجنوبية للكرة الارضية، بعد نموها وامتدادها، اصلاً من بلاد بابل وكنعان او جنوب ما بين النهرين وفلسطين والاردن وجنوب شبه الجزيرة العربية. واما اليهودية فلم يتسنى لها ان تكون ديانة تبشيرية عالمية او ارسالية، لكل العالم، وذلك لانحصارها في احدى الشعوب العبرانية او الشعب اليهودي الاسرائيلي، ولاصرار قومها عَلَى تطبيق نواميسها وتقاليدها عَلَى الشعب اليهودي فقط، رغم كثرة تنقل وانتشار اهلها بين شعوب الارض واممها.

ومنذ اواخر الالف الرابع (قم) كانت قوافل الشعوب السريانية التجارية وبعثاتها المتنوعة الصادرة من اثور وبابل وسوريا تشق طريقها

براً و بحراً عَلَى شكل خطين متقابلين، شمالـي وجنوبي. كان يمتد الخط الشمالي كطريق سلطاني من بلاد اثور الى اوروبـا الجنوبية وحتى شبه جزيرة ايبيريا غرباً، والى الصين شرقاً، ويمتد الخط الجنوبي غرباً من بابل الى مصر وشمال افريقيا، وشرقاً الى الباكستان والهند. ونظراً لتمركز او توسُّط معظـم الاوطان السريانية بين هـذين الخطين الرئيسيين، فان دولتي اثور وبابل كانتا دائماً تحافظان باهتمام مزيد عَلَى سلامة مرور وتنقل القوافل التجارية والبعثات المتنوعة، وخاصة لسلامة مرور البعثات العسكرية وتنقلهـا السريع شرقـا وغربا، بين خطوط وطرقات تلك المواصـلات العالمية القديمة التي كانت قـد اصبحت بمثابـة اوردة حيويَّة رئيسية لتوزيع وانتشار وتبادل المنتوجات التجارية، بالاضافة الى بث المعلومات الثقافية والعلمية والدينية بين سكان العالم القديم. وبحكم الموقع الجغرافي كان الشعب الاشوري والارامي، اكثر تنقُّلاً وتردداً في البلاد التي كان يتخلَّلها الخط او الطريق السلطاني الشمالي، الذي بالمرور عليه ومن حوله، كان النجاح والامتداد العظيم للثقافة الدينية والمدنية النصرانية، كما وان الشعب البابلي والكنعاني ايضا، كان اكثر تنقلاً عَلَى الخط الجنوبي الذي حوله تم اعظم نجاح وامتداد للثقافة والديانة الاسلامية.

وبنظرة خاطفة الى المراكز الجغرافية لهذين الخطين، الشمالي والجنوبي، لنرى فعلاً بان النصرانية كانت قد امتدت وتمركزت في البلاد التي شقها الخط الشمالي، كما واننا نرى بان الاسلامية ايضا كانت قـد امتدت وتمركزت في البلاد التي شقها الخط الجنوبي، لا ن الاسلامية عَلَى وجه الاجمال كان مصدرها عصبية ومواريث ثقافة السريان البابليين والكنعانيين

كما وان النصرانية كان مصدرها عَلَى الغالب من عصبية ومواريث السريان الاشوريين والاراميين.

وبمجرد التأمل في كيفية وجود انظمة الحياة الاجتماعية وتطورها، في الاوطان السريانية، في الازمنة السابقة لحوادث الطوفان بالاف السنين او حتى الى زمن تحوّل حياة الانسان وخروجه من انظمة حياة الفطرة وتدرجه في انظمة الحياة العائلية الثابتة والحياة الاجتماعية والمدنية، فقد نجد بان العناصر السريانية البدائية المستوطنة في الاقطار الجبليَّة الشمالية، والاصقاع المائية لبلاد ما بين النهرين الشمالية، التي عُرفت عامة باسم اثور وحيث ما زال يعيش قسم كبير من سلالة تلك العناصر حتى الان، قد كانوا هم الاولين بين البشر الذين سبقوا وكوّنوا لهم انظمة حياة اجتماعية، دينية و مدنية مرتكزة عَلَى حياة زراعية هادئة، وتربية المواشي والحيوانات الداجنة لاقتناء وتأمين القوت والمأوى الدائم، بدلاً من الاتكال عَلَى نظام حياة الصيد والقنص فقط، الذي كان يتطلب من الانسان التنقل الدائم وعدم الاستقرار او عدم إمكان تركيز مدنية ثابتة وراسخة، الامر الذي كان يوجه الى اللجوء للمغاور والكهوف وشقوق الارض ورؤس الاشجار هربا من قساوة الطبيعة وخطر الوحوش وغيرها من الاوضاع التي اخَّرت الانسان عن المباشرة في ايجاد وتنظيم الاحوال المدنية الى ما بعد ازمنة العصور الحجرية.

وبحكم قوة الادراك العقلي وتطوره التدريجي، عند اولئك البدائيين، وتأملهم بقوة الطبيعة الخفية والغير المنظورة، وبمصدر الحياة في هذا الكون وبوجود الانسان و ما يحيطه، فانهم وجدوا لهم بفضل فطنتهم وادراكهم وذكائهم العقلي، معتقدات واراء و نظريات، تمكنوا

بواسطتهـا ان يحققوا لهم نواميسـا دينيـة وعلوما ادبيـة تضمنت بعض المعلومات عن عجائب ومدهشات هذه الحياة، وعن مبدعها وخالقها الغير المنظور او القوة الفعَّالة لوجود المخلوقات والبرايا، تثقفت بواسطتهـا تدريجاً عقولهم وازدادت معلوماتهم العامة عن سير الحياة· واوجدوا لهم انظمة مدنية لحياة اجتماعية مثالية للسير والبلوغ الى افضل اساليب الحياة التقدمية لاسعاد الانسان· وبمرور الزمن اهتدوا الى المعرفة والاعتقاد او الايمان بوجود قوة عظيمة خفيَّة، فائقة الادراك للعقل البشري، هي المبدعة والخالقة، لكل ما يراه الانسان، حوله من البرايا والمخلوقات، بما فيها الانسان ايضاً، والارض التي يسير عليها والسماء والجلد والجو والهواء وكل مـا يكتنفه· وسميت تلك القوة بالسريانية باسم الحيل او حَيل بمعنى القوة، الذي تطور لفظيا وخطيا الى ايل ـ بابدال حرف الحاء بالهمزة لعدم وجود آنئذ صورة لحرف الحاء بين الاحرف السريانية الاسفينية· وعَلَى كثرة التداول كانت هذه الكلمة تلفظ ايضا إل· ومثلها ايضا اعتيض عن حرف الحاء بحرف الهـاء في كلمة حياة فاصبحت هياه او هيه· وبالايجاز تطورت الى هيا او الى ها· ثم أُضيفت ها الى ال فصارت ألها او الله، ومعناها قوة الحياة وهو الله تعالى·

ونحن نعلـم بان قبل ايجاد الاحرف الابجديـة لـم يكن هنالك احرف خطية او صورٌ تمثل جميع الاصوات الحلقيَّة والفاظها في الاحرف والاشكال الاسفينية، ولذا كان يستعاض عن الهـاء والحـاء والعين عاده بالهمزة او بالالف، فيتحول حيل الى إيل وحيـاة الى هيـاة او هية، والى الان فان الافرنج الـذين ليس لديهـم هذه الالفاظ الحلقية،

يعوضونها بالهمزة (A E I O U) ولذا نقلوا كلمة حياة وقالوا EA عن الترجمات السريانية القديمة، وهو اسم الالـه الرئيسي، اله الحياة اهيه. وهكذا ايضا تطورت كلمة البعل الى بال و بيل. وتطورت لفظة «حياة» عند العبرانيين نقلاً عن السريان عندما لـم تكن لهم صور حرفيَّة تمثل حرف الحاء، فاعتاضوا عنها باقرب الالفاظ اليها، حرف الهاء، فصارت هيه من حياة، وباضافة اداة التعريف وهي الهمزة بالسريانية القديمة الى اولها وصارت اهيه بمعنى الحياة، وموجزها اصبح يـه. وباضافة ألف التعريف الى اول هذه الكلمة بدلا من الحاء اصبحت «ايه» — E A — ومع مرور الزمن سُكبت الكلمة بالقالب العبراني ايضاً وذلك بابدال الالف او الهمزة بالياء في اولهـا، فاصبحت يهوى كما في اسـم يعقوب ويوسف ويوحنا ـ ولقد جمعها واضع سفر الخروج في عبارة «اهيه اشرهيه» راجع الاصحاح الثالث لسفر الخروج باللغة السريـانية تجد معناها ان الالـه اشور هو اله الحياة او ان الله هو اله بدء الحياة، ويُعنى بها اله بدء حياة الانسان، ولذلك فهو اله الاحياء وليس اله الموتى. هذا اتخذه اليهود إلهاً لهم لاعتبارهم بانه اله ابائهم، ابراهيم واسحق ويعقوب الذين كانوا في عداد الاموات، فانهم أحياء بالله اله الحياة كما علمهـم موسى النبي، تلميذ يثرون كاهن مديان العبراني الاصل واحد احفاد ابراهيم المؤمن باله واحد، او بالله تعـالى، وهو كما نوّه الى ذلك يسوع المسـيح ايضاً قائلاً بان الله تعالى هو اله الاحياء وليس اله الموتى (متى ١٧ : ٣١ ٣٣)

وتبعاً لتطور الحياة العادية ايضاً، فقد انتظمت تدريجياً النظريات الدالَّة عَلَى العلاقات الحسنة بين الانسان والقوة الخالقة الغير المنظورة، او الله خالق الانسان والعلاقات بينه وبين الانسان والانسان.

ووُضعت مثل هذه المعلومات في قوالب واساليب علمية، سميت بالنواميس التي من خلالها تكونت الشرائع والاديان، والتي بموجبها اتخذ المؤمنون الله اباً للبشرية، او الهاً رحيماً ومحبا للبشر، وهو مصدر القوات الخارقة للعقل البشري او ما فوق ادراكه، ومصدر الاعمال العجيبة والمحيّرة. واصبح في عرفهم الهاً واحداً أحد، هو الله تعالى الذي به بدأت الحياة.

وعن السريان امتدت مثل هذه المعتقدات الى جميع الشعوب المحيطة. ومن ثقافتهم استحدثت وتطورت الاديان الالهية العليا المسماة ايضا باسم الاديان السماوية التي منها اليهودية والنصرانية والاسلامية.

وزيادة في الايضاح ولادراك العقل البشري كان من الضروري للسريان الاقدمين، ايجاد وسائل منظورة وملموسة تمثل وتشبه القوة الالهية الخفية الغير المنظورة، بافضل الاساليب الممكنة والاستعانة بشكل الاشياء التي كانت لديهم او تشخيصها بصور اصنام وتماثيل، مُتخذين من الانسان وشخصياته وسيلة عامة لذلك التبيان والايضاح.

فمن الطبيعي انهم اضطروا الى اتخاذ الصور والتماثيل والاصنام وغيرها من الامور الملموسة والمنظورة. وسائلاً لتبيان الشخصيات والاقانيم الالهية المبهمة وقواتها كما اتخذوا الكتابات الصورية والاسفينية واخيرا الاحرف الابجدية وسيلة لتبيان وادلاء معانيها وتسجيل افكار واراء اصوات منطق الانسان والفاظه المسموعة والغير المنظورة. وهكذا خدمة وتسهيلاً لادراك العقل البشري، كانت قد اصبحت الصور والاشباه والتماثيل والاصنام والخطوط والكتابات منذ القديم، وسائل ثقافية متعددة لفهم وادراك الانسان شيئاً عن كنه اسرار قوة الحياة الغير المنظورة لتمثيل القوة الالهية، واظهار شخصياتها واعمالها للعيان بقدر الامكان. وظلت

تلك الوسائل التمثيلية، تسير بالتداول والتوارث من جيل الى جيل، وتتسرب من الاقوام السريانية، الى شعوب وامم الارض، عَلَى ممر العصور والدهور. البعض من البشر يقبلها كآلة او وسيلة للادراك والتعليم والتمييز وبعضهم يرفضها، فيبقى في وهدة الجهل لاعتقاده بانها عبادة اوثان واصنام، الى ان وصلت الينا، وهي ما زالت وسيلة لانارة وتثقيف العقل البشري، ولدفع ركب التقدم المدني والديني بواسطة البلوغ الى بعض المعرفة الالهية العظيمة التي لا تُحد ولا تحصى.

وهكذا ادرك السريان القدماء بأن الله هو مصدر قوة الحياة والصانع او العامل العظيم لكل البرايا، ولذلك سموه الفاعل ومنه البعل. وبما انهم أسندوا او نسبوا اليه عمل او فعل جميع البرايا، فقد سُمّيَ الباري او الخالق الذي ظنوا وقالوا عنه بانه جَبَل الانسان عَلَى صورته ومثاله، ووضعه في جنة عدن حيث بقي الى ان خالف الاوامر الالهية العليا لاتخاذه التوجيهات المغلوطة، فطُرد من تلك الجنة وسار في الارض يحرثها ويزرعها لاكتساب قوته. وحول مثل هذه الحوادث نسج السريان اصناف القصص والحكايات الدينية والادبية، مثل حكاية الخليقة، ووجود الانسان الاول، حدابا (او ادم) وحادثة الطوفان، وحكاية سقوط الشيطان او ظهور القوة الفاسدة والشريرة المناوئة للحق من الحضرة الالهية. وحاكوا حولها كثيراً من الاقاويل التي كان يتوارثها الخلف عن السلف الى ان استنبط السريان انواع الخطوط والكتابات فحصروا فيها تلك القصص، كما نقرأ البعض منها في الكتب الدينية. واول مَن نظَّم ووضع حكايتي الخليقة والطوفان هو كلكمش ملك آرخ، احد ملوك السريان الاكاديين، الذي عاش في الالف الرابع (ق.م)، وعنه نقل

اللاحقون من بعده. ومعنى اسم كلكمش بالسريانية يدل عَلَى جامع البينات او جامع الايضاحات، ومنه ندرك ونعلم بانه سُمّي بذلك الاسم لتخصصه بجمع الايضاحات التاريخية والبينات للقصص والحكايات البدائية الدالة عَلَى بده الانسان وعلاقته بالله الخالق.

وكلكمش هذا، كان قد كتب ملحمتيه عن الخليقة والطوفان بالاحرف وباللغة السريانية الاكادية، وهي الاحرف الاسفينية التي منذ نحو الالف الخامس (ق م) كانت قد تطورت من الاحرف الصورية الرمزية؛ ويغلب الظن انه كان احد حفدة سام بن نوح، ولذلك كان قد سافر الى الاقاليم الشمالية والمناطق الجبلية العالية لما بين النهرين المعروفة آنئذ باسم جبال اثور حيث وقف نوح وسفينته وحيث جدد اولا نور المدنية بعد الطوفان ومنها امتد الى الجنوب. ويظهر ان هنالك او فوق احدى تلك الاماكن العالية، التقى كلكمش بجده نوح الذي سمي اتنافشتيم بمعنى نوح لاقتباس المعلومات عن الاسبقين حسبما كان يتداولها العامة او المعاصرون له. وبعد استعانته بجده نوح افرغها ودوّنها في اثني عشر لوح من الاجر، سبعة منها عن حكاية الانسان الاول والخليقة وخمسة منها عن حكاية الطوفان التي وضعها، منذ ذلك الزمن، في قالب شعري باللغة السريانية الاكادية، بينما كان مهتماً بتجديد بناء وانشاء آرخ، مدينة ملكه في العراق.

ومن مؤلفاته هذه يمكننا معرفة مقدار تقدم العناصر السريانية العظيم، في شتى انواع العلوم والفنون والصناعة والزراعة والتأليف، ومقدار تقدمهم الثقافي والديني والمدني العظيم، في الفترة الواقعة بين الالف الثامن والالف الرابع (ق م).

ويغلب الظن ان غير هاتين الملحمتين عن الخليقة والطوفان قد ترك لنا كلكمش قصصاً أخرى ادبية مثل سقوط الشيطان التي مثّلها في «الملك طاووس»، مثال الكبرياء والذي ما زال يُعبد من قِبَل بعض الطوائف الشرقية، مثل اليازيد في العراق وإيران وتركيا وسوريا. ويقال عنه انه سقط من الحضرة الالهية لتكبُّره ولمحاولته عصيان لاله إيل، مدة إقامته في الجنة حيث سلب التاج الالهي، واحتفظ به زمناً الى ان اعاده له الاله مردوخ، بعد ان حارب الشيطان وغلبه وقهر معه اتباعه الآلهة الأُخر، او الارواح الشريرة التي التحقت به والتي كانت كلها معروفة سابقاً كملائكة حول العرش الالهي. ومنذ ذلك الحين، او منذ قبل وجود الانسان كان قد اصبح مردوخ بن الاله اهيه آشرهيه، الاله المعين لخلاص كل البرايا، وكان يُرسل من قِبَل ابيه هذا الذي عُرف فيما بعد باسم اهيه او يه او يهوى – E A لاجل خلاص البشرية من اعتداءات وسطوة الشيطان واتباعه. وهكذا نرى انه منذ البدء والشيطان في نظر الناس، هو العدو والخصم الاول لله والحق ومصدر السوء والشر، للانسان صنيعة الاله اهيه ومردوخ بينما اصبح مردوخ اله الخلاص ومصدر البر والاحسان وشمس العدالة. ولذا كان يُعرف ايضاً كاله الشمس، مصدر النور والحق والحياة لكل البريا. وعلى اساس هذه المعلومات تكونت العقيدة والايمان بضرورة احتياج البشرية للخلاص الالهي المشار اليه في كل الاديان الالهية وخاصة في العقيدة او الدين المسيحي الصادر عن العقائد السريانية.

ونظير تلك الحكاية كتب لنا كلكمش ايضاً حكاية «أطنا» ملك قيش، احدى مدن العراق. ويغلب الظن ان «أطنا» هذا هو احنوخ

الصدّيق الذي يُقال عنه انه لسبب صلاحـه وحسن ادارة ملكه وإخلاصه لرعيته نُقل حياً الى السماء قبل حادثة الطوفان وهو والد متوشالح وجد نوح البار (تكوين ٥:٢١ـ٢٤)· وقد ذكره كلكمش في حكاية النسر والحيّة او الصديقين النقيضين·

فعلى مثل هذه القصص الادبية السريانية والحكايـات التاريخية، ومعانيها ومغازيها تأسست النواميس والعوائـد وتقاليد الاديان السريانية البدائية التي منها نطوّرت الاديان الالهية، واصبحت قاعدة صالحة لانظمة الحيـاة الاجتمـاعية والمدنية، وبهـا تثقّفت عقول الشعوب السريـانية، وتقدموا في العلوم والفنون لتحسين انظمة الحياة منذ بضعة ألوف السنين وسبقوا كل أمم الارض وشعوبها في المعرفة والحكمة، وفي اقتناء الفضائل الصالحة لتثبيت وتحقيق انظمة الحياة الاجتماعية الفُضلى والمُثلى لخير البشرية وتوحيدها كعائلة واحدة تعيش عَلَى سطح المعمور مغمورة بالمحبة الالهية والمحبة البشرية·

وهـذه المؤلفات الحكمية الثمينة السريـانية التي ملأت الافاق، ونشرت غنى الثقافة السريانية العامة التي منها استقت المدنية العالمية، وبها ارتوت في معظم الاقطار، فانها تدحض رأي المنتقدين القائلين بان السريان القدامى لـم يتركوا مؤلفـات ذات اهمية سوى بعض الكتابات والتعاويذ عَلَى حجارة القبور وبعض الواح حسابات تجارية وسجلات او عقود زواج وسكوك مبايعة الاملاك والعقارات وغيرها، مما ليس لها اهمية ثقافية تُذكر· ومعظـم هؤلاء المنتقدين كانوا اخصامـاً دينيين متعصبين لقوميتهم واديانهم، معنيين بتحقيق مآربهـم الخاصة، متعامين عن معرفة الحقيقة وعن غنى الثقافة السريانية القديمة، التي ما برح الكثير منها،

مدفوناً تحت اطلال المدن السريانية التي عبثت فيها، فنهبتها وخرّبتها المطامع البشرية بالرغم من تضخم متاحف ومكاتب الامم المتمدنة بالتحف السريانية ومخلفات الامة الثقافية؛ ومن المؤيد ان سليمان الحكيم سبق ونوّه الى حكمة السريان التي كانت مصدراً سابقاً لحكمته عندما قال لاهل زمانه : «ما كان فمن القِدم هو، وما يكون فمن القِدم قد كان» (الجامعة ٣) فليس تحت الشمس جديد، بما في ذلك نواميس وانظمة الدين اليهودي الذي كان في الاصل مُقتبساً من حكمة وثقافة اديان السريان الذين سبقوه وسبقوا اجداده بمئات السنين، حتى ان اسم «سليمان» كان معروفاً لدى السريان وورد ذكره منذ نحو ثلاث مئة سنة قبل ولادة سليمان بن داود، كما يظهر لنا ذلك من اسم شلمن اسر الاول، احد ملوك السريان الاشوريين الذي توفي حوالي سنة ١٢٧٣ (ق.م)، والذي يعني اسمه «السلام الالهي» او «سلام الاله اشور»، وبحسن إدارة شلمن آسر وحكمته، تم اتحاد جميع الشعوب السريانية السامية الشمالية، وهم السريان الاشوريون والاراميون والبابليون والكنعانيون ومنهم العاموريون والفينيقيون، تحت التسمية السريانية العامة التي هي: دينياً وعنصرياً التسمية المتخذة والمحرفة عن اسم آشور او اسور كما سبق تبيانه. وفي حين ان مملكة سليمان دامت بضع عشرات من السنين، فان مملكة شلمن آسر والامبراطورية السريانية التي نظّمها، فقد بقيت اكثر من سبعمئة سنة من بعده (١٢٧٣ ـ ٦٠٦ ق.م). وبشلمن اسر عمت كلمة سورَيا او سوريوتا وصارت تسمية خاصة لابناء السريان الناطقين باللغة السريانية الارامية وخاصة للذين تنصّروا وقبلوا دعوة يسوع الناصري لكونها من صُلب الاديان والثقافات السريانية ومبادئها.

ومن المحقَّق ان يسوع الناصري شاء ان يحمل ثقافة الاديان السريانية لابناء خاصّته اليهودية كما فعل موسى النبي من قبله، ليسيروا بموجبها في سبل الحياة المدنية المُثلى حسب محيط زمنه ولكن خاصّته اليهودية لم تقبله، ذلك لان روءساء الدين اليهودي فضّلوا البقاء في حالتهم القومية ضمن نطاق الديانة اليهودية المتوارثة تقليدياً وحفظاً لكيانهم الخاص، رغم تلك الديانة ايضاً واعني اليهودية بنواميسها وتقاليدها كانت مقتبسة اصلاً من السريان البابليين او الكلدانيين، عن طريق ابائهم واجدادهم ابراهيم واسحق ويعقوب الذين ولدوا وعاشوا ونشأوا وربيوا ضمن محيط الثقافة والتربية السريانية واديانها، واتخذوا منها ما شاءوا معززة بتوجيهات موسى النبي وحميه يثرون الكاهن المدياني، بعد ان كانوا اهملوها اثناء إقامتهم في مصر لمدة تزيد عن الثلاث مئة سنة· ويثرون هذا، كان يُدعى ايضاً رعوايل، وهو احد حفدة مديان الذي ولد لابراهيم من زوجته قنطورا (تكوين ٢٥:١ـ٥ وخروج ٢:١٥ و ١٨:١ـ٢٧). ومن سفرَي التكوين والخروج يُعلم ان المديانيين مثل الاسرائيليين كانوا عبرانيين من مواليد ابراهيم الارامي، كما كان العرب ايضاً ابناء اسماعيل بن ابراهيم من زوجته هاجر المصرية·

ودامت اليهودية ديناً للاسرائيليين تنمو وتنشأ ضمن محيطهم المحدود بقوميتهم الخاصة، الى زمن ظهور النصرانية بواسطة يسوع الناصري واتباعه او تلاميذه الجليليين. ونظير موسى فقد حاول يسوع اصلاح احوال قومه اصلاحاً اجتماعياً ودينياً، بواسطة المبادئ الدينية السريانية القائمة عَلَى المحبة البشرية العامة والطاعة لله تعالى، ولكن قومه او خاصته لم تقبله، حفظاً لكيانها من الابادة والامتزاج بالاخرين او

الزوال عن طريق الاندماج والاختلاط بالامم الأُخر، واما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله اي المؤمنين باسمه» (يوحنا ١:١ــ١٨). وهم ابناء الديانة النصرانية او المسيحية ، المشتقة من مباديء الاديان السريانية القديمة والسابقة لعهد النصرانية كانت قد طغت عَلَى اليهودية بسبب انتشارها العظيم في جميع الاقطار السريانية والاقطار العالمية، بينما بقيت اليهودية منحصرة في اماكن بين بضعة ملايين من البشر.

والى جانب الديانة اليهودية، او في اقاصي جنوب الجزيرة العربية حيث ظهرت عن طريق اور الكلدانيين بواسطة ابراهيم وابنه اسماعيل في اوائل الالف الثاني (ق م)، عقيدة الهية او مباديء ديانة الهية أُخرى هي الاسلام التي تعني الاستسلام للايمان بالله الواحد الاحد، اتخذها العرب وراثياً وتقليدياً، عن ابيهم اسماعيل بن ابراهيم من زوجته هاجر المصرية، كما توارث اليهود الاسرائيليون عن ابيهم اسحق بن ابراهيم من زوجته سارة، الايمان بالله الواحد الاحد.

وبعد سيرها، لعدة قرون واجيال في شبه الجزيرة العربية او بعد نضوجها بشكل ملايم لحياة العرب عامة وصارت دينا الهيا تفجرت بدء القرن السابع (ب م)، بزعامة وارشاد محمد النبي العربي، وبواسطة صحابته وخلفائه من بعده، اصبحت ديانــة إرسالية لكل العالــم وامتدت الى معظـم الاقطار الشرقية الممتدة من المحيط الاطلسي غرباً والى المحيط الهندي شرقاً، قبل ختام القرن السابع. ومثل النصرانية، فان الاسلامية ايضاً كانت قـد اصبحت ديناً إلهياً عاما مبنيا عَلَى العقائد السريانية القديمة وثقافتهـا التي كانت تدعو الى الايمان، باله واحد أحد، هو الله تعالى الذي تطوّر اسمه

من اسم إله الحياة المعهود عند العناصر السريانية القديمة كما تبين وله تنسب عبارة «الله حي» المتداولة بين اهل العقيدة الاسلامية.

وهكذا نرى ان الاديان الثلاثة الالهية النصرانية والاسلامية واليهودية المقتبسة اصلاً من صُلب ثقافة واديان السريان القدماء، قد امتدت الى معظم اصقاع ونواحي الارض، وصارت ركناً للمدنية والثقافة العالمية بموجبها تسير الان، انظمة الحياة الاجتماعية لمعظم سكان المعمورة، جاعلة من اليهودية محدودة الاتساع ومن النصرانية والاسلامية عظيمة الاتساع.

إلا انه عدا هذه الاديان المنوّه بها فقد وُجدت وتكوّنت مذاهب وعقائد دينية أُخرى متعددة عاشت محصورة في بعض النواحي من الاوطان السريانية، وهي تضاهي في قدميتها الاديان الالهية مثل الصِّبأ او المنديين والمدعيين، وهم اقوام ارامية، وما زال البعض منهم مقيماً في العراق وفارس، وهم ايضاً ينتمون الى الاصل السرياني الارامي دينياً وعنصرياً ومعهم ايضا اهل ديانة اليازيد المعروفين بعبدة الشيطان الممثل في الملك طاووس. وغير هاتين الديانتين، فقد وُجدت اديان أُخَر، تقلّصت وتلاشت لعدم ملائمتها لسير وتطور الحياة او الاحوال البشرية العامة وانظمة حياتها الاجتماعية.

وبالتأمل والنظر في قصص الادب السرياني القديم الذي منه اقتبسَت معظم القصص الادبية والدينية العالمية المدونة في الكتب الدينية، ومؤلفات الاقدمين كقصة الخليقة والفردوس والانسان الاول، وقصة الطوفان، وقصة تكبّر وتمرّد الشيطان عَلَى اللاهوت. ومن ثم قصّة أطنا ملك قيش الذي يُقال انه نُقل الى السماء عَلَى اجنحة النسر، والذي

يُظن انه أخنوخ التوراة، او والد متوشالح وغيرها من القصص والادبيات السريانية التي منهـا تكونت وتطورت معظم النظريات الـدينية الحالية، يمكننا ان نجني فوائداً جمة عن تكوين معرفة الاعتقاد بالوحدانية الالهية ذات الاقانيم والشخصيات المتعددة والمتنوعة، او مفعول علاقاتها في الحياة البشرية ومدنيتها، منذ الازمنة السابقة واللاحقة لكارثة الطوفان التي حول معانيها الادبية نشأت الاديان الالهية ونواميسها المعتبرة واساليبها التهذيبية، للتقدّم في سبل الحياة الاجتمـاعية التي وُضعت لاجل تطبيقها عَلَى حيـاة الانسان او في سبيل بلوغه الى افضل مناهج الحياة المدنية الصالحة لاسعاده في هذه الحياة، مع الامل والرجاء بحياة روحية عتيدة افضل من الحياة الارضية، ذلك الرجاء الروحي التي تخلو غيرها من الاديان.

ومن المعهود انه قبل فجر اليهودية والنصرانية والاسلامية كانت تُعرف لدى السريان عامة تلك المناهج او اساليب الحياة السريانية الدينية والمدنية باسم سورياثا Suroyutha او Suroyutho المتحدرة اصلاً والمُقتبسة لفظاً من اسم اسور كما تبيَّن في كلامنا السابق، لدى تحليل هذه التسمية ومـا تفرّع عنها من الاسماء بـانواع الفاظهـا ومعانيهـا التي ظهرت منذ ايـام الطوفان واختص بهـا اولا سكان اثور والملوك الاشوريون، وعمَّت بعدها سائر الشعوب السريانية وهي متداولة الان، بين الطوائف المتحدرة اصلاً من الاسوريين والبابليين والاراميين والكنعانيين والفينيقيين. وان ابنـاء هـذه الطوائف النـاطقين باللغة السريانية ما زالوا يطبقون هذه التسمية عَلَى جميع النصارى والمسيحيين، بدون استثناء لعلمهم بان النصرانية ليست الا ديـانة متفرّعة ومقتبسة من الاديان السريانية السابقة لها ولشدة تمسك السريان وملوكهم باسم اسور،

بانواع الفاظه كانوا يدمجون هذا الاسم او يضمونه الى اسمائهم الملوكية كما كان ملوك مصر يضمون اسم فرعون الى اسمائهم الخاصة او ملوك الرومان الذين ايضا كانوا يضمون اسم قيصر الى اسمائهم الخاصة، فيقولون يوليوس قيصر او اغطوس قيصر الخ.

وهكذا لما تكونت الوحدة السريانية الاخيرة بعد القضاء عَلَى الخوارج، مثل الحثيين والكوشيين في العراق وسوريا وفلسطين بهمة شلمن اسر واتباعه اشتد تعصب السريان وملوكهم، لهذه التسمية وبدأت تضم الى اسمائهم الشخصية بشكل متواصل مثل شلمن اسر واشور نصري بابل، وتغلت بل اسر، وسركون واسر حدون، واشور بني بال، الى ان هكذا عمَّت هذه التسمية عَلَى الامة عامة حتى صار اسماً خاصاً لجميع تلك الشعوب المتآخية ومنها اصبح الاسم السرياني متداولا حتى الان قوميا ودينيا.

وبالاضافة الى معناه القومي فان اسم السريان يحمل معانٍ دينية، كما يحمل اسم الاقباط المتحدر من اسم إجبت Egypt معنى دينيا لنصارى المصريين، واسم الروم لاتباع الكنيسة البيزنطية، وهكذا فاذن وبحكم التطورات التاريخية يحمل اسم «السريان» معنى مزدوجاً دينياً وقومياً، لبقايا الشعوب السريانية القديمة.

ومن المعلوم ان الاقانيم المذكورة في قصص الادب السرياني القديم كانت تمثل في حد ذاتها شخصيات لانواع المعتقدات الدينية لتمثيل القوات الالهية وشخصياتها التمثيلية في الاديان الثلاثة العليا، وذلك حسب تطور الثقافة الدينية السريانية العامة، الى ان بلغت بشكلها المعروف الى زمننا هذا. ويعتقد معظم المؤرخين بل ويؤكدون بأن النصرانية كاليهودية

والاسلامية تحدرت نواميسها الدينية من الانظمة الدينية القديمة المتولدة من الثقافة السريانية، وان موسى وعيسى ومحمد اعطوها لأقوامهم واتباعهم لاصلاح احوالهم الاجتماعية، عن طريق الايمان بالله الواحد الاحد، ولتوحيد البشرية ونيل الخلاص او نعمة الغفران الالهي. ومثل هذه المعتقدات بالوعود الالهية من اجل خلاص الانسان، كانت معروفة بين السريان منذ الازمنة السابقة لابراهيم ونوح وما قبلهما.

والايمان بالخلاص الالهي من سيئات الحياة كان دائماً مضموناً في تلك المعتقدات الدينية. واعظم مصدر لمثل هذا الخلاص بالطبع كان اله الحياة — E A —، او اله بدء الحياة او «اهيه اشر هيه» (خروج ٣)، الذي عُرف منذ القدم ايضاً باسم يهوى، وهو الله تعالى او الله الاب، مصدر كل حياة، وكان مقامه الارضي في أُور الكلدانيين، وهي مدينة مَولد ابراهيم ومنشأه. وكان لهذا الاله ابن يدعى مردوخ وُلد منه ازليّاً، وصار مقامه الاول في بابل واتصف ايضاً باسم اشور بمعنى الاول او البداية. وباسمه دُعي الشعب الاشوري لاعتقادهم بانه إله الحياة والخلاص، لهم ولكل البشر. وكما صار مردوخ الها مخلّصا في بابل، هكذا صار يسوع فيما بعد مخلصاً لكل البشر وباسمه دُعي اتباعه مسيحيين او نصارى.

والحقيقة ان كلتا التسميتين : مردوخ واشور كانتا صفة لاقنوم الهي واحد، هو مردوخ كما كان اسم «يسوع المسيح» ذات هاتين التسميتين، لاقنوم الهي واحد، وهو الاقنوم الثاني للثالوث الاقدس. وكما ان يسوع او المسيح هو ابن الله الاب، فان مردوخ او اشور ايضاً كان يُعتبر ابناً للاله اهيه او يهوى في معتقد الاقدمين. وكما كان يُرسل مردوخ او اشور للخلاص، هكذا ايضاً أُرسل يسوع المسيح في اخر الازمان لخلاص

البشر من الموت والهلاك الابدي وغيرها من المخاوف المبيدة والتي توارثتها البشريـة منذ العصور الحجرية، او منـذ حياة الوحشية وحيـاة الغاب، وحكم الغريزة الوحيشة التي الزمتها واحوجتها للخلاص الالهي٠

بيد انه مع مرور الزمن ومن جراء تراكـم المعلومات عن الاراء والمعتقدات المختلفة في الاديان والنظريات الالهية، اخذت تتولد منها طبيعياً بعض التعقيدات في العقائد الدينية التي كانت السبب في اختلافات وجدالات في الاراء والنظريات وخاصة لدى تشبيه القوة الالهية المبدعة والخفية او المبهمة والغير المنظورة بامور واشياء مادية ظاهرة وملموسة لاجل الايضاح والبيان لعيان البشريـة، او لفهم بسطاء الناس وادراكهم شيئاً عن اللاهوتيات، بواسطة الماديات والاشياء الظاهرة والملموسة٠

وبنسبة تقدم الاقوام السريـانية في العلـوم والفنون وفي الثقافـة والدين، كان يتعرض القوم للوقوع في حوارات لطيفة تؤدي الى جدالات عنيفة كانت احيانـاً، مجلبة للانقسـام والانشقاق الـديني او بـاعثة الى الانفجارات في العقائـد والمذاهب الدينية التي كثيراً مـا كانت تتطور فتتحوّل الى نزاعات عنيفة ومؤلمة بين المتشاجرين واتباعهم، كل ذلك، في سبيل البحث عن الافضل في الحياة او لاثبات الحق والعدالة، والابتعاد عن القبيح واتّباع المليح والصالح٠ ولهذا كان يتعصب اهل كل مذهب لنظريته وعقيدته الخاصة، الى ان كانت تتولد من ذلك التعصب، احوالٌ اجتماعية جديدة او انقسامات شعبية او طائفية تتعرض لها احيانا سلامة الامة ووحدتها٠ وكلما تغلّب اهل مذهب عَلَى مذهب اخر، كان ينفصل عنه اذا تمت له الغلبة الدينية عَلَى ذلك الجانب المغلوب الراضخ والذي كان احيانـاً يتعرض للتهديـد والوعيد او لحسن الارشـاد والهدايـة الدينية

الحسنة القائمة عَلَى اساليب محبة القريب ومحبة الله، كل ذلك، لاثبات الرأي الصائب او العقيدة الدينية الخاصة او المحلية وتطبيقها في المحيط وما حوله حيث كانت تتعرض من جديد لتطورت أُخرى، وهكذا دواليك، فتظهر منها انواع من الثقافات الجديدة حسب تطور حياة الامة.

اما الأديان التي لم تقبل اي تطورات وتغيرات زمنية فانها كانت تزول فتصبح نسياً منسياً دون ان تترك اثراً. ومعظم العقائد الدينية الموروثة وفاعلية نتائجها في الحياة الاجتماعية للعصور القديمة، جاءت وظهرت من مصادر الثقافة الدينية السريانية، وامتدت في ازمنة مختلفة الى الجوار القريب والبعيد في العالم القديم، مثل مصر وفارس، وبلاد اليونان والرومان. ومن ثم الى سائر اقطار العالم القديم، لتمدين جميع شعوب الارض، والبلوغ بالانسانية الى قمة حياة الامن والسعادة بالسلام المرتكز عَلَى الرجاء والمحبة والحق والعدالة وتأمين الانسان لاخيه الانسان، وذلك لاعتقاد السريان، منذ القدم، بان جميع الناس هم عيال الله بارئها، ويشكلون عائلة بشرية واحدة وبان هذا العالم الارضي ليس إلا ملكا لله صانعه، والانسان فيه موكل عليه من قِبَل الله. ولهذا فقد كان الملك في عقيدة السريان كاهناً لله تعالى ووكيلاً او وسيطاً زمنياً بين الله والناس. وعَلَى مثل هذه الاراء والمعتقدات السريانية ظهرت الديانات المفيدة والصالحة، بنواميسها وانظمتها، وامتدت عَلَى الارض بواسطة الفتوحات الثقافية والسياسية، بفضل وهمة الشعوب السريانية ودولها في بابل واثور وارام وكنعان، الى ان وصلت شرقاً الى الهند وغرباً الى مصر وافريقيا واوروبا، بعد ايام الطوفان بهمة كلكمش في الالف الرابع وأُور نعمة وسركون في الالف الثالث، وشلمن اسر الاول في القرن الثالث عشر

واخيرا في ايام اسور بني بال ونبو خذنصر في القرن السابع والسادس (ق م)٠

في تلك الفترة الطويلة من الزمن، وهي مدة تُقدّر بالوف السنين كانت الاولية والاسبقية في القيادة الثقافية والمدنية للشعوب السريانية المعروفة آنئذ، وكانت بلادهم مطمح انظار العالم القديم لتقدمها المدني، او كما هي الان الحال في الامم العظمى في عالمنا الحاضر كالولايات المتحدة الاميركية مثلاً. واما بعد ذلك، واعني منذ اواخر القرن السادس (ق م)، فقد تحولت القيادة العالمية الزمنية نهائياً من الامة السريانية الى شعوب وامم أخرى غير سريانية كالفرس واليونان والرومان والعرب، الذين اقاموا وانشأوا عَلَى اسس مبادىء ثقافة ومدنية السريان، عدة **حضارات** ومدنيات أخرى كثيرة لم يتيسَّر لها ان تعيش ازمنة طويلة **كما تيسَّر** للمدنية السريانية، ومع كل ذلك فان الامة السريانية لم تقف بعد فقدان قيادتها العالمية الزمنية عن انتاجها الثقافي وجهادها في سبيل الدين والمدنية، بل ظلت متابعة اعمال سيرها في سبيل التقدم الديني والمدني، في داخل الاوطان وخارجها بأساليب المسالمة مع الحكام المستعمرين، متَّبعين إرشاد نظرية المحبة البشرية والمحبة الالهية والانقياد للنواميس الدينية الصالحة لكل البشرية، كما كان امرها منذ ازمنة الطوفان وما قبله٠

ومن خلال تحليل وتفسير المعاني الدينية والثقافية لتلك القصص والحكايات الواردة في الادب السرياني القديم الموروث منذ عدة الاف من السنين، ومن خلال مقابلة العوائد والتقاليد المذكورة فيها، بعوائد وتقاليد الاديان الالهية المعروفة والتي لم تزل قيد الممارسة حتى الان بين معظم الشعوب المثقفة والمتمدنة، فقد نجد بينها شبهاً عظيماً يقودنا

الى العلم والتأكيد بان معظم نواميس الاديـان الالهية وجواهرها ليست إلا مقتبسة ومأخوذة اصلاً عن ثقافة الاديان السريانية، وحتى الان، لم تزل شعوب الاديان الالهية، تتداول مستعملة في تعابيرها الدينية وفي تفاسيرها، اسماء وكلمات واصطلاحات دينية عائدة في اصلها ومعانيها، الى ثقافة الامة واللغة السريانية. وبالنتيجة نرى انه كما توارثت تلك الشعوب والامم العلـوم والفنون، وانـواع الخطوط، والكتابـات او الاحرف الرمزيـة والاسفينية والابجدية السريانية، فانها هكذا ايضاً توارثت مبادءها وعقائدها الالهية عن الاديان السريانية القديمة المتهمة تهكما من قبل المغرضين باسم الوثنية او بعصور الجاهلية. وبسبب تعرضهـا لبعض التطورات المحلية والزمنية، لتطابق مع الاحوال الاجتماعية، فقد اختلفت نسبياً وتدريجياً عن اصلها السرياني، كما هي الحال في جميع الاديان التي تتعرض إيجابياً مع مرور الزمن لبعض التطورات لدى تداولها بتأثير احوال حياة الانسان المحلية، ذلك لان كل دين او مذهب عرضة للتطور الزمني، لتلافي زواله من التداول، ان عاجلاً او اجلاً.

فالديانة المسيحية او النصرانية التي كانت سريانية الاصل تفجرت بواسطة المسيح واتباعـه بين اليهود الجليليين، بعد ان كانت قـد نشأت مبادؤها او تكونت ونضجت من الثقافة السريانية منذ الوف السنين. وشاء يسوع المسيح ان يلقّنها لشعبه او قومه في اورشليم اليهودية حيث اقبل عليها أُناس قلائل جداً، بنسبة المقبلين عليها في الجليل والناصرة والعشر مدن التي كانت كلها خارجة عن منطقة النفوذ التام لليهودية. وباستطاعتنا ان نتأكد بان هؤلاء الجليليين، بما في ذلك يسوع الناصري واتباعه، قد اتخذوا او اقتبسوا ثقافتهم ومعلوماتهم الدينية عن السريان القدامى، امثال

ايوب ونوح وملكي صادق وابراهيم الخليل وغيرهم ممن لم يتهودوا· وعندما اخذ يسوع المسيح، وقت العشاء السري، الخبز والخمر وباركهما، كان بذلك يمثل ملكي صادق الحبر السرياني العظيم· ولم يكن ذلك عملا جديدا وان كان اوصى تلاميذه ان يعملوا ذلك كذكرى لموته وقيامته وافتدائه للعالم، لان مثل ذلك العمل كان يُمارس منذ عدة الاف السنين في العوائد والتقاليد الدينية السريانية القديمة والسابقة لعهد يسوع ولعهد ملكي صادق·

ان التسمية السريانية : سوريا وسوريا، الباقية الاستعمال والتداول حتى الان، لهي احدى المآثر الدالة عَلَى عظمة ماضي الامة السريانية، دينيا وثقافيا ومدنيا وخاصة منذ ايام شلمن اسر الاول، وتغلت بل اسر الاول، اللذين بهمتهما كان قد تم التآم واتحاد جميع العناصر السريانية نهائياً، وذلك تحقيقاً لجهود وحلم كلكمش وأُور نعمه واخيراً سركون الاول وعمورابي، الذين بواسطتهم كان قد تم تكوين الامبراطورية السريانية البابلية الاولى The Babylonian Empire ومن ثم لحقتها الامبراطورية الاشورية الثانية The Secund Assyrian Empire التي دام حكم مجدها الزمني منذ اوائل القرن الثالث عشر ١٢٧٣ (قم) الى اواخر القرن السادس (٥٢٨ قم) او الى ايام سقوط دولتي اثور وبابل سنة ٦٠٦ و ٥٢٨ (قم) وهي الحقبة التي فيها عظم شأن السمعة او التسمية السريانية، والتي فيها ظهر ايضاً مجد نضوج ثقافتها ومدنيتها وانتشارها بسرعة فائقة بين كل شعوب الارض، وبعد ان بقي مجد ذلك الاتحاد السرياني الاخير، لمدة تناهز الثماني مئة سنة، فقد مال الى الانحلال الزمني بانقسام تلك الامبراطورية السريانية الاخيرة، التي لم يشاهد العالم القديم نظيرها

بالعظمة من قبل الى جزءين، شمالي وجنوبي، او الى اثوري وكلداني، وذلك كما انقسمت من بعدها الامبراطورية الرومانية العظيمة الى شرقية وغربيـة او الى الروم البيزنطيين وعاصمتهـم القسطنطينية، والى الروم الغربيين وعاصمتهم مدينة روما العظيمة. واخيراً باحتلال الفرس واليونان والرومان، ومن بعدهم العرب والاتراك للاوطان السريانية، فقد انقسمت هذه الامة واوطانها الى عدة اجزاء ومناطق ودول ارامية صغيرة، وثم الى طوائف سريـانية متعددة كما انقسمت مثلهـا ايضاً امبراطوريـة اسكندر المقدوني او الامبراطورية الرومانية فيما بعد الى عدة دويلات وشعوب وأمم اوروبية واسيوية، بفعل تغلغل العناصر البدوية والاقوام البربرية في جميع انحاء تينك الامبراطوريتين، ومنها تولّدت دول وشعوب البلقان واوروبا الشرقية ودول اوروبا الغربية والجنوبية كما نراها الان. وهكذا تكوّنت مثلها في الاوطان السريانية الـدول التركية والفارسية، والدول العربية الحديثة الواقعة شرقي البحر الابيض المتوسط مثل العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين التي لم يزل معظمها حتى الان يحمل اسماء ذات الفاظ ومعان سريانية.

وهكذا هو شأن ومصير معظم الامبراطوريات العالمية التي بعـد ان تكون وتنمو وتنشأ وتزدهر من اتحاد عناصر متقاربة وموالية او متآخية تؤول نحو الانحلال وينفرط عقد اتحادها وانظمتها بانقسامهـا مع مرور الزمن الى دويلات وشعوب وطوائف واقعة تحت حكم الاغراب، ويبقى مفعول اعمالها في الحياة البشرية وذكرها في كتب التاريخ ان كان خيراً او شراً. ورغم كل التقلبات الزمنية المختلفة، فان الاسم السرياني بقي متداولا حتى الان بين طوائف دينية وثقافية منتشرة في جميع اصقاع

المعمورة، وخاصة في اوطانها، في البلاد الشرقية الممتدة من الهند وإيران والعراق وسوريا، او حتى الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط، كما بقي اسم الرومان الى ايامنا هذه متداولا بين طوائف دينية مسيحية والتي تعود في رآستها الدينية، اما الى القسطنطينية او الى روما اللتين فقدتا بدورهن ومجدهن الزمني. من هنا يمكننا ان نرى بان الانحلال الزمني الذي حل بالامة السريانية كان طبيعياً ولم يكن مختصاً بهذه الامة فقط وهو مصير جميع الامم الكبرى والصغرى.

ونظراً لكل هذه الاسباب والعوامل التاريخية والتطورات الزمنية، فان السمعة او التسمية السريانية الحالية ـ آسورَيَا او سورَيَا ـ، التي تكوّنت اصلاً من اسم الالــه اسور او اسر، فهي ما زالت تحمل في ذاتها، وخاصة في عرف الناطقين باللغة السريانية، معان ذات اهداف او غايات دينية مسيحية، ومقاصد صادرة عن إيمان السريان القدامى بلاهوت اسور، وتوارثتها النصرانية تقليدياً باشخاصها او اقانيمهــا اللاهوتية عن اولئك الاقدمين، ذلك لانهــا انسلخت اصلاً من ارومة الثقافة الدينية السريانية القديمة واوطانها حيث نمت ونشأت وازدهرت، كما انسلخت منها او من وثنية السريان من قبل النصرانية، الديانة اليهودية. ولذلك يعتقد ويأيد المؤرخون المعاصرون بانه من العناصر السريانية وثقافتهم الدينية، وانظمة احوالهم الاجتماعية والادبية، قد تولدت وصدرت الاديان الالهية العليا، ذلك لان الدين ليس وليد الساعة او السنة، مهما كان نوعه، اذ لا يولد ويتكون وتنتظم نواميسه في يوم واحد او سنة واحد، بل لا بد له من ان يتكون تدريجياً من عقائد ومذاهب سابقة له، والتي عنها يأخذ شكله وطابعه الخاص، قبل ان يُعلن للملأ في مدد طويلة، تمتد احياناً الى مئات او

الوف السنين ومتأثراً بمجريات البيئة والمحيط وبعد ان يكبر وينتخم، بتراكم الاراء والمعتقدات، يأخذ في الانفجار ومنه تشتق وتتولد انواع من المذاهب والفروع الدينية الشبيهة لبعضها البعض. وهكذا بامكاننا ايضاً ان نرى بانه عَلَى هذا النسق، نمت ونشأت وظهرت الاديان الالهية وخاصة النصرانية، من الاديان السريانية المعروفة باسم سوريوتا او باسم اتباعها سوريا، ذلك الاسم الذي كان يتكون ويوحي ويشير الى الايمان باله واحد احد، هو الله الآب او الله تعالى والخلاص براسطته. من مغبة السوء بارسال الاقانيم الالهية الاخرى التي كانت تمثل الارادة الالهية لتآسي وتشفي اسقام البشرية وتطهرها من ادران الحياة الدنيئة، ومخاوفها المبيدة، ولهدى البشرية الى افضل اساليب الحياة بفاعلية المحبة الالهية والسلام بين الناس والرجاء بمستقبل صالح، ملؤه السعادة الدائمة.

وبكلمة أخرى، كما انه في الأزمنة البابلية والاشورية كان يرسل الاله مردوخ او الاله آشور من قِبَل اهيه ازيه — E A — او الاله آسر الى العالم لاجل انقاذه وخلاصه من سوء الشر والشرير، فانه هكذا ايضاً في اخر الازمنة قد أرسل يسوع المسيح او يسوع الناصري من قِبَل الله الاب الى العالم ليشفي اسقام البشرية وينقذ العالم بمحبته، وعلّم اتباعه الاقتداء بمحبته ومحبة الله الاب للبشرية جمعاء، واوعز اليهم ان يجتمعوا حول الموائد الالهية مدفوعين بمحبة الله، والمحبة نحو القريب ويتذكروا اعماله الفدائية بتناول الخبز والخمر، حسب عوائد وتقاليد السريان القديمة بدلا من الاشتراك بالتقاديم الحيوانية او الذبائح الدموية ذلك لان يسوع قد كان كاهناً وحبراً ابدياً عَلَى غرار ونسق او برتبة ملكي صادق، ملك شاليم السرياني الكنعاني، ولم يكن كاهنا برتبة

موسى واهرون الكاهن (عبرانيين ٧:١ـ٢٨) الامر الذي بسببه ايضاً قد رفضه رؤساء الكهنة وقيل عنه «انه الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله» ذلك لانه حمل لخاصته خلاصة تعاليم السريان وثقافتهم الدينية فرفضوه واما السريان فقبلوه لان تعاليمه كانت شبيهة او مقتبسة من ثقافتهم الدينية، وملائمة لحياتهم الاجتماعية وقابلة الفهم والتصديق والتطبيق بكل سهولة.

وبالعودة الى توفية الشرح حقه، وتحليل لفظة التسمية السريانية او اسم «السريان» المقتبسة من اسم اسور وتحويلها نسبياً الى اسوري وسوري وسرياني، وتطورها الى آسوريا وسوريا وسوريا، حسب اللهجة السريانية، فان ياء النسبة المكررة في «سوريا» هي لاشباع اللفظة وللتنوين كقولك من عرب عربيّ او من انكليز انكليزيّ ومن طائي طائيّ، ومن ازلي ازليّ، واما النون والياء في اخر الاسم السرياني فانها احرف النسبة في الالفاظ الافرنجية كقولك : Arabian من Arab و Italian من Italy و Romanian من Roman . ومع مرور الزمن اصبحت لفظة سوريا للمعنى الديني، ولفظة سوريا او سرياني لمعنى العنصر او الجنس او الملة، او حتى لمعنى اللغة والوطن لابناء السريان.

وبين الناطقين باللغة السريانية، كالسريان الكلدان والسريان الاشوريين والسريان الارثوذكس والسريان الكاثوليك والسريان الموارنة الذين يكوّنون مجموع الامة السريانية الحالية، نجد الكثير من العوائد والتقاليد والمعتقدات والاراء الدينية واسماء واصطلاحات تعود في اصلها الى ما قبل ظهور اليهودية والنصرانية، التي تسربت من اباء واجداد السريان الى اهل هذه الطوائف والملل السريانية ومعها اهل جميع الاديان الالهية، اثناء اخذها شكلها المعروف وتكوين انظمتها ونواميسها،

حسب مرور الازمنة والعصور، متأثرة بالمحيط السرياني الذي نشأت ضمنه وبالمحيط الاخير الذي انتقلت اليه.

وتبعاً لتغيّر الاراء والمعتقدات في الاديان وتطوراتها كانت تتطور طبيعيا وتتغير الفاظ بعض الاسماء وخاصة الحاملة منها : حرف الثاء والشين اللتين كانتا تبدلان بسهولة بحرف السين، كما هو معهود في اللغات السامية، وخاصة اللغة السريانية والعربية، فكان يقال : من اثور واشور «اسور»، ومن شومر سومر، ومن شروكين سركون. وكانت تتعرض الى مثل هذا التغيير اللفظي الكلمات او الاسماء المشتقة من اسم اشور واسور، فيصير من اشور واشر وشار وشر، اسم آسور واسر وسار وسر وتتكون منها اسماء مركبة مثل اشور بني بال واسور نصري بال، واسرحدون وشلمن آسر كقولك الان : فرج الله وعبد الله ورزق الله وفتح الله. وكان يُعطى اسم آشور او اسور معنى «إلهياً» او معنى الاول والبدء والرئيس والازلي والامير والمالك والاله او المقدم بين الالهة. ويذكر كلكمش لفظة او اسم اشر واشور للمرة الاولى في ملحمته عن الخليقة كصفة ازلية للاله مردوخ بن اهيه، اله الحياة قائلاً بانه هو «اشور» ويعني بذلك هو البداية او انه هو بدء الحياة البشرية وهو كقول يوحنا الرسول : «انا الاول والاخر او انا هو الالف والياء». وتحولت تلك الصفة معنىً فاصبحت اسم علَم إلهي في اثور، حيث دعي اتباعه الاثوريين باسم الاشوريين منذ نحو الالف الرابع (قم) وصار من اشور اشوري او اسوري للنسبة، كما ان كلمة المسيحي جاءت من كلمة «المسيح» التي هي صفة ليسوع الناصري، وصارت اسم علَم لاتباعه كقولك المسيحي والمسيحين المشتقة من صفة يسوع الناصري الذي عُرف باسم المسيح. ومنذ

ذلك الحين، درجت عبادة مردوخ في بابل كما ودرجت عبادة اشور في آثور، وذلك ايضا كقولك : العبادة ليسوع في بابل، وللمسيح في اثور، بينما هي عبادة واحدة، لشخص او اقنوم الهي واحد في كلى الحالتين. ولقد دامت تلك العبادة منقسمة بين بابل واشور، لمردوخ واشور حتى فجر النصرانية، واحدٌ يعبد الله باسم مردوخ واخر يعبد الله باسم اشور بالرغم من ان اشور كان صفة ازلية للاله مردوخ.

ونظراً لوقوع الشعوب السريانية تحت نير الخوارج اثناء الخمسمئة سنة السابقة لفجر النصرانية، فقد اضطروا طبيعياً ان يتحدوا نهائياً بتسمية واحدة هي التسمية «السريانية» والتي تغلبت اخيراً وفازت عَلَى سائر تسميات الشعوب السريانية الاخرى القديمة، كالاكادية والسومرية والبابلية والكلدانية والاشورية والارامية والكنعانية والفينيقية والقرطجنية، وسميت بها حتى النصرانية ايضاً، وعُرفت بها لدى الناطقين باللغة السريانية لكونها مأخوذة اصلاً من الثقافة الدينية السريانية كما تبيّن.

وعَلَى هذا القياس ايضا اذا حلّلنا اسم «اسرائيل» بموجب اللفاظه السريانية، نعلم بان معناه يعود الى اسم الاله اشور او اسور، وذلك باعادة حرف السين في اسرائيل الى شين فيصبح اشرائيل، ومعناه اله البدء او الاله الاول او اشور الاله الاول مع العلم بان اسم اسرائيل كان قد اصبح اسماً ثانياً ليعقوب بن اسحق بن ابراهيم كما اصبح پول او بولس، اسما ثانيا لشاول رسول الامم. وقد اتخذ يعقوب هذا الاسم تيمنا بالاله اشور او اسور الذي كانت قد اشتهرت قوّته العظيمة وسمعته الالهية في تلك الاونة، بسبب انهماك السريان الاسوريين واخوانهم الاراميين في حروبهم المتوالية واسترشادهم بالاله اشور ضد الحثيين والكوشيين الذين

كانوا قد تغلغلوا في الاوطان السريانية فوراً بعد وفاة عمورابي، وكان يسود الاعتقاد عندهم بان اشور هو الذي كان يهدي اولئك السريان في حروبهم، ويمنحهم النصر عَلَى اعدائهم وخصومهم. ولكون يعقوب ايضاً في حالة ضعف وخوف وهو في خصام مع اخيه عيسو، كما يروي الكتاب المقدس، فقد وجد نفسه بحاجة للالتجاء والتيمن بهذا الاله اشور، إله الحرب والنصر، لدى مقابلته اخيه عيسو الذي كان يخشاه ويهابه، ولذا فقد دُعي «اسرائيل» وهو الاسم المركَّب من اسمي اسر وايل (تك ٣٢: ٢٢-٢٩) وان لم يكن هكذا فليس له من شرح او معنى اخر.

ولا شك بان يعقوب واولاده الاسرائيليين طبيعيا وتقليديا قبلوا الاله اسر وتيمنوا به لدى خروجهم من عند خالهم لابان السرياني الارامي في حران، وذلك بعد ان كانوا قد وجدوا ونشأوا تحت تأثير ذلك المحيط الذي كان ينتمي الى سلطة الاله اسور، كما كان معظم سكان تلك الاقاليم او سكان منطقة ما بين النهرين الشمالية. وتذكر موسى النبي واتباعه ذلك الاسم بواسطة حميه يشرون بعد نحو ثلاثمئة سنة، او عندما كانوا عبيدا في مصر، واعلنه اسماً لاله ابائهم الاسرائيليين بشكل «اهيه اشر هيه» او «اهيه اسر هيه»، او اله بدء الحياة، ومعنى هذا الاصطلاح صار صفة لله الباري تعالى المعبود والمسجود له، ويعني إله الحياة كما هو حقاً.

ومن هذه النتائج الحاصلة يمكننا ان نعلم بان جميع المشتقات الناتجة من اسم اشور مع انواع الفاظها، كانت تلاحق انتشار سمعة وعبادة هذا الاله في جميع مناطق البلاد السريانية وجوارها بمعانيها الدينية والعنصرية السريانية منذ الالف الرابع (قم) حتى القرن السابع (بم)، وتحولت الاكثرية للتسمية العربية، كالعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسيطن

وفي اثناء كل تلك العصور القديمـة كانت التسمية الارامية قـد اخذت تزول ايضا من التداول رويداً رويداً، وتحل محلها التسمية الاسورية او السريانية التي امتدت الى ازمنة الفتوحات العربية وحلت محلها تسمية العروبة. وذلك بعد ان قُسمت الاوطان السريانية الى شرقية وغربية تحت حكم الفرتين او الفرس، واليونان والرومان واصبح لكل قسم لهجة خاصة من اللغة السريانية. إلا ان ذلك الانقسام قـد كان اداريا وبه تكونت الدويلات الارامية ضمن حكم الفرس واليونان والرومان، التي منها صارت فيما بعد، الطوائف السريانية الحالية والتي حتى الان تحافظ عَلَى لهجتيها: السريانية الشرقية والسريانية الغربية.

اشور نصربال ملك آشور اثناء صيد الاسود (القرن التاسع قم)

المقالة الثانية

معجزات الامة السريانية الثلاث

الثقافة ـ الدين ـ المدنية

القسم الثاني

ولاجل زيادة اطلاع القاريء ندرج هنا بالايجاز بعض القصص والحكايات الدينية والادبية، التي تركها لنا قدماء السريان، مكتوبة عَلَى الاجر والحجارة وغيرها منذ الالف الرابع (ق م)، مثل حكاية الخليقة او التكوين، ووجود الانسان الاول حدابا، وقصة الطوفان وغيرها التي عليها قامت الاديان الالهية والتي ما زالت، حتى الان، في حالة التداول بشكل محرّف بين امم وشعوب هذه الاديان، كما وما زالت في حالة التداول بين السريان الحاليين ايضاً. وقد اخذ اليهود وانبياؤهم هذه القصص عن السريان بعد تحويرها جزئياً للملائمة وادرجوها في اسفارهم بالتوراة.

حكاية الخليقة او التكوين : ان هذه الحكاية وغيرها من الحكايات الادبية الاخر المدرجة هنا بايجاز، جمعها وكتبها أولا كلكمش في الالف الرابع اخذا عن السابقين. واسم كلكمش مركّب من كلمتين بالسريانية، ويدل عَلَى «جامع البينات» او «جامع الايضاحات» بمعنى المؤلف وقد كان كلكمش ملك آرخ في العراق، ينتمي الى العنصر الاكادي السرياني.

ولا شك بان حكاية الخليقة كانت معروفة منذ الوف السنين قبل

كلكمش، وكانت متداولة ومتناقلة عَلَى ألسنة الناس منذ امد بعيد. ولقد وضعها ودونها كلكمش شعرا بالسريانية الاكادية في نحو الف سطر عَلَى سبعة الواح، اخذا عن جده نوح او اتنافشتيم المقيم آنئذ في اعالي قمة جبل نزير في اقاصي جبال اثور الشمالية.

ومن هذه الحكاية نستدل ونعلم بان القوم في تلك الازمنة كانوا يعتقدون ويؤمنون بالقوات الالهية الغير المنظورة بشكل يشبه به ايمانهم ايمان اهل الاديان الالهية الحالية، وهو «وجود عالم روحاني الهي» قبل عالمنا هذا المادي، وان عالمنا هذا تكوّن بهمة القوات الالهية العجيبة من العالم الروحاني الذي كان يعني الطاقة الغير المنظورة. وبما ان المعلومات عنه كانت تتكون تدريجيا من اداركهم وخيالهم البشري، فقد جاءت مطابقة لبعض احوالهم الاجتماعية وبموجبها كانوا مضطرين الى ان يفكروا ويمثلوا او يشبهوا القوات الالهية الغير المنظورة، بالاشكال والشخصيات البشرية لابراز وتشخيص اعمالها للعيان او للفهم والادراك البشري. فكانوا بذلك ينسبون للقوات الالهية الخالقة انواع الهيئات، ويضعونها بالاشكال البشرية من حيث العمل والهيئة والنوع، والتوالد والتناسل والتكاثر والتزايد، والتسميات اللائقة للتوحيد العملي، وتفوّق الواحد عَلَى الاخر. واقدم تلك الالهة واهمها في عرف السريان كان الاله حانو — Anu ومعناه الحنون، والاله اهيه اوهيه E A ومعناه الحياة، والاله ابشو Apsu ومعناه إله اليابسة، والاله مامو Mamo ومعناه اله اليم، والالهة طياميت الطمم او الارض، والاله إيل او ايليل ومعناه الحيل او اله القوة والحيل، والاله كين كاي ومعناه اله الحق والسعادة. وكان كل واحد منهم يُلقب باسم البعل بمعنى السيد او الاله. ومعظم هذه التسميات والصفات

واصطلاحاتها الدينية، لم تزل متداولة حتى اليوم بين السريان وبين اهل الاديان الالهية، ومنها يتبين لنا انه منذ الازل وبشكل يفوق ادراك العقل البشري او بموجب سنّة البقاء والتكاثر، كان يولد لبعض هذه الالهة ايضا اولاد ذكوراً واناثاً او الهة والهات، من ذوي الدرجة الثانية يُدعَون «ابناء الالهة». وكان منهم مردوخ المتصف او الملقب باسم اشور بمعنى البداية او الازلية او الاولية او القديمة، وهدد اله الأمطار، وايشتار إلهة الحب والبعث ودمكينا الهة الدم الطاهر، وملخ او ملكوم او مالك الارض. الذي كان ايضا صفه للاله مردوخ وسينا الـه القمر، وثم تموز الالـه المحبوب او اله الجمال والشبوبية، ونبو اله العلم والحكمة او المعرفة.

ويظهر ان هذه المواليد الالهية كانت حسب نموها، كثيرة الحركة والتشويش في نظر بعض الالهة الشيوخ المقدمة في الازلية، وربما مزعجة ومقلقة لراحتهم، كما هي الحال في حياة العائلات البشرية التي يزعجها احيانا الابناء والاحفاد، فيقلقون راحة الشيوخ المقدّمين في السن بكثرة حركاتهم وضجيجهم وشذوذهم في تصرفاتهم.

ويظهر انه لهذه الاسباب، قـد انقسم الالهة المقدمون عَلَى ذواتهـم وتشاور البعض منهم مثل ابشو ومامو مع طياميت للقضاء عَلَى المواليد الالهية الصغيرة وابادتهم، الامر الذي لم يرق للاله اهيه، اله الحياة، ولاجل خلاص النشيء الجديد او ابناء الالهة، قضى هيه للفور بحكمته عَلَى ابشو ومامو وغايتهما، اذ شل حركتهما ثم ارسل كلمته او ابنه مردوخ لاكمال اعماله الخلاصية بالقضاء عَلَى طياميت ايضا، التي كانت كروية الشكل والهيئة وتشبه كثيرا هيئة السلحفاة، فبطش مردوخ بها وفلقها الى فلقتين جاعلاً من الفلقة العليا هيئة السماء او الجلَد، ومن الفلقة السفلى هيئة الارض.

ومنذ ذلك الحين عُرف مردوخ باسم المخلّص لانه خلّص الالهة الاخرين، وبه استتب الامر للاله اهيه الذي صارت له الاولية الالهية، وهو الذي عُرف فيما بعد بين العبرانيين باسم يهوى او «اهيه اسر هيه» واسمه هذا يعني بالسريانية الاله هيه، هو اله بدء الحياة، وتطور اسمه الى يه او يهوى كما هو معلوم لدى قراء الكتاب المقدس، وصار بذلك اله الالهة او («أليم» بمعنى الوهيم في بعض الكتب الدينية) او سيد السادات، واخيرا الاله الحنون والرحوم ومحب البشر. وبما انه هو مصدر الحياة، فانه عُرف ايضا باسم الله الاب. وهكذا بعد ان اجتمعت فيه معظم الصفات الفاضلة والحسنة الالهية، اصبح هو «الاله الواحد الاحد» بينما اصبح الكثير من اسما الالهة الاخر نسيا منسيا من ذاكرة البشرية. وهو الان يُعرف باسم اله السماء والارض، او الله تعالى المعبود والمسجود له من قِبَل جميع الامم والشعوب، ذوي الاديان الالهية العليا والطوائف والملل المنتمية لعقائد هذه الاديان.

ويبدأ كلكمش حكايته هذه عن الخليقة بقوله : بينما كان الاله انو، والاصح انه حنو، في مقدمة الالهة وذلك قبل ان ينبت وينمو العشب في الحقل، والمراد انه قبل ان تتكون الارض وتبدأ فيها الحياة، تآمر ابشو ومامو مع طياميت للقضاء عَلَى الالهة الصغيرة وابادتهم لانزعاجهم بكثرة ضجيجهم او بكثرة تنقلهم وترددهم، ولكن عندما علم بذلك هيه، اله الحياة لم يرض بذلك، وحالا شل حركة ابشو ومامو وجعل بحكمته منهما هذا الكون. ثم اوعز الى ابنه مردوخ ان يقابل طياميت ويبطش بها ايضا وذلك بعد ان حصل عَلَى موافقة الالهة الأخر في حفل طابت به انفسهم بالاكل والشرب من «الخبز والخمر». وفي اثناء ذلك الحفل

اظهر مردوخ قوّته العجيبة بقيامه ببعض الايات والعجائب التي اجراها امامهم، وهكذا أُعطيت له السلطة التامة ووُضع في يده مصير الكل، ثم خرج من الحفل ونازل طياميت في عراك عنيف الى ان فاز وانتصر واستولى عليها وفلقها الى فلقتين جاعلاً الجلد من الفلقة العليا، والارض من الفلقة السفلى التي اخذت حينئذ تنبت الاعشاب والنبات وتخرج الدبابات والحيوانات بعد ان جُمعت المياه بامره الى الانهر والبحار والمحيطات، وازدان الجلد بالنجوم والانوار وانواع الاجرام السماوية كالشمس والقمر والكواكب· وسلم مردوخ ادارتها للقوات الالهية الصالحة، محتفظا لنفسه الاعتناء الخاص بادارة الشمس، فاصبح اله الشمس او «اله شمس البرارة» ونور العدالة للعوالم» وبهذا المعنى قال يسوع : «انا هو نور العالم» وهكذا بعد ان فتك اهيه إله الحياة باعدائه وعظم شأن ابنه مردوخ باعماله الخلاصية، اصبح لكليهما ارادة واحدة من حيث التصرف بادارة الاكوان واصبحا متساويين في الجوهر اللاهوتي·

وعَلَى اثر ذلك الوضع الجديد، تشاور مردوخ مع ابيه اهيه قائلاً : هلم نخلق من تراب الارض انساناً مثلنا ويكون موكّلاً منا عَلَى الارض، فاجابه اهيه قائلاً : اذا كنا نريد ذلك فلسوف نحتاج الى دم الهي لنجبل به تراب الانسان، لنجعله على شكلنا ومثالنا· فقال مردوخ : هوذا كين كاي اله الحق والسعادة، مستشار طياميت الذي اسرته، فانه يمكننا ان نضحي به ونجبل بدمه الالهي تراب الانسان، فيكون مثلنا حكيماً ومدركاً· وهكذا كان وجُبل الانسان الاول حَدآءبا بدم كين كاي ليعيش مستقيماً وسعيداً ومُتقدّما عَلَى سائر المخلوقات الاخرى، ثم اعطاه اهيه نسمة حياة من ذاته الالهية وصار الانسان مخلوقا حيّاً عجيباً انيساً، يعقل ويدرك

ويميز عَلَى شكل ومثال الله خالقه. وبعد فترة من الزمن خلق اميه من اضلاع حدابا حواء وجعلها امرأة له، وكان اسمها دم كينا، ويعني به الدم الزكي او الدم الطاهر كما كان اسم ادم ايضا يعني الدم بموجب اللهجة الاكادية، وذلك بحذف الالف كما في حالة ارام واسور.

ومع كون الانسان بصورته وشكله شبيها لله، الا انه لم يكن مساوياً لله خالقه في كل شيء لكونه ترابي. وقد دعي الانسان الاول عند السريان باسم حدابا لكونه اول اب بشري، وهو كقولك حد آلاها، إله واحد. وهكذا دعى الانسان الاول آدم لانه جُبل بالدم او دم الاله كين كاي، وكان مائلا الى الحمرة الدموية التي جبل بها.

ومن هنا تكونت عند السريان الاقدمين عقيدة وفكرة ضرورة فداء الانسان وخلاص البشرية بالدم الالهي وعنهم اخذ النصارى هذه العقيدة القديمة بواسطة يسوع المسيح. ويحقق رجاء ذلك الخلاص المنتظر منذ البدء بسفك دم يسوع الطاهر الذي علّق عَلَى خشبة الصليب، وبدمه الاقدس نالت البشرية الفداء والخلاص الالهي حسب رجاء السريان الاقدمين المكتوبة في ادابهم الدينية. وبهذا المعنى امر يسوع اتباعه ان يتناولوا جسده ودمه في سر الخبز والخمر، لذكرى موته وقيامته ولذكرى فداء وخلاص البشر، وعربونا لحياة روحية ابدية. وان الملايين من المسيحيين يمتثلون لهذه الاوامر منذ كرازة تعاليم يسوع المسيح نقلاً عن العوائد والتقاليد الدينية الموروثة عن السريان لكي يحيا كل مَن يؤمن بالله الاب محب البشر، وعادة تقدمة الخبز والخمر او القرابين الغير الدموية كانت متداولة بين السريان منذ الوف السنين قبل بزوغ فجر

النصرانية، كما ذكرها الاقدمون ومارسها ملكي ضادق، ملك شاليم ومن بعده يسوع المسيح وتلاميذه.

ويتابع كلكمش مبيّناً بان تلك النتائج الحاصلة التي بموجبها وُجد الانسان الاول لم تُرض بعض القوات الالهية المتبقية التي حسدت الانسان الاول لامتيازه وتفوقه عَلَى سائر المخلوقات بقوة عقله وحسن ادراكه وجمال هيئته وشكله المماثل لله اهيه — EA — وايضا لحصوله عَلَى عناية هذا الاله الخاصة به، الذي وضعه باعتناء شديد في جنة عدن، حيث كانت تجري فيها الاربعة انهر الكبرى : الفرات والدجلة والنيل والكنج. وهي المنطقة التي فيها نشأت مدنية الانسان البدائي او المدنية القديمة، وهنا امره الله ان يهيء له كل يوم بايادٍ طاهرة ونقية، خبز التقدمة عَلَى المائدة الالهية، ذلك لان حدابا او ادم كان قد عُيّن من قِبَل الله كاهناً او حبراً له ومالكا للارض او موكّلاً لله عَلَى الارض، الامر الذي اهاج غضب بعض الالهة عَلَى الانسان وسبب لهم خوفاً من ان يقوى ويتغلب عليهم، فأرادوا الايقاع به، او عَلَى الاقل ضرورة تجربته، للوقوف والاضطلاع عَلَى مقدرته الشخصية وقوته الالهية لكونه مصنوعاً ومخلوقاً من تراب طياميت ومجبولا بدم كين كاي اللذين كليهما كانا من العناصر الالهية المعادية والمناوءة لتلك الالهة المجرّبة ولهذه الاسباب كلها همّوا عَلَى تجربة حدابا ليتبينوا فيما اذا كان هو ايضا الها مثلهم، له القدرة الالهية ام لا. ولما علم بذلك اهيه اله الحياة والحكمة والعالِم بالخفايا، اعلم الانسان حدابا واطلعه عَلَى نوايا الالهة بانه سيُجرّب من قِبل هولئك الالهة، وسيقدم له نوعين من الخبز — خبز الموت وخبز الحياة — واوصاه بالا يأكل، إلا من خبز الحياة، وحذره بالا ياكل من خبز الموت لئلا يهلك

ويموت، وبهذا المعنى، ايضا نادى يسوع المسيح المولود في بيت لحم التي هي مدينة الخبز او المخبز بنوع التشبيه وقال اثناء بشارته : «انا هو خبز الحياة الذي نزل من السماء».

ولما تقرّر وحضر حدابا امام المجربين وقدّم له تموز الشاب عَلَى طبق واحد، نوعَي الخبز ـ خبز الحياة وخبز الموت ـ ورغم وصية اهيه له وتحذيره فقد سها باله وتناول واكل خبز الموت مُظهراً جهله وضعف ادراكه او عدم مساواته بالالهة من حيث المعرفة والحكمة. ومنذ ذلك الحين، اصبح الانسان مخلوقا مائتاً، وتعرضت ذريته لحكم الموت. ولكن اهيه خالقه ومحبه لم يهمله بل داوم عَلَى الاعتناء به محاولا افتداءه وخلاصه من ايدي القوات المبيدة التي استمرت في عدائها للانسان بسبب حسدها المتواصل الى ان حاولت، فيما بعد، هلاكه التام بجلب الطوفان المائي عليه وعَلَى ذريته التي كانت قد نمت وازدادت وتكاثرت، بشكل هائل ومرعب، لرغائب تلك الالهة المناوأة والمقاومة لوجود الانسان.

ولهذه الاسباب ايضا، فان بعض تلك القوات الروحية المعادية تحولت في نظر الانسان الى ارواح شريرة كما هو الاعتقاد السائد الى الان عامة، وخاصة عند اهل الاديان الالهية.

ويُبيّن كلكمش ايضا بان القوة الالهية المجسَّمة في مردوخ وابيه اهيه قد ابدعت واوجدت عالما جديداً، هو عالمنا هذا المادي، الذي تطور من العالم الروحاني الازلي وفيه صار الانسان موكلاً عَلَى الارض من قِبَل الله او من قِبَل تلك القوة الخالقة والمبدعة. وبسبب هذه الاعمال المدهشة والعجيبة نال مردوخ عن استحقاق ثناء وتمجيد القوات الالهية مع ثناء وتمجيد البشرية له. ثم صار مردوخ مع ابيه اهيه في عُرف

الانسان إلهاً واحداً من حيث الارادة والعمل و الاله الاول والمقدّم بين جميع القوات الالهية الأخر وهو اقربهم للانسان لكونه خالقه ومحبه الخاص.

ولشدة عنايته الخاصة به وبذريته لكونه صنيعة يديه، فقد اصبح في عقيدة الشعوب السريانية إلها محبا للانسان يعطف عليه وينقذه من اهوال واخطار الحياة المبيدة والمهلكة بشتى الوسائل الالهية ولاجل ذلك كانت قد تمركزت عبادته الرئيسية في المجتمعات السريانية، كالقرى والمدن الى ان صارت مدينة أُور مركزا دينيا لعبادة الاله اهيه، وبابل مركزا لعبادة الاله مردوخ، واثور مركزاً لعبادة الاله اشور الذي اعتبروه بانه هو روح الاله مردوخ وبذلك تكوّن الثالوث الالهي ذات الثلاث اقانيم: الاب والابن والروح او اهيه ومردوخ واشور.

ومنذ نحو الالف الرابع (ق.م) تكوّن بين السريان الايمان بهذا الثالوث الالهي، ومنه تكونت وتطورت تدريجيا مع بعض التغييرات التسميوية، عقيدة الايمان عند السريان وعند جميع النصارى باقانيمها الثلاثة: الاب والابن والروح القدس، الذين باتحاد ارادتهم يُعرف الايمان باله واحد احد هو الله تعالى، المعبود والمسجود له من قِبَل الاديان العليا رغم التغييرات التسموية عبر الاجيال والعصور.

وكرز السريان الايمان بهذه الوحدانية الالهية، ذات الثلاثة اقانيم، بين الامم والشعوب بشتى الوسائل والاساليب اثناء مجدهم الزمني لاجل توحيد البشرية وجمعها في وحدة عائلية بشرية، ملؤها السلام والالفة والمحبة تحت إمرة إلاه واحد هو الله مصدر حياة الانسانية، الذي كأب

حنون يُرسل من ذاته الرحمة والحنان والخلاص للبشرية وينقذها من اخطار الهلاك·

ومنذ ان ادرك السريان الايمان بالوحدانية الالهية وحققوا وجود الله الخالق وعظمة اعماله العجيبة، واهتمامه بكل المخلوقات وعنايته الخاصة بالانسان صنيعة يديه· فقد حاولوا الحصول عَلَى حسن رضائه الالهي بالاتصال الدائم معه، اما بالمناجات او بواسطة الابتهالات والصلوات اليه او بواسطة التأملات والالهامات الروحية، لتسير امور حياتهم الاجتماعية حسب رغائبه الصالحة. ولاجل تمجيده ومكوث روحه الالهية بينهم، للاستعانة الدائمة بعنايته وبقوته الالهية، فقد اقاموا له قبل كل الامم المباني الكبرى والهياكل العظيمة والمعابد الضخمة والمعاهد العلمية والابراج العالية في مدنهم وقراهم· وفيما بعد قلدهم بذلك شعوب وامم الارض وصاروا هم ايضا من اهل الاديان الالهية واقاموا عَلَى نسق السريان، الهياكل والمعابد والكنائس والجوامع والمساجد الجميلة والمباني الفخمة واللائقة باسمه وعبادته، والتي اصبحت بمثابة معاهد واندية اجتماعية وكنوزا تحوي معظم ثمار الثقافة والمدنية البشرية، كالعلوم والمهن والفنون الجميلة التي توصَّل اليها الانسان· وحول هذا الايمان بهذا الاله العام، وحسن العلاقات به، نظَّم السريان بالتدريج حياتهم الاجتماعية وبموجبها تطورت مدنياتهم وثقافاتهم، واقاموا النواميس الدينية والمدنية المرتكزة عَلَى الايمان بالمحبة الالهية ومحبة القريب، وامتدت فوائدها الى سكان معظم اقاليم العالم القديم، وانتشلت البشرية وايقظتها من غفوتها في ظلام الجهل وحياة الفطرة الى ان نهضت وسارت قِدما نحو الرقي المدني الذي يتمتع الان بثماره عالمنا الحاضر·

ومعظم كتَّاب او علماء السريان وحكمائهم القدامى امثال كلكمش ملك ارخ، وأور نعمه ملك أور، وسركون الاول ملك سومر، واكَاد الذي بنى بابل او جددها، وعمورابي ملك بابل، كانوا يضطرون في تعاليمهم وكتاباتهم ان يشبهوا الله تعالى ويمثلوه بصورة الانسان متخذين شكل او ذكر الاشياء المادية والملموسة او المحيطة بالانسان، وسيلة لتبيان والايضاح للادراك البشري وليعلم الانسان كنه بعض الامور الدينية المبهمة لاجل الوصول الى حقيقة معرفة الايمان بالوجود الالهي وقدرته العجيبة عَلَى كل شيء والاسترشاد به والعودة اليه اذا شذ او خالف ارادته الالهية. ولاجل زيادة الايضاح كانوا مضطرين ان يذكروا مجازاً في حكاياتهم الدينية او الادبية اسماء بعض الاشياء كالخبز والخمر، مثلاً اثنا سرد الحكاية، ويقرنوها بالحوادث الالهية قبل وجودها كما يظهر من القول الالهي لادم: «بعرق جبينك تأكل خبزك» وذلك قبل ان يَعرف ادم صناعة الخبز او حتى زراعة القمح.

واول هيكل اقامه السريان لكرامة الاله مردوخ كان في مدينة بابل حوالي الالف الرابع (ق.م) كما يبين كلكمش ودعي باسم «إيش هيكلا» لانه المعبد الاول او الهيكل الاول الذي اقامه الانسان لعبادة الله وتمجيده تحت هذه التسمية. ويقول كلكمش ان فيه وُضع لوح يحمل نحو خمسين صفة إلهية لمدح وتمجيد مردوخ واعماله العجيبة والمدهشة، ولاعتباره بانه به وبابيه اهيه قد صار بدء الحياة البشرية، وله يليق التمجيد. ومنذ ذلك الحين، تحولت انظار كل الشعوب السريانية الى مدينة بابل التي اصبحت قبلة انظارهم ومطمحها، ولذا دُعيت باسمها هذا المركب من كلمتين «باب ايل» التي تعني الباب الالهي او الطريق او الباب المؤدي

الى الله. وحول تلك الصفات الالهية وقعت جدالات دينية عنيفة، ومناقشات ادبية بين السريان عَلَى مدى الازمـان والعصور، وصارت اسبابا للتطورات الدينية والادبية، وظهور انواع النواميس والثقافات، حسب سنَّة التطور، التي منها ظهرت ونشأت فيما بعد الاديان الالهية المعروفة حتى الان. وبسبب بعض تلك المناقشات لقد تعصَّب البابليون لعبادة اسم مردوخ، وتعصب اخوانهم الاشوريون لعبـادة اشور، ومن ذلك التعصب والتحزب وقعت بينهم خصومات وحروب داميـة، عرضتهم للضعف والخضوع لنير الخوارج الى ان زالت دولهم الزمنية ونظام ملكلم وانحدروا بعد مجد زمني باهر طويل الامد الى مستوى الدويلات،، ومنها الى مستوى الطوائف والاقليات والملل الدينية الحالية.

ومما لا شك فيه ان الشعوب السريانية الهامة كالسومريين والاكاديين والبابليين والاشوريين والكنعانيين والاراميين، كانوا منذ نشوئهم نشطاء في العمل في مضمار الحياة، الى ان بواسطتهم ظهرت وازدهرت انواع الحضارات والمدنيات الثابتـة والغير الثابتة حول الايمان بهذا الالـه، لاعتقادهم به انه إله عامل كبير في نشاط تقدمهم ورقيهم، ولذا اتخذوه قـدوة في اعمالهـم وسموه بعل بمعنى فـاعل، لاعتقادهـم بانـه بعد ان صنع الله السماء والارض وكل ما فيهما، لم يكف ولم يكل عن افعاله او اعماله لتحسين مخلوقاته واحوالها التي اوجدها من مواد واشياء العالـم الروحاني السابق لعالمنا المادي، كل ذلك لكونهم امة مشهورة النشاط والعمل ولم يكونوا كسائر الامم والشعوب التي لم يكن باستطاعتها انشاء مدنيات لها ذات شأن، كأهل الباديـة مثلاً او الشعوب البربرية الرحَّل الذين قالوا : ان الله صنع العالـم من لا شيء بل بكلمة من فمه، اذ كان

يقول للشيء «كن فيكون». وبما ان المدنية العالمية قد قامت ونشأت اولا عند الشعوب السريانية عَلَى عمل الفلاحة والزراعة والاشتغال بالارض والاعمال المتنوعة كصناعة البيوت والمساكن وانشاء القرى والمدن، فانهم اخذوا يتوسعون ويتقدمون جداً في اعمالهم الزراعية وانواع الصنائع والفنون والانشائية والعمرانية الى ان جعلوا من اوطانهم جنة العالم القديم حيث اقاموا فيها عدة مدن محاطة بالجنائن والبساتين والاراضي المحروثة والمفتلحة كمدن : أور وبابل واشور ونينوى وآرخ وقيش وحلب ودمشق واورشليم وصور وصيدا وكثيرات غيرها من المدن التي لا تعد ولا تحصى، كل ذلك كان لاتخاذهم القوة الالهية قدوة ومثالا لهم في العمل وتسيير حياتهم مقرونة بالعمل والانتاج للوصول الى افضل واسمى انواع الحياة البشرية، بعكس البرابرة والرحّل الذين كانوا يسطون عَلَى المدنيات الثابتة، لدى الضيق والحاجة.

ومن المقابلة بين القديم والحديث او المقابلة بين الاديان السريانية القديمة، التي دُعيت جهلاً وتهكما باسم «الوثنية» وبين الاديان الالهية الحالية، نجد ان هنالك تشابهاً قريباً جدا بينها، ليس في معاني الاسماء والاصطلاحات الدينية فحسب بل وفي جوهر الاديان والاعتقاد المتّبع ايضا، او حتى في العوائد والتقاليد المتداولة بين الناحيتين، مما يدل جليا عَلَى قيام هذه الاديان الالهية، ونوشئها او انتشارها عَلَى اداب وثقافة الاديان السريانية القديمة، لعلمنا بان الكثير من المعتقدات الدينية السريانية القديمة والناتجة عن حكاياتهم وقصصهم الدينية والادبية، كحكاية الخليقة مثلاً وحكاية الطوفان وغيرها، اللواتي تسربت منهم الى

شعوب اسيا وافريقيا واوربا واميركا عن طريق بابل واثور وارام وكنعان واصبحت مصدرا لمبادىء ومعتقدات الاديان الالهية الحالية.

وبديهي انه في اثناء تسربها الى الاصقاع القريبة والبعيدة كانت بحكم الزمان والمكان تتعرض تلك الحكايات لبعض التغيرات اللفظية. وبتغير المنطق كانت تحصل بعض التغيرات في المعنى ايضا، مما كان يجلب بعض الاختلاف في فهم وادراك الايمان والمعتقد الى ان هكذا وبهذا الاسلوب تلخَّصت وانتظمت منها معتقدات الاديان الالهية المعروفة، مع بعض التفاوت والاختلاف فيما بينها إلا انه بحكم التطور او اثناء النقل والتطبيق الديني كان بعض الناقلين المغرضين، اما عفوا او عمدا يُلبسون احيانا اقاويل تلك الحكايات : الغموض والتعقيد والتحوير، وذلك إما لابعاد اتباعهم الى اهداف أُخر او لمنعهم من الرجوع والعودة الى الماضي القديم الذي وان كان مصدر الاديان الالهية فانهم كانوا ينعتونه «بالوثنية» او الجاهلية». وبالرغم من كل ذلك نعلم بانه اثناء سير معظم تلك التطورات التاريخية فقد دام الاعتقاد بتعدد القوات الالهية العجيبة التي لاجل ادراك الانسان تطورت الى شخصيات او اقانيم في لاهوت موحد بشكل التثليث والتوحيد، وأُعطي لكل من تلك الاقانيم الاسم اللائق بمركزه في الثالوث الالهي. ومن معاني اسماء الثالوث القديم المكون من اهيه ومردوخ واشور الحاوية في ذاتها المعاني اللائقة بمركزها ومهنتها وعملها، من حيث علاقاتها بالانسان، تطورت اسماء ومعاني شخصيات او اقانيم الثالوث الالهي المقدس المعروف الان والمتَّبع حاليا في الاديان الالهية وخاصة في الديانة المسيحية، وهم الاب والابن والروح الذين يعتبرون مقابل اهيه ومردوخ واشور. وبالمطالعة

والتدقيق سيجد القاريء شبهاً قوياً بين الثالوث الاول القديم وهذا الثالوث الحالي، من حيث الغاية والعمل والعلاقات بينها وبين الانسان.

حكاية الطوفان : ونظرا لضيق المجال نكتفي هنا بموجز حكاية الخليقة، حسبما سردها ودونها كلكمش في ملحمته الاولى والتعاليق عليها. ولننتقل الان الى الذكر والتعليق عَلَىَ ملحمته الثانية وهي حكاية الطوفان التي سردها ونظمها ايضا باللغة السريانية الاكادية على خمسة الواح، في نحو سبعمئة سطر، وبقالب شعري منذ نحو اربعة الاف سنة (ق.م) ومنها يظهر ان حادثة الطوفان العام، كانت قد وقعت بين الالف الخامس والرابع (ق.م)، او بنحو ستمئة سنة قبل مولد كلكمش، وفيها يروي ان بعض القوات الالهية مثل ايل وحنو وهدد لم يكتفوا بالوضع الذي وصل اليه الانسان وذريته من جراء التجربة الامتحانية الاولى التي بها خسر مركزه وتعرضت ذريته للموت والهلاك، لاكله سهواً من خبز الموت بدلا من خبز الحياة. بل وما زال بعض تلك الالهة حانقين عليه، لفرط اندهاشهم من مقدرته عَلَىَ العمل والانتاج وقالوا متحيرون به : «هلموا نبيده بماء الطوفان» لعلمهم بانه ترابي وسيذوب كالوحل في الماء رغم انه كان قد اخذ يتسلط عَلَىَ الرياح وعَلَىَ البر والبحر، وكل ما فيهما من طيور وحيونات واسماك ونبات، وينشيء القوراب والسفن ويسير بها عَلَىَ الماء، في الانهر والبحار، ويفتح الطرق والمواصلات في البراري والجبال، ويفلح الارض وينتج منها كل حاجاته الحيوية، وينشيء منها البيوت والقرى والمدن، ويغير وجه الارض ويعمل شتى الاشياء منها، التي كانت اصلاً قطعاً من طياميت عدوتهم، الامر الذي لم تعهده القوات الالهية قبل خلق الانسان، ذلك لان مهمة وواجب كل إله كان محدوداً ومقيدا بحفظ

مركزه مع حفظ الموجودات العائدة له كما هي ودون تحول او تنقل من وضع الى وضع او من شكل الى شكل، ما عدى اهيه إله الحياة والحكمة والغمر، الذي بـه وبابنه مردوخ وُجدت السماء والارض والكواكب والنجوم مع سـائر الاجرام السماويـة، ووضع في الارض، الانسان الذي أخذ يتكاثر ويزداد عدداً بشكل مرعب ومخيف لتلك الالهة الذين ارتابوا من ذلك الوضع، ومن عظمـة ذلك التكاثر وخشية ان يتفوق عليهـم ايضا الانسان وذريتـه، تآمروا عَلَىَ سلامته وقرروا ابادتـه مع كل ذريته بماء الطوفان لعلمهم بانه ترابي يعود الى الوحل والطين بكل سهولة قبل ان يشكّل اي خطر عليهم وعَلَىَ مصالحهم الالهية. واثناء المشاورة، لاموا اهيه وابنه مردوخ اللذين خلقا الانسان وجعلا فيه نسمة حياة الهية عجيبة حتى صار عَلَىَ شكلهما ومثالهما، يعمل ويصنع وينتج ويزداد قوة وعظمة. ولما علم اهيه بغاياتهـم وبنواياهـم هذه ابلـغ احد محبيه، اتنافشتيم وهو نوح التوراة واحد مواليد مدينة شوري بك او سوري بك، التي يعني اسمهـا مـدينة «بـدء الجنة». وامره ان يصنع لنفسـه سفينـة لينجـو بهـا مع آل بيته وجميع مقتنياته من الهلاك بالطوفان، ولما اكمل اتنافشتيم عمل السفينة العظيمة التي اتمها حسب ارشاد وتوجيه اهيه، جاء الطوفان بغتة فدخل اليها مع آل بيته وادخل معـه كل ما هب ودب مع بعض الصناع والعملة الذين اعـانوه في صنع السفينة، وسلَّم دفتهـا ليد الملاح بزور العاموري وبعد سبعة ايام وسبع ليال وقفت السفينة في اقصى اعالي جبال اثور الشمالية، وربما بقرب بلدة في جبال اثور تدعى الان باسم هسّانه او الحصن المشهورة بعنبها «الحسني» وحيث ما زال مقيما فيها نحو مئتي عائلة من السريان الشرقيين او الكلدان والاشوريين وفي جوار هذه البلدة

تقوم حتى الان قلعة نوح التي بناها كودي ملك قيش، والتي يأمّها كثيرون من الزوار المسيحيين والمسلمين مرة في كل سنة للاحتفال بعيد نوح البار، وهي تقع الان داخل حدود تركيا الحديثة محاذية لحدود العراق· وما زال سكانها يتكلمون اللغة السريانية الشرقية، وربما انه هناك او بجوار هذه البلدة زرع اتنافشتيم او نوح كرماً وشرب من خمرته حتى ثمل لشدة فرحه وقدم القرابين لله الذي انقذه مع ال بيته من الهلاك بالطوفان ثم تفرق ابناءه عَلَى وجه الارض (وهم: سام وحام ويافث) كما تدل عَلَى ذلك معلومات الكتاب المقدس الذي يبيّن كالعادة انه بعد الطوفان نزل اقوام من شمال ما بين النهرين الى سهل شنعار حيث عملوا لبناً من الطين وبنوا بيوتاً وابراجاً عالية للالتجاء اليها اثناء الطوفان العتيدة وهناك بنوا مدينة بابل وبرجها المشهور·

وبيَّن كلكمش ان اثناء الطوفان كان قد ارتابت بعض تلك القوات الالهية وخافت من جراء الحادث المرهب الذي فيه يعود الانسان الى الطين والوحل مع جميع اعمال يديه العجيبة، مثل الانشاءات والبيوت والقرى والمدن وغيرها، ولكن اما علمت تلك الالهة بان قوماً من الناس او اتنافشتيم وحاشيته قد نجوا من الهلاك بالطوفان تجدد غضبهم وحنقوا حنقاً شديداً وتحيروا في امر الانسان، وما عسى ان يكون، وللحال ظهر وانتصب امامهم مردوخ اله العدالة وشمس البرارة وقال للاله إيل وحَنو وغيرها معلناً انه ليس من العدل ابادة كل البشرية لمجرد وقوع الشواذ والاخطاء في بعض الانحاء بل وانما كل نفس تخطيء وتشذ هي التي يجب ان تعاقب وليس كل البشرية· وعندئذ اقتنع إيل وحنو وباركا اتنافشتيم وقومه، وقطعا عهداً الا يأتيا بالطوفان بعد ذلك عَلَى البشرية

متخذين القوس قزح كشهادة عَلَى ذلك العهد واشارة للسلام بين الناسوت واللاهوت. ومنذ ذلك الحين اصبح مردوخ مخلّصا للبشر ايضا كما وان فضائل شخصيات حنو وايل مع الحسنة اندمجت فيما بعد بشخصياته واصبحت شخصيات كل اولئك الالهة منسية لدى الناس، وهكذا ايضا شخصيات باقي القوات الالهية الاخرى وخاصة الصالحة منها، وضمت جميع المزايا الالهية الصالحة لهذه الاقانيم الثلاث وهم اهيه ومردوخ واشور.

وهنا يستطيع القاريء اللبيب ان يعلم كيف ان هذه الحكاية او قصة الطوفان ايضا مثل حكايــة الخليقة، تشبه كثيرا في معناها ومغزاها لِما جاء في التوراة والكتب المنزلة، الامر الذي يدل عَلَى ان الاديان الالهية قد نشأت حقا عَلَى اداب وثقافة الاديان السريانية السابقة بعشرات العصور والاجيال لأزمنة ظهور اليهودية والنصرانية والاسلامية او قبل ظهور اديان الكتب المنزلة والموحى بها.

وفي كلا حكايتي الخليقة والطوفان قد ظهر الاله اهيه إله الحياة مع ابنه او كلمتــه مردوخ بمظهر البطل والمخلّص الالهــي والــذي بحكمته تفوق عَلَى العناصر الشريرة والمناوئة للانسان.

وبعد حادثــة الطوفان استمرت عنايــة اهيه وابنه مردوخ بــالبشر وانقاذهم من شر الهلاك افراداً او جماعات، كعناية الاب بعائلته والتعاون بابنه المقدّم وكثيرون من الاقوام اتخذوه إلاها خاصاً لهم تحت تسميات متعددة وصفات متنوعة، فكان للسريان الوها ولليهود يهوى وللعرب الله.

ونظراً لشعور الانســان بالعون الالهي، فــان الكثيرين من البشر حافظوا بقدر الامكان عَلَى الايمان بالله والاتكال عليه مدى العصور والازمنة. وجاءت ثقافتهم عَلَى وجه الاجمال مقتبسة من النواميس الدينية. وحافظت

شعوب الامة السريانية عَلَى علاقاتها الدينية وصِلاتها الحسنة مع الوحدة الالهية المكونة من هذا الثالوث اكثر من غيرها من القوات الالهية الاخرى الى ان تشكلت تحت تسمية الاب والابن والروح، إله واحد في فجر النصرانية.

وفي الازمنة اللاحقة لفاجعة الطوفان تكاثر البشر ثانية وازداد عدداً وتجدد نشاط البشرية للعمل والتقدم وأنشأت مدنيات جديدة قائمة عَلَى توجيه الثقافة الدينية السابقة، والناتجة من الايمان بهذه الوحدة الالهية بزعامة الشعوب السريانية القديمة كالبابليين والاشوريين والاراميين والكنعانيين منذ اوائل الالف الرابع (ق م) وبهم دام سير مدنية البشرية نحو التقدم والازدهار بقوة فاعلية اديانهم الالهية الى ان اخذتها عنهم شعوب وامم أُخر ظهرت عَلَى مسرح البشرية ومدنيتها فيما بعد وبها وبمفعول عقائدها سرى التقدم الثقافي الى اقاصي العالم القديم.

وللسريان حكايات دينية وادبية أُخرى كثيرة غير المذكورة هنا انتظمت منذ ايام كلكمش ودخلت في اداب ومذاهب الاديان الالهية، وهي تدل عَلَى مقدار نضوج السريان ادبيا وثقافيا قبل ستة الاف سنة خلت. منها حكاية الطاووس المتكبر، وكيفية تمرد الشيطان وعصيانه عَلَى الله، وحكاية النسر والحية، التي تدل عَلَى كيفية اختطاف اطنا ملك قيش الى السماء، وربما هو المعروف باسم اخنوخ البار، وغيرها من القصص الادبية الكثيرة.

ومن الشعوب السريانية القديمة توارثت اهل الاديان الالهية الكثير من العوائد والتقاليد الدينية والمدنية، كعادة تقديم القرابين الغير الدموية؛ كالخبز والخمر التى كانت عادة دينية جارية ومتَّبعة فى اديان

السريان في اثور و بابل وارام وكنعان، واصبحت فيما بعد عادة متّبعة عند اهل الديانة النصرانية واستمرت الكنائس المسيحية عَلَىَ ممارستها الى الان٠

وفي اثناء قيام الدول السريانية الكبرى والصغرى كان رئيس الدولة او الملك في بابل واثور معتبراً عالماً مثقفاً يشغل المركز الملوكي ومركز الرآسة الكهنوتية او رئيس الاحبار معا، فكان اسر حدون مثلا، او اشور بني بال ملكاً ورئيس الاحبار والكهنة في زمن واحد، وهو الموكَّل عَلَىَ خدمة الشعب امام الله كملك وكاهن معا، يتولى ادارة الشعب روحيا وزمنياً، روحيا عن طريق الكهنوت وزمنيا عن طريق الملكوت٠ وكان في عدة مناسبات يترأس تقديم القرابين الغير الدموية، كما يظهر لنا من حياة ملكي صادق ملك شاليم، الذي قال عنه الكتاب بانه «كان يقدم الخبز والخمر لله العلي»٠

وبزوال رتبة الملوكيَّة عن السريان لفقدانهم حرية بلادهم واوطانهم وخضوعهم لنير الخوارج، فقد احتفظوا بالرتب الكهنوتية لادارة الشعب ادبيا وروحيا بواسطة الثقافة الدينية٠ وحين قيام الملوكية كان يفرض عَلَىَ الملوك ان يكونوا علماء مثقفين بالامور الروحية والدنيوية، لحسن ادارة رعاياهم الموكلين عليها من قِبَل الله٠ ولذلك ايضا كان الكاهن العادي رجلاً مثقفاً كما يجب ان يكون كاهن اليوم، ذلك لان كلمة «كاهن» بالسريانية تعني «العالم او العارف» ولذا لا يجوز ان يقوم امام الشعب ويديره انسان يجهل امور الحياة٠

وبزوال السلطة الزمنية عن السريان، واحتفاظهم بالسلطة الكهنوتية فقط، تمكنت الامة السريانية من مداومة البقاء وهي تقدم خدماتها المثمرة، دينياً ومدنياً للبشرية جمعاء الى يومنا هذا رغم زوال مجد اثور وبابل

الزمني وهذا هو السبب المباشر لحفظ الكيان السرياني، رغم كل التطورات العالمية ومرور الاجيال القاسية والتي كانت سبباً للقضاء عَلَى كيان شعوب كثيرة أخر عبر التاريخ، بينما حفظ الكيان السرياني عبر العصور.

ولا نبالغ اذا قلنا بأن الكهنوت دامت مثل سراج مضيء ساطع يشع منه نور الثقافة في سبيل سير المدنية العالمية، وبها تكونت معظم انظمة الحياة الاجتماعية الصالحة. ولهذه الاسباب كلها فان الثقافة السريانية كانت في كل ادوار وازمنة تطورها وتنقلها من جيل الى جيل، قائمة بزعامة الكهنوت عَلَى العلوم الدينية التي تعني النواميس الالهية الممنوحة للبشرية. وحتى ايامنا هذه، فان ادارة المدنية العالمية ما زالت قائمة عَلَى اسس النواميس الدينية. ومهما حاول البعض الحياد او الابتعاد عنها فانهم ولا شك عائدون اليها مرغمين، لان النواميس الدينية هي قلب وحياة النواميس المدنية.

وخلال الالف سنة الاولى اللاحقة لفاجعة الطوفان تمكن سكان ما بين النهرين، من تجديد المدنية وملاحقة سير التقدم الثقافي الى ان اثناء الالف الرابع (ق‌م) كانت قد تطورت الكتابة من الخطوط الصورية الرمزية الى الخطوط الاسفينية اللفظية، ونشأت القرى والمدن من جديد بواسطة نشاط الشعوب السرياتية. وصارت الاحوال المدنية كسابق عهدها حسنة ومزدهرة. وهكذا عم نشاط التقدم والازدهار معظم الاوطان السريانية.

حينئذ ظهرت دول السريان الاكاديون والسومريون او البابليون،ثم الاشوريون والاراميون والكنعانيون ومن هؤلاء ظهر الفينيقيون والعبرانيون

والعاموريون· وبهم وباجيالهم اللاحقة دام الايمان والعقيدة البشرية بالوحدة الالهية الى يومنا هذا·

وباسباب ذلك التقدم الانشائي والعمراني والتقدم الديني والمدني لدى الشعوب السريانية كانت قد طفحت علوم المدنية عن الاوطان السريانية ووصلت الى البلدان والاصقاع القريبة المجاورة والبعيدة، ومنذ الالف الرابع (قم) وبسبب التوسع والازدهار، كثيرون من ابناء الشعوب السريانية اخذوا يتفرقون ويتشتتون في اربعة اقطار المعمورة الى ان وصلوا الى الهند والسند شرقا، والى اسيا الصغرى واوروبا غربا (كالبلقان واليونان وايطاليا وفرنسا واسبانيا والبرتغال)، ومصر وشمال افريقيا، حيث زرعوا بذور المدنية السريانية وثقافتها بهمة ونشاط، لم تضاهيهم بها امم وشعوب أُخرى حتى اليوم اذ ان اثارهم للان لم تزل موجودة في اعماق مدنيات تلك البلدان·

وما تحويه الان اهل الاديان الالهية من العوائد والتقاليد الدينية او المعاني والمغازي او المقاصد الروحية والادبية المفيدة لحياة الانسان، فان معظمها متورثة من انظمة اديان وثقافة الشعوب السريانية القديمة، منذ الاف السنين لاجل فائدة جميع البشرية وتطور مدنيتها وسيرها نحو التقدم والرقي والازدهار للبلوغ الى افضل اساليب الحياة الاجتاعية، وان تلك العوائد والتقاليد الصادرة عن المعتقدات العامة والايمان بالقوات الالهية الخالقة والمبدعة، وخاصة القوة الالهية المحبة للبشرية، كانت وما زالت تُدعى بمجموعها لدى السريان باسم سوريوتا Suroyutha المختصرة من اسم اسوريوتا Assurayatha ، وذلك من قبل بزوغ فجر النصرانية بعدة قرون، وكان القصد منها بث الديانة السريانية المكونة من عقائد

الشعوب السريانية وارائهم و نظرياتهم في الحياة، وهي التي اصبحت فيما بعد ركناً للمذهب او للعقيدة النصرانية واتباع الديانات الالهية، وانتشرت في معظم اقاليم العالم القديم بشتى الوسائل، مثل الكرازة والتبشير والرحلات العسكرية والتجارية. ولاجل ذلك فان هذه التسمية، واعني سوريوتا ما زالت سارية في التطبيق المعنوي حتى الان بين السريان الناطقين باللغة السريانية عَلَى اهل الديانة النصرانية خاصة لاعتقادهم الراسخ بان هذه الديانة ناتجة عن اديانهم السريانية القديمة – سوريوتا – السابقة لعهد النصرانية بعدة قرون. وان هذه التسمية الاخيرة، واعني سوريوتا او المسيحية ليست الا تسمية أُخرى لاسلوبهم الديني السابق لعهد ظهور النصرانية او المسيحية.

حكاية الملك طاووس او سقوط الشيطان

ومن حكاية الملك طاووس او سقوط الشيطان الذي لا يزال يُعبد او يكرم ويحترم من قِبَل طائفة اليازيد في العراق وسوريا وتركيا وايران بشكل الطاووس يمكننا ان نفهم بانه كان يمثل احد الالهة الملحقة بالاله ايل او ايليل، وانه تكبر عَلَى سيده الالهي «ايل» وخطف منه التاج الالهي عندما كان في الجنة يستحم بماء الحياة، مما ارغم الكثيرين من الارواح الملائكية ان تلتحق به فاحدث سجساً وشغبا في صفوف الالهة اذ اعلن ذاته إلاها قويا فوق كل القوات الالهية وادعى بان له وحده يجب ان يُقدم السجود والطاعة، الامر الذي به احدث تشويشا وغوغاء في السماء. وانقسمت القوات الالهية الى قسمين متخاصمَين، الواحد يؤيد

الاله ايل، والاخر يقاومه ويؤيد سطنائيل. وبناءا عَلَى ذلك ساءت الاحوال بين الرتب الالهية والسلطات السماوية لمدة من الزمن، وتعرضت فيهـا حياة العالم الروحاني الى تطورات مضطربة ومزعجة للغاية. ولما بلغ ذلك مسامع اهيه اله الحياة والحكمة ارسل كلمته وامره الى ابنه مردوخ للاهتمام بانقاذ الموقف وخلاص الالهة من ذلك الانزعاج، فنازل مردوخ ذلك الثلاب المتمرد، وحاربه الى ان غلبه. واسترد منه التاج الالهي، واعاده للاله ايل. وأُسقط الشيطان من باذخ مجده ومعه اتباعه، وتحولوا جميعاً الى ارواح شريرة منبوذة ومعادية او مقاومة لله وللبشر واصبح سطنائيل رئيسها مصدر كل شر. وبما انـه أُقصي من الحضرة الالهية فقـد دُعي باللغة السريانية باسم «سطنائيل» بمعنى «الالـه المُبعَد» وباسم «شيدو» بمعنى «المنبوذ». وفي عرف اهل الدين يُظن ان حوادث هذه القصة وقعت قبل ان يخلق الانسان الذي خُلق فيما بعد ليشغل الفراغ الذي احدثه الشيطان في المحيط الالهي بتمرده عَلَى الله. وفي سفر ايوب ورؤيا يوحنا ورسالتا بطرس ويهوذا، وغيرها من الاسفار الدينية الاخر توجد عـدة تلميحات واشارات لمثل هذه الحادثـة ولسقوط الشيطان كالبرق من اعـالي مجده وتحويله الخيالي الى تنين مخيف او خصم معاد لله ولاتباعه الصالحين من البشر والملائكة.

واما اليازيد المعروفون باسم عبدة الشيطان فهم خليط من الاديان والمذاهب السريانية القديمة ويؤمنون بوجود الله، إلا انهم لا يكفرون بالشيطان فانه سيرجع يوم الدينونة الى الله الذي سيقبله لانه قابل التائبين، فلذلك لا حاجة الى معاداته او التهكم عليه. واهل هذه الطائفة ما زالوا مشتتين في ايران وتركيا والعراق وسوريا، واكثرهم اندمجوا بالعناصر

المجاورة كالاكراد والاتراك والعرب والفرس وغيرهم، وهم ما زالوا يحترمون تمثال او صنم الطاووس لاعتقادهم بانه يمثل الاله المغضوب عليه، الذي هو سطنائيل·

حكاية النسر والحية او الصديقَين المتناقضَين

واما في حكاية الصديقَين المتناقضَين التي تُعد اول قصة ادبية، وُضعت عَلَى لسان الالهة والانسان والطيور والحيوانات، يظهر ان النسر والثعبان او الحية تعاهدا امام مردوخ اله الشمس الذي كان مرجع الحق والعدالة واتفقا عَلَى ان يشتركا معاً في الصيد والقنص بصدق واخلاص وان يتمتعا في اخر النهار مع فراخهما بغنائم الصيد. وتعاقدا متكلين عَلَى عدالة الاله شمش ان ينصف ويحكم بينهما بالحق، اذا اختلفا، وهو ينتقم من الخائن او ناكث العهد· وحدث انه في اليوم الاول توفق النسر واصطاد عنزاً بريا فأكل منه الصديقان وفراخهما معهما حتى شبع الجميع وشكروا الله عَلَى تلك النعمة، وفي اليوم الثاني حدث ان الحية ايضا صادت عجلاً واكل منه الشريكان وفراخهما الى ان شبعوا وشكروا الله· وهكذا استمرت الشركة بنجاح وصدق واخلاص لبرهة من الزمن، الى ان شح الصيد ولم يعد متوفراً كالسابق فدخل الغش في قلب النسر وخالف ضميره ونوى ان يختلس فراخ الحية ويأكلها، واعلن النسر نيته هذه لاحد فراخه الذي اجابه قائلا : «لا يا ابتاه، لا تقدم عَلَى مثل هذا العمل المخجل المشين فان الحية حكيمة وحريصة جدا عَلَى الانتقام وربما ستكون انت ضحية غدرك بها ونكثك للعهد الذي أُبرم بينكما»· الا ان النسر لم يرعوِ ولم يرجع

عن غيه، ولم يسمع لصوت ارشادات ابنه بل انقض للحال عَلَى عش الحية والتهم فراخها المحرومة من اي دفاع. ولما اكتشفت الحية ذلك المصاب الاليم شكت امرها نائحة وباكية لشمش اله البرارة والعدالة الممثل في اقنوم الاله مردوخ قائلة له: ربي والهي انصفني بعدالتك المعهودة وادّب خصمي النسر الذي بعد تعاهده معي امام لاهوتك بالثبات عَلَى الصدق والاخلاص في عملنا وشركتنا، فقد غدرني واكل فراخي، ذلك لان عشه في اعالي قمم الاشجار الباسقة بعيد عن منال الخصوم، واما عشي الحقير فانه عَلَى سطح الارض او في شقوقها او تحت اخماص الحيوانات فتمكن بسهولة من غدري وافتراس فراخي البريئة والتي كانت عديمة الدفاع. فانني الان اطلب منك ان تنصفني وتؤدب الخائن وناكث العهد حسب استحقاقه، ليكون عبرة لامثاله الخونة والمحتالين والجناة. ثم جاء صوت من لدن شمش يقول للحية ويأمرها بالصعود الى احدى الهضبات حيث يرعى النسر وهناك تصطاد عجلاً وتلبث مختبئة في جوفه الى ان يأتي النسر مع باقي الطيور الجوارح ليأكلوا منه فتفاجيء النسر وتصطاده ملتفة حوله، وتنتف ريشه ووبره ليعجز عن الطيران، وبعد ذلك تلقيه في احدى الحفر المملوءة طينا ووحلا حيث سيجني ثمار اعماله الشريرة. وهكذا صار اذ وقع النسر غنيمة للحية التي امتثلت لاوامر شمش، وبقي النسر ملقيا في وهدة الوحل وهو يصرخ ويدعو الى الله ويصلي باعلى صوته نادماً وواعداً بالا يعود الى ارتكاب مثل تلك الخطيئة اذا حصل عَلَى العفو عنه وأُنقذ من الهلاك في اسفل الهوة. واخيرا اجابه شمش قائلاً: ويحك ايها الغبي الظالم وناكث العهود فانك لم تبلغ القصاص الذي تستحقه فامكث الان حيث انت الى ان يكمل فيك زمن عقابك.

وحدث ان في تلك الاثناء ان اطنا الصالح ملك قيش الممثل في شخص اخنوخ البار والصدّيق كان قائما هنالك عَلَى مقربة من النسر يصلي لله، ويطلب منه ان يعطيه ثمر البطن او ابنا يكون وريثا لملكه، قبل انقضاء ايام حياته فينزل الى الهاوية عاقراً رغم ايمانه بالله واتكاله عليه، ورغم كثرة تقديم قرابينه ليرضى الالهة، ذلك لان العاقر كان مهانا في عرف السريان وخاصة الملوك لاعتقادهم بان المُلك مستمد من الله تعالى ويجب ان يكون مثمراً لكونه موكلاً من قِبَل الله عَلَى الارض ووسيطا بين الله والبشر ولذا من العار ان يبقى الملك عاقراً وينقطع عنه حبل الحياة الوراثية ومعها الوكالة الالهية عن بيته الملوكي فيتحول المُلك الى غيره. وبينما كان اطنا مناجيا يصرخ بخشوع الى الله قائلاً: ربي والهي انعم علي بثمرة البطن وازل عني هذا العار. اذ تميزت من السماء يأمره ان يذهب لعند ذلك النسر الطريح في الحفرة وينتشله من بين الاوحال، ويعتني مهتماً به الى ان تعود اليه قوته وينمو ريشه وينقذه من الفناء النهائي، مشترطا عليه بان يصعده الى السماء ليضع امره امام الاله حنو إله الرحمة والحنان، فهو يلبي طلبه ويهبه ابنا وريثا. وبموجب تلك الاوامر اهتم الملك الانساني البار والعادل بملك الطيور الخاطئ والمحتال وناكث العهود ليسترد ريشه وقواه، واعداً ان يصعد به الى اعالي السماء دون ان ينكث بعهده ووعده. ولما قوي النسر واشتد صعد به لعند الله الذي امره بالعودة الى بيته حيث سينال بغيته. وبعد حين وُلد له ابن وريث، ربما هو متوشالح، والد نوح، فطارت نفسه فرحاً الى ان اختطف ثانية الى السماء جزاء حسن ادارته لرعيته، ولم يوجد بعد ذلك بين الارضيين لان الله اخذه (تكوين ٥: ٢١ـ٢٤).

ويُستدل من معنى هذه الحكاية ومغزاها الديني والادبي عَلَى وجوب مداومة حسن العلاقات بين الناس، وحفظها واحترامهـا باخلاص وتودد، لئلا تتعرض حيـاة المنافقين والشـاذين للعقاب الابدي او الى الهلاك والموت، الذين ان شاؤوا وتابوا لله يمكنهم ان يحيوا ويخلصوا، ذلك لان الله مع كونه عادلا فانه رحوم ايضا، وهو كالاب الحنون الرؤوف باولاده، يشفق عَلَى الناس وخاصة التائبين منهم لكي يحيوا ولا يموتوا بشذوذهم او خطاياهم، والغاية من كل ذلك الاعتقاد هي تحسين معيشة الانسان وحسن تسيير الحياة الاجتماعية، في نطاق العدالة والحق ولمداومة سير التقدم المدني نحو الافضل في نطاق الامن والالفة والسلام والمحبة بين الناس.

ويغلب الظن ان حوادث هـذه القصة الادبية قد وقعت في الازمنة السابقة للطوفان، ذلك لان اطنا الذي يشخّص اخنوخ التوراة الذي كان جداً لنوح واسمه بالسريانية يعني الحزين او الشجي لكونه عاقراً، وبعد حادثة اطنا او اخنوخ الذي قيل عنه بانه اختُطف الى السماء فان التاريخ الديني يذكر عدة حوادث اختطاف الابرار الصالحين وصعودهم احياء الى السماء بشتى الوسائل، وذلك جزاء اعمالهم الصالحة مثل صعود ايليا النبي ومركبته النارية في العاصفة الى السماء (الملوك الثاني ٢:١١ـ١٢) وصعود يسوع المسيح الى السماء (لوقا ٢:٥٠ـ٥٢) وصعود بولس الرسول الى السماء الثالثة واختطاف فيلبس احد تلاميذ المسيح وملاقاته مع الخصي الحبشي (اعمال الرسل ٨ : ٣٩).

وبالاضافة الى مثل هذه القصص الادبية المذكورة هنـا بالايجاز، والتي عليها وبها انتظمت معظم النواميس والتقاليد الدينية الالهية واغنت البشرية ثقافيا واديبا، فقد كتب ودوّن علماء السريـان امثال كلكمش

وأور نعمه وسركون ونارام سين وعمورابي، تاركين للعالم اجمع الوف الحكايات والقصص الادبية إن نثراً او شعراً، منها عَلَى ألسنة الالهة ومنها عَلَى ألسنة الناس ومنها عَلَى السنة الحيوانات والطيور، منقوشة ومحفورة عَلَى عشرات الالوف من الالواح المكتوبة والمدونة بانواع اللهجات السريانية القدية ومخطوطاتها التي تملأ الان متاحف امم وشعوب العالم المتمدن، والدالة كلها عَلَى مقدار غنى ثروة السريان في الاداب والفنون والثقافة والدين والمدنية، قبل نشوء الفلسفة اليونانية او حتى قبل ظهور الديانات اليهودية والنصرانية والاسلامية بالاف السنين والتي لم تكن كلها سوى فروع خارجة من حكمة السريان وثقافتهم الدينية والتي تدحض اقاويل بعض الكتّاب المغرضين الذين لغايات في نفوسهم، باطلاً زعموا بان السريان لم يتركوا إلا بعض الكتابات الركيكة والتعاويذ عَلَى حجارة المدافن والقبور وبادعائهم هذا، فقد سها بالهم عن انه بالسريان اولا وُجدت الثقافة العالمية الدينية والمدنية، وذلك باستنباطهم انواع الخطوط والكتابات منها الصورية والاسفينية. واخيرا الحروف الهجائية الابجدية والتي بها تختزن حتى الان معظم الشعوب وامم العالم المتمدن ثروة حكمتها في طيات الكتب والمؤلفات.

وبالتأمل وإعمال الرويّة في تطور ثقافة الأديان الالهية، نجد ان اليهود، اهل كتاب التوراة، الذين ثبت بالتأكيد بانهم نقلوا ثقافتهم الدينية عن السريان الكلدانيين في أور التي كانت في اقاصي جنوب ما بين النهرين، بواسطة ابراهيم وعن السريان الارامين في فدان ارام في أقاصي شمال ما بين النهرين او سوريا الشمالية بواسطة يعقوب الذي دعي اسرائيل، فانهم لم يكتبوا شيئاً قبل موسى النبي. وهكذا ايضا فان اليونان او الاغريق

ومعهم الفرس والرومـان كانوا أميّين، يجهلون الكتابـة والقراءة الى اوائل القرن العاشر (ق.م) ومن بعد ذلك اخذوا علم الكتابة والقراءة عن السريان البابليين والاشوريين وثم عن الاراميين والفينيقيين. وحتى الان فان معظم بقايا هذه الامم وغيرها يلفظون اسماء حروفهم الابجدية بالفاظ واسماء سريـانية. وكذلك قـل ايضا عن العرب الذين اخـذوا حروفـم الابجدية عن السريان بعد بزوغ فجر النصرانية بنحو خمسمئة سنة، إلا ان معظم هذه الشعوب بعد ان تسلحوا بقوة الثقافة السريانية تعاونوا عَلَى تنظيم وامتداد ونشر قواعد ومباديء الاديان الالهية الى جميع اقطار العالم، ولكونها مأخوذة من الاصول والمصادر السريانية، فانها ما زالت تحمل اصطلاحات ثقافية سريانية نمت اولا عَلَى ضفاف الدجلة والفرات منذ العصور الحجرية بهمة الشعوب السريانية الذين منهم امتدّت الى امـم العالـم القديم، بواسطة تلك الشعوب التي تسلحت بقوة الثقافة السريانية.

وهكذا فان الكتب والمؤلفات والمخطوطات السريانية التي نجت من التلف والخراب قد ملأت افاق العالم المتمدن. كما ملات طبقات الارض في الاوطان السريانية وما يجاورها من البلدان والاصقاع. وهي برهان ساطع ودليل قاطع ببطلان إدعاءات المنكرين الجاحدين والقائلين بان السريان لم يتركوا مخلّفات غير بعض المخطوطات عَلَى حجارة القبور وبعض السكوك التجاريـة او سجـلات الـزواج، متناسين بان الاحرف والخطوط التي بها يكتبون هـذه الادعـاءات الباطلة هي من نتاج ثقافـة السريان، وهي اعظم ما اوجدته الثقافة والمدنية العالمية.

ومن المؤلفات المتنوعة المواضيع التي خُطَّت عَلَى الواح الاجر فقط، فقد وجد المنقبون الاثريون حتى الان مـا يزيد عن المئتين الف قطعة

من الالواح اكثرها مكتوب بانواع اللهجات السريانية الاكادية والاشورية والارامية والفينيقية، التي بمجموعها تحمل وقائع واخبار تطور الشعوب السريانية خاصة وتطور الحياة البشرية منذ فجر المدنية العالمية وحتى الان. وحتى الان لم يتمكن الاثريون والمنقبون او البحاثون، من حل رموز ومعاني او قراءة اكثر من نحو عُشر تلك المؤلفات السريانية التي منها الان يمكننا ان نستدل كيف نمت ونشأت وتطورت المدنية والثقافة العالمية بجهود الشعوب السريانية، وكيف عنهم امتدت الى الشعوب المجاورة ومن ثم الى اقاصي العالم القديم. وبهم تحولت حياة سكان الارض من الفطرة والوحشية الى انظمة الحياة المدنية الفضلى. اما باقي الواح المخطوطات السريانية التي تُعد بمئات الالوف فانها ما زالت مكدسة في مكاتب ومتاحف الامم المتمدنة بانتظار اهتمام الطلاب وعشاق العِلم لحل رموزها وتفسير معالمها. ومع كل هذه المكتشفات الاثرية التي تكاد لا تحصى، فما زالت الاوطان السريانية برمتها تُعد لدى العلماء كتابا عظيما يدل عَلَى العجائب السريانية الثلاث التي بها خدمت البشرية وهي الدين والثقافة والمدنية. والتي منها وُجدت ونشأت وتطورت معظم مباديء الاديان التقدمية، ونرى انه في خلال الاربعة الاف سنة الواقعة بين ختام العصر الحجري الاخير وحوادث الطوفان الكبير كانت قد سارت البشرية في الاوطان السريانية شوطاً واسعاً في مجال نشوء ونمو الثقافة والاداب والدين والمدنية بهمة وجهود العناصر السريانية البدائية كما يُستدل من كتابات كلكمش الذي كتب ودوّن المعلومات بهذا الخصوص باللهجة السريانية الاكادية الشبيهة الى حد بعيد بلهجة طور عابدين السريانية العامية، والتي ما زال الكثير من مفرداتها واصطلاحاتها

في حال التداول والاستعمال باللهجات السريانية الحالية الاخرى· ولقد دوّن كلكمش السرياني الاكادي، ملك ارخ (في العراق الحالي) ما بلغه وما توارثه تقليديا عن الاقدمين مثل نوح وسام واشور وارام وافكشار وغيرهم من السابقين· وجمع بهمة ونشاط نادرين معظم المعلومات الهامة عن حوادث واحوال وسير مدنية البشرية في زمنه وفيما قبل الطوفان· ومن المعلومات الادبية التي ادلى بها هذا الكاتب العظيم ومن لحقه من بعده في مدة الاربعة الاف سنة اللاحقة للطوفان، كانت قد ظهرت وانتظمت وازدهرت مدنيا شعوب الامة السريانية وممالكها ودولها كالسوماريين والاكاديين والبابليين والاشوريين والكنعانيين والاراميين الذين بهمتهم وجهودهم تكونت وتقدمت المدنية العالمية، ودام سيرها حتى بزوغ فجر النصرانية وباحفادهم تطورت البشرية نحو النضوج المدني الفاضل والمزدهر الذي ظهرت فيما بعد ثماره في الامم والشعوب اللاحقة كالفرس والمصريين واليونان والرومان والعرب وغيرهم·

ان جميع تلك الشعوب السريانية وفروعها كانت الاولى التي تعاونت لتوجيه وتسيير المدنية نحو التقدم· ونظرا للتشابه العام الذي كان بينها ولتقارب حضارات عناصرها تكونت بالتدريج وحدة وطنية كبرى وامة واحدة سريانية ذات ثقافة واسعة قائمة عَلَى مبادىء دينية موحّدة صارت ركنا للمدنية العالمية ولاديانها الالهية·

وتحققت تلك الوحدة الدينية والثقافية باسم سوريوتا· واشتهر امرها بزعامة ملوك اسور وخاصة بهمة شلمن اسر الاول ١٢٧٣ (ق‌م) وثم بهمة تغلت بل اسر الاول ١١٢٠ (ق‌م)· واستمر في متابعة تسيير دفة تلك الوحدة السريانية ملوك الامبراطورية الاشورية مثل شلمن اسر الثاني

والثالث وسنحاريب واسر حدون وسركون الثاني واسور بني بال. وبما ان الاراميين كانوا عوناً لاخوانهم الاشوريين في حروبهم وفتوحاتهم ضد الحثيين منذ ايام شلمن اسر الاول، تيسَّر الامر لتغلّب اللهجة الارامية عَلَى سائر اللهجات السريانيــة الاخرى التي اندمجت بهــا وكوّنت من اتحادها واندماجها لغة واحدة هي اللغة السريانية الحالية.

ان هذه التطورات اللغوية والثقافية بما فيها الدينية والمدنية تفاقم امرها وازدهرت الى ان تولَّدت منهــا النصرانيــة التي هي ايضا عُرفت عندهم باسم سوريوتا لنشوئها عَلَى مبادىء الثقافة السريانية إلا انه خلال الستمئة سنة السابقة لفجر النصرانية كانت قد بدأت تتفكك عرى اوصال وروابط تلك الوحدة السريانية الكبرى وامبراطورياتها العظيمة لكثرة الغزوات من الخارج الى ان تقلص ظل عظمتها الزمنية في الامبراطورية البابلية الثانيــة والاخيرة بزعامــة ملوكهــا الكلــدانيين مثل نبوبل اشر ونبوخذنصّر ونبونيدس وبلطشصر (او بعلت اسر). ولدى سقوط هــذه الامبراطورية البابلية او الكلدانية الاخيرة سنة ٥٢٨ (ق.م)، فقدت الامــة السريانية اخر مرحلة من عظمة تلك الوحدة السريانية الزمنية وآلت نحو التفكك والانحلال الزمني بسبب فقدانها حريتها الوطنية للفرس واليونان والرومان وغيرهم ممن لحقهم في فتوحات الشرق.

ورغم كل التطورات السياسية التي تعرّضت لها الامة السريانية فانها ظلّت محتفظة بزعامتها الدينية والثقافية والمدنية في العالم القديم، حتى بزوغ فجرِ النصرانية او الى ما بعد ذلك بنحو تسعمئة سنة حينما اخذ الظلام الزمني يخيّم عَلَى رواق التقدم المدني العــام في الشرق والغرب، بسبب تدهور روما وفارس عن عظمتهما، ولكثرة هجمات وغزوات قبائل البرابرة

المحتلة من كل الجهات. وقبل ان يصل العالم الى اخر القرن السابع (ب‌م) ذهبت كضحايا لتلك الغزوات والفتوحات عدة امبراطوريات بعد الامبراطورية السريانية الاشورية والبابلية، كامبراطوريات الفرس واليونان والرومان اللواتي كل بدورها انحدرت وتحولت الى انظمة الدويلات المتعددة. كما جرى من قبلها للامبراطورية السريانية التي انحدرت وتحولت الى انظمة الدويلات، والاقليات الدينية الحالية والتي اصبحت فيما بعد بمثابة انوار ساطعة للمدنيات والثقافات العالمية.

ومنذ فقدان او وزال مجد دولتي اسور وبابل وفقدان السريان حريتهم الوطنية تحولت السياسة السريانية في اتجاهها نحو الادارة الروحية الداخلية عن طريق النضوج الديني، مستغنية عن اسباب استرجاع سلطتها الزمنية لاندفاعها نحو عقيدة «محبة الله ومحبة البشرية» وكانت قد ظهرت بوادر مثل هذه العقيدة في ايام اسور بني بال، مكتوبة عَلَى الالواح في مكتبته الشهيرة تقابل معناها الاية الذهبية التي فاه بها يسوع الناصري قائلاً : كما تريدون ان يفعل الناس بكم، افعلوا انتم ايضاً بهم هكذا (لوقا ٦:٣١). ومن مثل هذه التعاليم الدينية السريانية يمكننا ان نعلم الى اي درجة عالية من حيث النضوج الديني والمدني كانت قد بلغت ثقافة الشعوب السريانية منذ مئات السنين قبل فجر النصرانية، الامر الذي بسببه ايضا حادت تلك الامة نهائيا وارتدت عن حب قيادة وزعامة الادارة العالمية الزمنية وصارت امة عالمية، وتحولت الى حب القيادة الروحية عن طريق الفضيلة والادب والثقافة الى ان هكذا اصبحت ايضا امة ذات حياة روحية عالمية بقوة ثقافتها الدينية، وهي مجردة من اسلحة السلطة الزمنية.

الا ان ذلك الوضع الاخير قد جعل من السريان واوطانهم فريسة

سهلة للغزاة ومطامع الخوارج لمدة الخمس والعشرين قرن الخالية، فيها انفصل وانسلخ عن جسم الامة اقسام كبيرة وملايين عديدة من الانفس الذين اندمجوا بالفاتحين الاغراب وشكلوا معهم شعوبا جديدة ودولا أُخر تحت تسميات متعددة كما تبين في كلامنا السابق بل وانقلب البعض منهم الى خصوم معادين لاخوانهم وللبقية المحتفظة والمتمسكة بسريانيتها.

ولقد قال علماء الحياة الاجتماعية : بان ثلاثة تكفل وتؤمن بقاء وحدة الامة وكيانها وهي وحدة اللغة والدين والتقاليد. واذا تسرب اي خلل الى احدى هذه الامور تتعرض وحدة الامة الى الضعف والانحلال وهو كما حدث للامة السريانية عندما انقسمت سياسياً وبقيت محتفظة بالسلطة الدينية فقط بواسطة الكهنة ورجال الدين. آلت نحو الضعف والانحلال وزال مجد حكمها الزمني بدخول اللغات الغريبة كالفارسية واليونانية وغيرها بين صفوف ابنائها الذين اعتنقوا مباديء وتقاليد الغرباء. ولم يبق محتفظا بالقومية السريانية سوى بضعة من الملايين الحاليين في الشرق وخاصة الناطقين باللغة السريانية، حيث لا يزيدون الان عن الاربعة ملايين من الانفس علَى وجه التقريب ومعظمهم يقيمون في اوطانهم الاصلية في اقاليم الشرق الاوسط، حيث يحيون حياة الوآم والمسالمة مع بقية المواطنين المنفصلين عنهم دينيا ولغويا.

اما في العصور القديمة السابقة لسقوط نينوى وبابل او عندما كانت تتعرض الامة السريانية واوطانها لحكم وسلطة الغزاة او الفاتحين الاغراب امثال الاريين والكوشيين والحثيين والسكوثيين وغيرهم من الخوارج فان دولا وممالك الشعوب السريانية كالبابليين (او الكلدان) والاشوريين والاراميين كانوا يعيدون الى الامة واوطانها حريتها المفقودة

بحروبهم الطويلة لاجل تحرير وتطهير البلاد وانقاذهـا من ربقة ونير سلطة الغزاة الاغراب والخوارج، الا انه منذ سقوط دولتي اشور وبابل، فان هاتيك الشعوب السريـانية المضعضعة الاركان كانت قـد تخلَّت عن إدارة البلاد الزمنية والسياسية للخوارج ولاقسام السر يان الذين كانوا ينضمـون الى الخوارج الـذين حاصروا البـاقين منهـم وقيدوا حريـة المتمسكين بسريانيتهم بالنظريات الدينية القائلة بوجوب الطاعة للسطات الزمنية كما هي العقيدة السائدة حتى الان بين طوائف واقليات الامـة السريانية وغيرها من الشعوب المسيحية.

وهكذا نرى بان الامة السريانية القدية العهد ذات الدول والممالك العديدة، والامبراطوريات العالمية الاولى كالامبراطورية البابلية الاولى والثانية والامبراطورية الاشورية الاولى والثانية التي منها وبها بزغ وامتد نور المدنية العالمية والتي كان قد مضى عَلَى نشوئها وتكوينها وتطورها الثقافي والديني والمدني زمن يزيد عَلَى السبعة الاف سنة بسبب انتهاك قواها في إدارة العالم ومدنيته كان قد زال مجدها السياسي والزمني واخذت تفقد اوصال وحدتهـا القومية والوطنية منذ سقوط مـجد اثور وبابل في قبضة الغزاة والاغراب الخوارج، مثل اهل مادي وفارس من الشرق واليونان والرومان من الغرب، وغيرهـم ممن لحقهـم. وآلت تلك العظمة نحو الضعف بانقسامها عن يد الغير الى دويلات ارامية عديدة ومن ثـم الى طوائف واقليات وملل دينية بعد ان اندمج الكثير منها في امم وشعوب غير سريانية. واصبحت اوطانها كبوتقة فيها تسيح وتنصهر العناصر الاممية مع العناصر السريانية لاجل توحيد البشرية كعائلـة واحـدة كبيرة، باسباب واوصال المحبة والالفة العالمية، بدلا من الحروب والفتوحات الهدامة.

ومن تلك التطورات الدينية والمدنية اوجدت الامـة السريانية نظريات روحية مسالمة ظهرت للعالم القديم في اطوار متعددة بشكل ديانة سريانية عامة تولدت منها النصرانية وقامت عَلَى مبادىء الثقافة السريانية وتقاليدها الموروثة، وبقوتها تندفع نحو التقدم المنشود.

وفي الخمسة قرون الاولى للنصرانية او بعد سقوط دولتي اثور وبابل بنحو الف سنة كانت قد عمت النصرانية المتولدة من الثقافة السريانية معظم اقطار امبراطوريتي الفرس والرومان وفي تلك الاثناء دُعيت السوريوتا Suroyutho باسم النصرانية او المسيحية لانتشارها بواسطة يسوع الناصري او يسوع المسيح وتلاميـذه الجليليين بين الاقـوام اليهودية، نقـلاً عن السريان الى ان هكذا في العصور الاولى للنصرانية دُعي اتبـاع يسوع المسيح باسم المسيحيين، اولا في انطاكية عاصمة سوريا السياسية، ومن ثم في باقي اقطار العالم؛ وحل جزئيا هذا الاسم المسيحي محل اسّوريوتـا او سوريا الـذي دام الى الان بين ناطقي اللغة السريـانية والذين الان رغم كونهم مسيحيين فانهـم يشهرون فيما بينهـم التسمية القديمة، وهي اسوريا او سوريا المنحرفة اصلاً من اسم اشور او اسور وهو الاسم المطبق عَلَى بلاد سوريا الحديثة ايضا حتى الان رغم تعرب معظم سكانها الحاليين. ولاجل التمييز الديني والقومي او العنصري بين ناطقي اللغة السريانية فانهـم يـدعون احيانا سوريا بالمعنى الـديني المسيحي وسوريا بمعنى العنصريـة او القومية السريـانية، وذلك باضافة يـاء النسبة لاخر الاسم كقولك من ازلي ازليّ الخ او كما تبين في الصفحات السابقة.

وقد أُلحق بمثل ذلك التطور اللفظي والتسميوي من حيث المعنى والتركيب اسم «اسرائيل» ايضا المركب من اسم الاله اسور وصار اسرائيل

اسماً ثانياً ليعقوب بن اسحق لدى خروجه من عند خاله لابان السرياني في فدان ارام بمعنى اول اله للصراع والحرب، كما وطبق عَلَى اولاده الاسباط الاسرائيلية لدى خروجها من مصر. وفي تعليل الفاظ هذا الاسم واعادته الى لفظه الاصلي في السريانية وتحليله من التركيب المعقد نجد ان هذه التسمية انحرفت ايضا من اسم الاله اسور الذي كان اله الحرب والانتصارات وبقوة ذراعه أعتق الاسرائيليين من عبودية فرعون، وصار إلاها لهولئك العبرانيين الذين هم ايضا صاروا له اتباع وشعبه الخاص وصار اسم اسرائيل بمعانيه قوميا ودينيا لاهل العقيدة اليهودية. ولذلك ايضا يدّعي الناطقون باللغة السريانية بان اليهودية والنصرانية هما ديانتان متفرعتان خرجتا من بوتقة الثقافة السريانية. وهذا ايضا صحيح كما ثبت من التطورات الدينية المشار اليها في الصفحات السابقة.

وكما ان النصرانية تشير الى الايمان والاعتقاد بنيل الخلاص من الشر والسوء بالله الاب الذي ارسل ابنه الوحيد يسوع المسيح او كلمته، وهو اقصى ما يمكن من البراهين عن محبة الله الخالق للبشرية، هكذا ايضا، فان السريان في اثور وبابل وارام وكنعان كانوا من قبل بزوغ فجر النصرانية بالاف السنين يعتقدون ويؤمنون بنيل الخلاص المرتقب من لدن إله الحياة «اهيه» EA بواسطة ابنه مردوخ كما عُرف في بابل والذي كان يُعبد في اثور باسم اشور او اسور وهدد اورعمون في ارام او سوريا وملخ في فينيقيا او لبنان ومع كثرة تعدد معاني واسماء هذا الاقنوم الالهي الثاني لتشخيص قواته الالهية المخلّصة، فان الغاية منها كانت واحدة وهي الايمان بالخلاص الالهي للبشرية، والذي عليه ترتكز جميع اهداف الاديان الالهية. وتلك الغاية كوّنت الايمان بتوحيد

مفعول وعمل جميع الاقانيم الالهية وتشخيصها في إله واحد هو الله تعالى جل جلاله· ويظهر ان الايمان بالتوحيد الالهي كان قد ظهر قبل ايام نوح او حوالي الالف الخامس (ق‌م) بشخص اله الحياة المشار اليه في سفر الخروج ٣ ـ باسم «اهيه اشر هيه» ومن مباديء ذلك الايمان بالتوحيد الالهي نشأت وتفرعت الاديان الالهية كاليهودية والنصرانية والاسلامية، في اطوار وازمنة واماكن متعددة ومتنوعة· وفي عرف السريان واعتقادهم بخلاص الانسان من الشر والسوء وافتدائه من الهلاك بالقوة الالهية لحفظ وتقوية البشرية جمعاء ودوام سيرها في سبل الحياة الفضلى، فقد كانت تُرسل قوات الهية من لدن اله الحياة بشتى الطرق والوسائل التي كانت معروفة منذ القدم باسم ابناء الالهة او ابناء الله (تلك ٦:١ـ)· وهذه القوات الالهية المتنوعة والموجودة ازليا وسرمديا، كانت احيانا تتولد من اتحاد اللاهوت بالناسوت حسب عرف اهل الاديان ولذلك كانت تعرف ايضا باسم الالهة المتأنسة الذين منهم ظهر «في اخر الازمان» يسوع المسيح المتجسد من روح الله ومن مريم العذراء، والمظنون ان مثله كان كلكمش وسركون الاكادي وملكي صادق·

وبما ان يسوع المسيح ايضا كان الاله المتأنس وكانت قد ثبتت فيه عقيدة السريان بالخلاص الالهي· فقد اصبح يسوع للسريان النموذج والمثال الكامل للشخص الالهي من حيث التضحية وافتداء البشرية، وبالاخص لنشوء ونمو يسوع الانسان ضمن محيط الثقافة الدينية السريانية في الجليل كما في الاوطان السريانية الاخرى حيث تربّى يسوع تربيته البشرية وقضى معظم حياته الانسانية، وليس في اورشليم قلب الديانة اليهودية· واكبر دليل عَلَى ذلك ان يسوع الناصري كان يتكلم ويبشّر

بملكوت الله ويعظ الجماهير الكبيرة من اتباعه باللغة السريانية الارامية لغة الجليل، وليس باللغة العبرية اليهودية. ولذلك كان ينعته اخصامه تهكما «بالجليلي» وتلاميذه «بالجليليين». وفي مدة الخمسمئة سنة السابقة لفجر النصرانية كانت قد اشتدت حاجة العناصر السريانية او بقايا الشعوب السريانية ودويلاتها للخلاص الالهي بسبب تألمهم بثقل نير حكم الخوارج وكثرة حروبهم الهدامة في الاوطان السريانية التي وقعت غنيمة لاهل مادي وفارس واليونان والرومان وغيرهم ممن جرّدوا السريان من كل وسائل المقاومة والدفاع. وبسبب تلك الاوضاع السياسية السيئة بالطبع فقد تحولت عقولهم واتجهت ابصارهم نحو الخلاص من لدن الله، كما كان عهد السريان بالقوات الالهية المخلّصة في الازمنة السابقة للنصرانية اذ كان يُرسل اهيه EA لدى الحاجة ابنه مردوخ (في بابل) او اشور (في اثور) لاجل خلاص الشعب وانقاذه من الهلاك والابادة ودفعه الى الانتصار عَلَى اعدائه وهدايته الى سبل الحياة القيّمة.

وفي تلك الاثناء وايضا لدى الحاجة او لما تجددت عندهم فكرة الامل والرجاء بالله الاب إله الحياة، لارسال الخلاص، ظهر ذلك الخلاص المنتظر والمرتقب في منطقة الجليل بشخص يسوع المسيح الذي يعني اسمه بالسريانية «المخلص المعيَّن» من قِبَل الله. فخلَّص بحبه ليس السريان وحدهم فقط بل وكل العالم بالفداء الروحي او بدمه الالهي، حسب عقيدة السريان القديمة التي كانت تفرض ان يكون فداء الانسانية او البشرية بدم إلهي لان الانسان الاول جُبل بدم الاله «كين كان». وفور اعلان ظهور الخلاص بيسوع المسيح اقبل السريان عَلَى الايمان به بشوق عظيم وايمان كبير كما يمكننا ان نتأكد ذلك من رسالة

ابجر المؤمن ملك الرها ليسوع المسيح يدعوه فيها الى ترك اليهودية والذهاب الى الرها للاشتراك معه في ملك دولته الارامية السريانية التي كانت احدى الدويلات الارامية الاخيرة٠ ورغم مقاومة اليهود ليسوع في اورشليم اليهودية، فان السريان اعتنقوا الايمان به افواجا وجماعات واصبحوا في مقدمة الذين جاهدوا وحملوا بشارة الخلاص الالهي لكل البشر٠ ودعوا شعوب العالم لينضموا الى دعوة المحبة الالهية المقترنة بالمحبة البشرية لتوطيد الالفة والسلام، في كل اقطار العالم وتسيير المحبة بين الغالب والمغلوب، متخذين من اللغة السريانية وثقافتها وسيلة او اداة لحمل بشارة الفداء الالهي بيسوع المسيح لتوحيد كل امم الارض وشعوبها في نظام العائلة البشرية الكبرى التي يجب ان تعود الى الله الاب المحيي الكل٠

وهكذا يبدو لنا ان الخلاص الالهي بيسوع المسيح لكل البشر كان مطابقاً لايمان السريان بالقوات الالهية الفادية ومطابقاً لعوائدهم وتقاليدهم الدينية وتوجيهات ثقافتهم الموروثة منذ الاف السنين، قبل مولد المسيح بالجسد٠

ومن مراجعة الكتب الدينية المقدسة والتواريخ القديمة نجد ان السريان منذ القدم كانوا يؤمنون بالالهة المتأنسة او بابناء الالهة المتأنسة (تكوين ٦:١ـ٤) الذين يغلب الظن بان منهم كان كلكمش وسركون الاكادي الذي بنى بابل العظيمة وملكي صادق ويسوع الناصري وغيرهم ممن كانوا يُرسلون لهداية البشر او لخلاصهم من شر التهلكة باتخاذهم جسدا بشريا من العذارى٠ كما اشار الى ذلك اشعيا النبي في سفره ومن بعده هيرودتس في ذكر رحلته المشهورة الى بابل في القرن الخامس (قم)

حيث شاهد بأم عينه في علّية برج بابل، عـذراء راكعة الى جانب سرير ذهبي تصلي بانتظار حلول روح الله في احشائها ليولد منها اله متأنس يخلص العالم بموجب رجاء وعقيدة السريان البابليين او الكلدانيين، و بمثل ذلك الوضع وُجدت ايضا العذراء مريم في ناصرة الجليل عندما بشّرها الملاك جبرائيل بالحبل بيسوع المسيح من روح الله العلي المرسل لاجل خلاص كل العالم، وليس لاجل خلاص قبيلة واحدة فقط.

ومنذ القدم اعتقد السريان بان اله الحياة او الذات الالهية المبدعة موجودة ازلياً ومن ثم وُجدت من بعدها المادة التي منها صيغت الأكوان وان الانسان قد صُنع من تلك المادة ومن الذات الالهية التي تعتبر الطاقة الغير المنظورة. فاصبح الانسان مزيجا من مادة التراب ومن نسمة الحياة المستمدة من «اله الحياة» اهيه كما سبق و بيَّن لنا كلكمش السرياني الأكادي في ملحمته عن الخليقة قائلاً : بان حدابا (الانسـان الاول) جُبل من تراب طياميت (او الارض) ومن دم الاله «كن كاي» إله الحق الجليل والسني ومن مثل هذا الرأي وُجدت منذ البدء عقيدة السريان وايمانهم بضرورة خلاص الانسان من شر الهلاك وافتدائـه ايضا بالـدم الالهي او الذات الالهية عند الضرورة وهي العقيدة الموروثة عن السريان والسائدة حتى الان في مذاهب اهل النصرانية، وذلك لتكوين الانسان عَلَى شكل ومثال الله خالقه ووجود الاصل الالهي السّني في الذات البشرية كما دلّ كلكمش عَلَى ذلك منذ اكثر من خمسة الاف سنة.

وكذلك من مثل هذه الاراء والعقائد السريانية يمكن ان ترى قيمة او اهمية الصلات والعلاقات التي بين اللاهوت والناسوت، ووجوب تقديرها واحترامها ولذا كان السريان منذ القدم يعلّمون في ثقافتهم الدينية بان

الانسان متفوق بذكائه وعقله عَلَى جميع المخلوقات الحية الاخرى، ذلك لان ذكاءه وعقلـه مستمدان من القوة الالهيـة الفائقة الادراك والنسـمة الالهية الحية. فلهذا توصَّل الى الايمان والاعتقاد بوجود الله الخالق ومبدع الأكوان وخالق الانسان ومخلصه.

وللبلوغ الى معرفة بعض الشيء عن الكنه الالهـي او عظمة السر الالهي، فان السريان قد اضطروا الى تشبيه وتبيان بعض مزايا الله الخالق او اله الحياة وقواته بشكل شخصيات او اقانيم مدركة تماثل بعضها وتشبه الانسان وبعضهـا يتصف بصفات وميّزات خـاصة أخرى لتبيان مراكزها الالهية واعمالهـا العجيبة في تسيير الكون طبقاً ووفقـا للعقل والادراك البشري وخياله. ولذلك فان علمـاء وكتَّاب السريان القدماء اعطوا لكل من تلك الشخصيات او الصفات او الاقانيم الالهية المبهمة اسماء واصطلاحات لغوية، واشكالا واشباها تماثل في حفظها شكل الانسان لاجل الادراك والبلـوغ الى معرفة بعض الحقائـق عن الذات الالهيـة واثبات الايمان بوجود القوة الالهية المبهمة والغير المنظورة في مخيلة الانسان العادي فيتخذها لـه هداية صالحة تدو الله في جميع اعمالـه وتصرفاته المثمرة وملجـأ خلاص من خطر الهلاك وهكـذا يُصلح طريق حياتـه ويؤمنها.

ونظرا لاعتقاد السريان بان الله تعالى هو العامل الاعظم ومصدر قوة حيَّة عاملة فانهم تشبَّهوا به من حيث الحركة والعمل والجهاد. ونشأوا عَلَى القيـام بالاعمال المدنية العظيمة لاجـل الوصول والبلوغ الى افضل انواع الحياة الصالحة ولاسعاد الانسان بالتعاون مع القوة الالهية العجيبة. وبموجب تطورهم الديني عَلَى مدى العصور والاجيال فقد اوجدوا عدة اسماء

لعدة اقانيم وشخصيات إلهية عاملـة كانت عـادة تجتمع في ثلاثة اقانيـم رئيسية المعروفة بالثالوث. فالثالوث الاول مثلاً كان مكوّناً من اهيه اله الحياة ومن ابشو وممو الهي اليابسة واليم. وتكون الثالوث الثاني من اهيه ومردوخ واشور، كما سبق وتبين. واخيرا ظهر الثالوث الثالث وامتدت عبادتـه حتى الان وهو الاب والابن والروح. والغاية من كثرة الاقانيم وتطورها كانت لاظهار الوجود الالهي بشتى الوسائل القريبة لادراك عقل الانسان وايمانه بوجود الله تعالى، ولتسيير امور حياته الدنيوية والبشرية وفقا للرغائب الالهية او طوعـا للاوامر الالهيـة وطبقا للزمان والمكان والوفق والنجاح في حياته الارضية.

وبموجب تطورهـم المدني والاجتماعي فقد اعتقد السريان ايضا بوجود خدام وحاشيات روحية اسمى من البشر لخدمة الاقانيم الالهية، مثل الملائكة والساروفيـم والكاروبيـم وغيرهـا من الاشباه الروحية الغير المنتظرة. وتوصلوا الى الاعتقاد بامكان اختلاط اللاهوت بالناسوت وتكوين الانسان الالهي، او الالـه المتجسد والمتأنس، كيسوع الناصري مثلا. وقد عُرفوا عبر التاريخ كمخلّصين وهـداة للبشر دون معرفـة انسابهم البشرية بالتمام لتحوّلهم الى الهة بشرية او الهة متأنسة.

واما كلمة «الانسـان» او ابن الانسان المتطورة لفظيا من كلمتي عين نا، فانها الفاظ لاسماء مركبة، اصلها من اللهجة السريانية السومرية وتعني «الانس» او عين الانس او ذات الانس او مصدر الذكاء كما وان كلمة ابناء البشر ايضا سريانية الاصل وتعني ابناء اللحـم Encarnal ومن كلمة «إله برناس» تأتي معنى الاله المتأنس الذي منه كان يسوع المسيح او يسـوع الناصري، اخر مخلّص للعالـم في عرف السريان.

ويظهر ان تموز الذي معناه الحبيب والمقرب للارادة الالهيــة بموجب اللهجات السريانية القديمة كان رسولا الهيا من ذوي الدرجة اللاهوتية الثانية وكانت مهمته الاعتناء بالنشــوء وبالنمو الحسن للنبات والحيوان والانســان، بحسب الارادة الالهية السنية. ولــذا ايضا كان تموز الــه الجمال ويدعى «تموز الشاب». وكان يظهر بانه حبيب اشتار الهة الحب. ولقد ذكره كلكمش في ملحمته عن الخليقة ودل عَلَى انه هو الذي قدّم للانســان الاول في الفردوس عَلَى طبق واحــد وفي حضرة الالهين ايليل وحنو قطعتي خبز الحياة وخبز الموت لدى امتحان او تجربة مقدار قوّة معرفته وحكمته او عُرفه وتمييزه بين الصالح والطالح بل حتى لاجل معرفة مقدرة قوته الالهية ونسبتها الى مقدرة القوة الالهية العليا للاثبات بان الانسان ليس إلها بل هو مخلوق محــدود القدرة ولا خوف منه عَلَى الالهة او القوة الالهية العظمى والغير المدركة، وان يكن صنيعة يدي الاله «اهيه اشر هيه» او إله الحياة صنيعة تلك التجربة برغم ارشاد الاله اهيه للانسان وتحذيره اياه بألا يأكل إلا من خبز الحياة، فانــه اخطأ واكل سهوا او جهلا من خبز الموت بدلا من ان يأكل من خبز الحياة. ومنذ ذلك الحين تعرض الانســان للهلاك والموت والفنــاء واصبح باحتيــاج للخلاص الالهي من الهلاك بالفداء الالهي. ومن اين لــه ذلك ان لــم يكن من لــدن الله الاب خالقه (او اهيه الــه الحيــاة) الذي لفرط محبته للانسان ارسل له الخلاص المنتظر، وافتداه بابنه الوحيد، الذي تجسد وظهر في «اخر الازمنة» للعالم بشخص يسوع المسيح ودفعه ثمنا لخلاص كل البشرية من حكم الموت الابدي. وبهذا المعنى قال يوحنا الرسول : هكذا احب الله العالم حتى انه ارسل ابنه الوحيد ليخلّص كل من يؤمن

به وينال حياة ابدية» . واشار يسوع ايضا الى هذا الوعد وتمّمه بقوله : «انا هو خبز الحياة الذي نزل من السماء» . ورمزا لذلك اخذ يسوع الخبز والخمر وباركهما وناولهما لتلاميذه اتباعه قائلا : «خذوا كلوا واشربوا هذا هو جسدي ودمي الذي يُعطى لخلاص البشر والحياة الابدية» . واوصاهم قائلا : «اصنعوا هذا لذكرى موتي وقيامتي حتى مجيئي» . وهكذا ثبت الخلاص الروحي بالاستعانة بالمواد المحسوسة والملموسة كالخبز والخمر المشيرة الى محبة الاله المتجسد يسوع المسيح مخلص كل العالم، او كل البشرية .

ومن النظر الى معاني كلمات الديانة النصرانية، نرى ان ذكر مثل هذه التعاليم قد جاء متمما للاديان السريانية القديمة والسابقة للنصرانية او المسيحية . ولذلك يسود الاعتقاد بان الاديان الالهية العليا ليست إلا فروعا نشأت من شجرة الثقافة الدينية السريانية القديمة .

وكغيره من الالهة كان تموز ايضا يُدعى البعل بمعنى السيد، واليه كانت تعود مهمة تحسين نمو النباتات والاشجار والاثمار والبقول والخضر والازهار . وكان عادة يتوقف النمو إما عَلَى السقي بواسطة اقنية الماء او بواسطة الامطار الطبيعية وامتصاص الرطوبة من باطن الارض . وكان هذا النوع الاخير من النمو وهو الممتاز ويدعى عند السريان باسم «البعل» والاخر كان يُعرف باسم «السقي» كما هو معهود حتى الان بين الفلاحين في فلسطين وسوريا ولبنان والعراق . وكان يراد من اسم البعل بان نموه كان متوقفا عَلَى اعتناء البعل تموز والى يومنا هذا، فان الفلاحين في تلك الاوطان ينسبون حسن نمو الخضر والبقول والفاكهة الذكية والطيبة

النكهة والطعم، الى عناية البعل الخاصة وهو تموز، واما سواها من الطعم الثقيل والتافه او التفل فانه يعود للسقي بماء الاقنية.

والحادثة التي صادفت تموز تدل عَلَى عقيدة السريان في الحياة والموت والبعث وقد أُضيفت الى القصص والحكايات الدينية الادبية الواردة في الاسطر السابقة. ونذكر هنا بالايجاز حسبما جاء في الوقائع السريانية القديمة وهي ان يوما كان الاله تموز، جريا عَلَى عادته متجولا بين الغابات والادغال والحقول والمزارع معتنيا بنموها الحسن غافله الشر بشكل خنزير برّي وارداه قتيلاً بنابه مما احدث صدمة كبيرة للالهة ولكل الاحياء والمخلوقات من النبات والحيوان والانسان. وللحال توقفت عن سير نموها وانتاجها وتكاثرها لفقد او موت البعل تموز المعتني بها. ومن جراء ذلك الحادث كان قد تفوق الشر عَلَى الخير موقتا واستولى الحزن والكآبة عَلَى المخلوقات والرعب والحيرة عَلَى صفوف الالهة لاجل جميع الاحياء او المخلوقات الحية وخافت عليها من الابادة والموت والزوال. واهتم الالهة للامر وكانت النتيجة ان اشتار أُم الحب والحياة تطوعت لخلاص تموز وبعد جهد اعادته الى الحياة بصب ماء الحياة في فمه فهب للحال وقام وانبعث من سبات الموت وعاد الى مهمته قبل ان يعتوره الفساد كما وعادت الى سيرها العادي كل المخلوقات نحو النمو والتكاثر. وكانت الشعوب السريانية انئذ وفي كل سنة تحتفل بذكرى موت تموز في الشهر الاول من الصيف سموه «حزيران» بمعنى الخنزين. وتحتفل ايضا او بالاحرى تعيّد ذكرى قيامة وبعث تموز من الموت في الشهر الثاني من الصيف الذي سموه باسمه تموز وذلك تيمنا به. وكان يدعى هذا العيد بمعنى تمجيد او تعظيم «قرن البعل» ومنه كلمة Carnaval في اللغات

الافرنجية والى الان لم تزل تحتفل بعيد الكرنفال هذا معظم شعوب الارض اخذاً عن السريان بمهرجانات شعبية· كما وان النصارى ايضا في كل العالم قد اخذوا وتوارثوا هذه العادة عن السريان وهم يحتفون حزنا لالام يسوع المسيح لمدة اسبوع واحد في نهاية الصوم الكبير او الصوم الاربعيني، ويسمونه اسبوع الالام، ومن ثم يلحقونه بعيد الفصح الذي يعني عيد الفرح والمسرة لذكرى قيامة يسوع المسيح من بين الاموات تماما، كما كان يحتفل قدماء السريان بذكرى موت البعل تموز وقيامته من بين الاموات، وبقيامته تم الخلاص لكل البرايا·

وامتدت عبادة الاله تموز مع غيرها من العبادات السريانية الاخرى الى جميع الشعوب القريبة والبعيدة كالفرس واليونان والمصريين والرومان ومعهم حتى الشعب اليهودي كما يُبيّن ذلك حزقيال النبي في الاصحاح الثامن (عدد ١٤ و ١٦) حيث قال : «فجاء بي الرب الى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال واذا هناك نسوة جالسات تبكين عَلَى تموز· وكان تموز يُعبد في لبنان وفي قيليقيا باسم ادونس، وعَلَى اسمه هذا تُدعى حتى الان مدينة ادنا في قيليقيا لانها كانت مدينة فينيقية الاصل·

والجدير بالذكر ان لدى الطوائف السريانية الحالية توجد عوائد وتقاليد دينية وراثية بهذه الغايات والمعاني نفسها وتعود في اصلها الى عقائد ازمنة اجدادهم الشعوب السريانية القديمة كالبابليين والاشوريين والاراميين والكنعانيين والفينيقيين· وهي ان يحتذروا ويمتنعوا من القيام باعمال هامة في شهر حزيران، ذلك لانهم يتشاءمون شرا في هذا الشهر ويفضلون بل ويسعون لكي يرجأوها الى شهر تموز لتفائلهم خيراً ونجاحاً

في هذا الشهر وفيه يأملون الحصول عَلَى نتائج جيدة وصالحة لرغائبهم، خلاف شهر حزيران المشئوم.

فتاة سريانية آشورية (القرن الثامن ق‌م)

المقالة الثانية

معجزات الامة السريانية الثلاث

الثقافة ـ الدين ـ المدنية

القسم الثالث

من هنا يمكننا ان ندرك ونرى بان العوائد والتقاليد والعلوم والثقافات الدينية والمدنية المتداولة حتى الان بين معظم الشعوب والامم المتمدنة في كل انحاء العالم قد جاءت نقلاً عن الشعوب السريانية القديمة اثناء سير ومرور الاجيال والعصور. وذلك بالطبع بعد تعرضها للتطورات المحلية الكثيرة والتطورات الزمنية الطويلة ومؤثرات السياسة العالمية وتقلباتها وانظمة الحياة الاجتماعية طبقا لحياة الشعوب والامم المختلفة التي تناقلتها تدريجيا مع بعض التغييرات الزمنية والملائمة للبيئة المحلية. وبامكان القاريء ان يدرك ويتأكد تأثير فعل الثقافات السريانية في الامم والشعوب بتحليله معاني اسماء واصطلاحات العوائد والتقاليد الدينية والمدنية الموروثة والمتداولة حتى الان بين الامم، وخاصة بين اهل الاديان السماوية العليا. وسيظل تأثير الثقافة السريانية الدينية والمدنية ابد الدهر بين الملايين من هذه الاقوام، ما دامت مستمرة وقائمة في التداول الاديان السماوية العليا وتقاليدها وعوائدها ومؤثراتها في المدنية العالمية، وما دامت المدنية العالمية مرتكزة على اسس المدنية السريانية

وكما ان معظم النظريات الدينية والميزات المختصة باشخاص او اقانيم الالهة المعبودة من قِبَل الشعوب السريانية في اثور وبابل وارام، تحولت تدريجيا وتطورت اثناء سير وتطور الثقافة السريانية الدينية والمدنية ومنها ادرك المؤمنون كنه اقانيم وشخصيات الالهة المعبودة في الاديان القديمة او الاديان العالمية الكبرى. هكذا ايضا كانت قد تحولت في عرفهم بعض المزايا والصفات المختصة في اقانيم اهيه ومردوخ واشور التي اجتمعت واتحدت ثم منها نتجت العقائد والايمان بالله الاب لكل البشر العائدة سابقا الى الايمان باهيه وبابنه يسوع المسيح، والممثل سابقا بمردوخ وبروحه القدوس الممثل سابقا في اثور الذي كان يُعد بمثابة روح الاله اهيه. ومن هذه التقاليد الموروثة تكوّن وصار الثالوث الاقدس المعروف لنا وهو الاب والابن والروح القدس الذي هو ايضا الاله الواحد الاحد او الله تعالى المكوّن من عدة شخصيات واقانيم بموجب عرف اهل الاديان النيرة. والسبب في طول بقاء هذه المعتقدات الدينية السريانية في المواريث الدينية العالمية هو طول مدة حياة الثقافة السريانية السابقة لكل الثقافات العالميـة الاخر ومفعول نضوجها لعـدة الوف من السنين في تطور الانظمة المدنية العالمية.

وفي معظم تلك الادبيات الدينية التي ذكرناها موجزاً كان مراد قدماء السريان ان يثبتوا عقيدتهم وايمانهم بوجوب وحدة العائلة البشرية وبالخلاص والفرقان الالهي للبشرية عامة كما علمنا من حكايـة مردوخ والخليقة وحكاية تموز وإشتار وحكاية اهيه والطوفان واخيرا حكايـة يسوع المسيح الذي اعلن ايضا بانه أُرسل من قِبَل الله الاب لاجل خلاص البشرية وافتدائها بذاته او بدمه، كما كان يرسل مردوخ لخلاص الخلائق

وكل ذلك بموجب العقائد الدينية المتوارثة عن السريان القدامى التي كانت بموجبها يُستدل بانه طالما قد جُبل الانسان الاول حدآ با بدم الاله كين كاي، فقد فرضت العدالة الالهية دفع ثمن افتدائه وخلاصه من السوء والشر مع جميع ذريته ايضا بدم الـه او ابن الـه الذي مُثّل فيما بعد بشخص يسوع المسيح الذي يعود الى النسب الالهي لاعتباره ابن الله الحي او ابن اله الحياة الذي به وبأبيه وُجد الانسان، وذلك طبقا لما جاء في حكاية الخليقة التي دوّنها كلكمش الـدالة عَلَى ان بمردوخ وابيه اهيه وُجد الانسان الاول او كما يعتقد المسيحيون عامة بانه بالله الاب وبابنه يسوع المسيح قد صار كل شيء.

وبموجب العقائد السريانية ايضا كان مثل هـذا الخلاص الالهي يُعطى ويُمنح من القوة الالهية الحية حسب الحاجة واللزوم لكل البشر دون تمييز بين جنس وعنصر، لاعتقادهم بان البشرية ليست إلا كتلة واحدة يجب ضمان توحيدها الدائم بواسطة المحبة الالهية للبشرية وبواسطة حسن العلاقات بين البشر لانقاذهـم من شر المهالك والابـادة كما في حالـة الطوفان او في «اخر الازمنة» عندما ساءت حالة العالم القديم، فجاء يسوع المسيح مُرسلاً من الله الاب فافتدى البشرية بدمه الالهي واعاد الى العالم نظام المحبة والالفة والسلام الذين فُقدوا بعد سقوط دولتي اشور وبابل، او عندما اختل توازن العالم السياسي بسبب انحلال قوة السريـان الزمنية وبسبب كثـرة الحروب بين الشرق والغرب او بين الفرس واليونـان والرومـان لاجل الحصول عَلَى السيادة العالمية التي حتى تلك الازمنة الاخيرة، كانت لشعوب الامة السريانية كالاشوريين والبابليين.

امـا في نهايـة تلك الفترة المعروفة عـادة عند السريان «بآخر

الازمنة»، كانت بالفعل قد ساءت جدا احول الحياة الاجتماعية في الاوطان السريانية كما في معظم اقطار العالم القديم، وخاصة حيث كانت سائدة عقيدة الايمان بالخلاص الالهي. عندئذ تحولت انظار المواطنين الى إله الحياة والى الخلاص الالهي المُرتجى الذي كان عادة يُمنح للعالم وفي هذه المرة مُنح للمرة الاخيرة بشخص يسوع المسيح المرسل من قِبَل الله الاب. كما كان يُرسل مردوخ من قِبَل اله الحياة ولما جاء يسوع في اخر الازمنة مخلّصا للعالم بشكل اله متأنس حسب المعتقدات السريانية القديمة، كان يسير عَلَى الارض كحبر وكملك مثل ملكي صادق السرياني الكنعاني ملك شاليم؛ يدعو العالم الى المسالمة ويرشد الناس للايمان بالله، والتسلح بالمحبة نحو القريب والغريب لحلول السلام عَلَى الارض بمقابلة الشر بالخير، ليستتب الحكم لملكوت الله. ولكي يقضي عَلَى كل اسباب الشر والنزاع او الخصام والحروب كان يطلب يسوع من سامعيه بل ويوعز الى اتباعه ان يحبوا حتى اعداءهم بقوله: «أحبو مبغضيكم وباركوا لاعنيكم» ولقد اثبت ذلك القول عمليا وهو عَلَى الصليب طالباً الغفران والعفو لصالبيه لانهم لم يعلموا ماذا كانوا يفعلون.

ان معظم المخلّصين السابقين ليسوع الناصري كالانبياء والمرسلين او المرشدين او حتى بعض الالهة المتأنسة قد استعملوا القوة والبطش او الفتك بالخصوم والاضداد في سبيل خلاص وانقاذ اتباعهم لدى فرض عقائدهم الدينية عليهم. واما يسوع المسيح طبقا لنتائج نضوج الثقافة السريانية الدينية التي كانت سائدة انئذ في الاوطان السريانية بما فيها الجليل او «جليل الامم» الارامية حيث نشأ وتربى تربيته البشرية في محيط او نطاق الثقافة السريانية كان يرشد الناس الى التسلح بالفضائل

الحسنة وبالتسامح والمحبة للقريب والغريب وحتى للخصم والعدو. وبالفعل فقد كانت نتيجة تلك الارشادات ان قلّت الحروب نسبيا بين الشرق والغرب وعم السلام كل الانحاء لبعض الاجيال منذ فجر النصرانية وخاصة عندما اعتنق اهل السلطات الزمنية المباديء النصرانية مثل قسطنطين الملك وغيره من اباطرة الرومان.

ومن المعروف بانه عن السريان وثقافتهم الدينية اخذ العبرانيون الاسرائيليون معظم النواميس الموسوية حسب تطور احوالهم الاجتماعية، في المحيط السرياني العام وكثرة تنقلهم في الاوطان السريانية حتى بعد انفصالهم عن الامة السريانية الارامية، قبل هجرتهم الى مصر، وبعد خروجهم من ارض مصر واستيطانهم ارض كنعان التي ايضا كانت قسما من الاوطان السريانية الاولين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب واولاده الاراميين الاصل ومن اخوانهم المديانيين الذين كانوا ايضا مثلهم اراميين عبرانيين امتدّت بعض العوائد والتقاليد والمعتقدات الدينية والادبية السريانية الاصل الى موسى النبي الذي بدوره وضعها ودونها في قالب قومي خاص اثّر تطبيقه عَلَى حياة قومه واتباعه اليهود الاسرائيليين عندما كانوا يمارسون حياة البداوة والتي كانت من نوع المدنية المتنقلة والغير مستقرة. وبعده حاول اليهود ان يتمسكوا بتلك النواميس المقتبسة بواسطة موسى النبي بقدر الامكان وتطبيق انظمتها ونواميسها عَلَى حياتهم في كل حين، او اثناء دخولهم في انظمة المدنية الثابتة لدى احتلالهم ارض كنعان ومدنها. ولكنهم اخفقوا في كثير من الاحيان، وذلك لعدم امكانهم تطبيق نظام حياة البداوة وتقاليدها الدينية عَلَى انظمة حياة المدنية الثابتة. كما وان يسوع ايضا حاول في دعوته إصلاح تلك النواميس الموسوية وتطبيق

مقاصدها الاصلية والدالة عَلَى محبة الله ومحبة القريب دون تمييز او استثناء بين عنصر او جنس او لون او عقيدة؛ وعَلَى الارشاد الى الايمان بالخلاص الالهي العام دون تمييز بين اليهودي والوثني وبين سيد وعبد، او حتى بين حاكم ومحكوم لجعل البشريـة وحدة غير متجزأة تتمتع بالعدالة والمساواة والامن والسلام، تحت امرة اله واحد هو الله الاب اله الحياة. ولكن رُفض لاسباب قومية وكان احدها خوفهم من فناء عنصرهم وكيانهم اليهودي اذا اندمجوا دينيا مع غيرهم من الناس. الا انه برغم مقاومتهم فقد نشأت وازدهرت بين السريان تعاليم يسوع الناصري او يسوع المسيح وانتظمت قائمة عَلَى مباديء الثقافة السريانية ومصادرها الدينية السابقة في قدميتها من حيث العوائد والتقاليد والمعتقدات للديانة اليهودية؛ كما هو ثابت بالبينات المشار اليها في الاسطر السابقة. وبحكم تأثير المحيط او المنشأ والبيئة السريانية الارامية في حياة يسوع الناسوتية وتصرفاته، فان السريان اجمالا والناطقي باللغة السريانية خاصة للاسباب التطورية السابقة يدعون ديانة يسوع الناصري باسم الديانة السريانية او سوريوثا لكونها انسلخت واقتُبست من خلاصة الاديان السريانية ويدعون اتباعها ايضا باسم سورَيَا بمعنى النصارى وذلك كما كان يدعى اباؤهم واجدادهم في الازمنة السابقة لفجر النصرنية بعدة اجيال.

وهكذا ايضا فان الديانة الاسلامية التي تدعو الى الاستسلام للايمان بالله الواحد الاحد. تولدت اولا او ظهرت بين العرب بواسطة ابراهيم الخليـل المنفصل او المتحـدر اصلاً من السريـان الاراميين فـي أُور الكلدانيين وفدان ارام. وتوارثتها القبائل العربية عن ابنه اسماعيل من زوجته هاجر المصرية وابنه مديان من قنطورا في سناء الى ان نمت ونشأت

تدريجيا في تطوراتها الزمنية متأثرة بنصرانية السريان، ومن ثم انفجرت في عهد زعامة النبي محمد رسول الاسلام والذي بفضل جهده ومساعيه انتشرت اولا بين القبائل العربية باسم الشريعة او الديانة الاسلامية. ومثلما فُرضت اليهودية عَلَى القبائل الاسرائيلية بواسطة النبي موسى هكذا ايضا فُرض الاسلام عَلَى القبائل العربية بواسطة النبي محمد. وكلا الديانتان او الشريعتان توصلتا للاسرائيليين والعرب او لليهود والاسلام بواسطة ابراهيم الخليل الذي كان ينتمي اصلاً الى عنصر وثقافة السريان الاراميين كما تدل الكتب الدينية.

وبينما ظلت الديانة اليهودية محصورة في العناصر اليهودية فقط، فان الديانة الاسلامية كالديانة النصرانية ولكونها ديانة رسولية امتدت الى غير العرب ايضا كشعوب الدويلات الارامية السريانية اولا وثم الفرس والروم والمصريين وغيرهم من شعوب وامم الارض. وساعد عَلَى انتشارها السريع عدة اسباب اهمها الفتوحات العربية وانتصاراتها، كما وانها رسخت بسرعة فائقة في الاوطان السريانية اولا لكونها مشبعة بالثقافة السريانية التي كان الاسلام فرعاً منها وفي البلاد المجاورة لها حيث نمت وازدهرت ايضا بتأثير الثقافة السريانية. وعَلَى قاعدة النتائج الحاصلة قامت فيما بعد الثقافة العربية ومدنيتها المعروفة حاليا باسم المدنية الاسلامية.

واذا قلّبنا صفحات التاريخ القديم في مدة الستمئة سنة السابقة لفجر النصرانية وبحثنا عن معرفة الاحوال الاجتماعية في تلك الازمنة امكننا ان نرى بان الشعوب السريانية عامة بجميع اوطانها الممتدة من عيلام وفارس الى شواطيء البحر الابيض المتوسط كانت واقعة وراسية تحت نير حكم الاغراب والخوارج مثل بني مادي وفارس واليونان والرومان، بعد ان

كان السرياناسياد العالم القديم لمدة تزيد عن السبعة الاف سنة، الممتدة منذ ختام العصور الحجرية الاخيرة الى ايام سقوط دولتي اشور وبابل.

وطوال تلك المدة كانت العناصر السريانيـة القديمة، هي السائدة والمتولية عَلَى تسيير المدنية للوصول بها الى ارفع مستوى من التقدم الديني والمدني بالنسبة الى جميع معاصريهم من العناصر البشرية او من الشعوب والامم الاخرى. وبمفعول رقيّهم الادبي ونضوجهم الثقافي فقد توصلوا الى عقيدة تطبيق السلام العالمي، وتوحيد البشرية بواسطة الايمان بالـه واحد هو الله الاب مصدر المحبة والرحمـة لكل البشر، وربط الصلات البشرية بالهداية الالهية الصالحة في سبيل مقابلـة الشر بالخير ومعاملة الناس بالتي هي احسن او افضل لنمو ورواج روح الاخوة الصالحة بين البشر ولبطلان الميول الشريرة المدمّرة او عدم معاملة الناس بالسوء.

ففي الوقت الذي كان السريان يهتمون باصلاح العالم بواسطة نشر وبث مثل تلك الاراء والمعتقدات الدينية الصالحة كانت بلادهم لجمال رقيها وتقدمها المدني وازدهارها في وسط العالم القديم قد اصبحت مجلبة لغزوات وفتوحات الشعوب الغريبة والمتخلفة مدنيا الى ان اصبحت محط انظار الغاشمين الطامعين والغزاة من كل الجهات لعدة اجيال. فتعرضت الامة السريانية واوطانها وحضاراتها للضعف والانحلال او الانقسام الى دويلات ارامية صغيرة وضعيفة، وبعدها الى طوائف دينية متعددة واقليات منفصلة بعضها عن بعض. ولم يبق للعناصر السريانية من وسيلة للخلاص من الهلاك الكلي إلا باعجوبـة الا وهي الاتكال عَلَى القوة الالهية، وعَلَى قوة فاعلية ثقافتهم الدينية لاجل خلاصهم من تلك الورطة ولاجل خلاص البشر ايضا وانقاذ المدنية العالمية. وكانوا بذلك يحولون انظار العالم

ويوجهون البشرية دينيا وثقافيا الى محبة الله ومحبة البشر بالقضاء عَلَى اسباب النزاع والحروب واستعمال الشدة والعنف او اضطهاد الناس للناس. وبموجب تلك العقائد الدينية العامة وانتظار السريان للخلاص الالهي منذ امد بعيد فقد جاء يسوع المسيح مخلصا وهاديا للعالم المتألم في ورطته اذا تمسك الناس بقوة الايمان بالله الاب الواحد الاحد، واعتنقوا مبدأ المحبة الالهية المقرونة بالمحبة البشرية في سبيل استقرار السلام والامن الدائمَين وانتشار المسرة الصالحة لكل البشر، وخلاصهم من الهلاك والدمار النهائي.

ومن الواضح ان مصالح الامة السريانية الزمنية كانت قد اصبحت ضحية لهذه المباديء الدينية لاجل الفائدة والمصلحة العالمية العامة، وبسببها مالت الى الانحدار القومي والى الضعف الزمني واندماج الكثيرين من ابنائها بالغير، الى ان وصلت الى ماهي عليه من الانقسام. الا ان بانحدارها هذا او تدهورها من انظمة العظمة الدولية والقيادة العالمية الزمنية الى انظمة الطائفية، قد افادت وساعدت عَلَى تعميم ثقافتها الدينية لكل البشرية ومدنيتها ولاسعاد امم الارض. ولقد اجمع علماء التاريخ بان انحدار الامم الكبرى عن مشارف العظمة كثيرا ما تكون اسبابه عائدة الى الشيخوخة والقدمية او الى التوسع الكبير في كل الشؤون الادارية او عندما تبلغ الامة حد النضوج الثقافي والمدني فتأمن من نفسها وتخلد الى الهناء والسعادة والبذخ، كما جرى ذلك للامة السريانية وغيرها من الامم من بعدها كالفرس واليونان والرومان اللذين لعبوا دوراً هاما عَلَى مسرح السيادة والقيادة العالمية. فان كلاً من هذه الامم ودولها بعد ان بلغت اقصى نضوجها المدني استسلمت لحياة البذخ والترف ثم آلت الى الضعف

والانحلال، وانقسمت الى شعوب صغيرة وطوائف عديدة ولهذه الاسباب وغيرها كالاتكال عَلَى الامل والرجاء الديني للخلاص من اخطار الابادة والهلاك كانت الشعوب السريانية اسبق الناس لقبول دعوة يسوع الروحية الدالة عَلَى الخلاص والتي حملوها بغيرة فائقة الى اقاصي الارض، مدفوعين بايمانهم ومعززين بقوة ثقافتهم الدينية والمدنية المتداولة والموروثة عن بائهم واجدادهم منذ الوف السنين. وبنعمة تلك الدعوة او الرسالة الخلاصية التي حملوها الى كل المعمورة، بالوسائل السليمة وليس بالوسائل الحربية تمتعت البشرية ومدنيتها في الشرق والغرب بمسرة وغبطة السلام الى مدى اجيال بعد فجر النصرانية، وما زالت النصرانية الى الان هي التي تسيّر دفة المدنية العالمية وتدفعها بنجاح وتقدم باهر، مهتدية بنور ثقافتها المقتبسة اصلاً من الثقافة السريانية الدينية السابقة للنصرانية او المسيحية.

وبالتمعّن وانعام النظر في النتائج التاريخية الحاصلة او بالعودة الى الدرس والتحقيق فيما دوّنه وتركه لنا الاقدمون بهذا الخصوص نجد ان عقيدة خلاص الانسان من السوء والشر، بالالتجاء الى القوة الالهية وعونها والتي تحققت امالها في يسوع الناصري قد جاءت اكثر مطابقة لمقاصد وغايات الاديان السريانية السابقة للنصرانية من مقاصد الدين اليهودي او الناموس الموسوي الذي كانت تنحصر غايته الخلاصية بقومهم وجنسهم فقط بدلا من تعميمه فيصلح لخلاص البشر. ولذلك رفضوا دعوة يسوع الناصري واكتفوا بنيل الخلاص لجنسهم فقط، مرة بواسطة موسى النبي وأخرى بواسطة الملك قورش الفارسي Ciros الذي اعتبروه مسيح الرب لانه حررهم من العبودية والسبي البابلي وامر بعودتهم الى

اورشليم وتجديد مدنيتهم حيث اقاموا لهم دولة يهودية ثانية بزعامة وقيادة كهنتهم تحت حكم الفرس واليونان والرومان التي دامت الى ازمنة القرن الاول للنصرانية وفي هذه الاثناء او في زمن حكم الرومان حاولوا ان يتحرروا من النير الروماني وارادوا أن يعلنوا يسوع الناصري ملكا زمنيا عليهم ولكن يسوع رفض دعوتهم معلنا بان مملكته روحية عالمية ترتكز في القلوب عَلَى محبة الله والقريب وليس عَلَى العروش المادية ولهذه الاسباب رفض اليهود ايضا دعوة يسوع الذي قيل عنه بانه «الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله» (يوحنا ١:١١) لان خلاصه كان مقرونا بالمحبة لكل العالم ولم يكن منحصرا في عنصر او جنس واحد فقط (يوحنا ١:١٢ـ١٥) وذلك لكي تكف الحروب المبيدة والمهلكة، وتخلد البشرية الى حياة السلام والعيش الصالح عَلَى وجه البسيطة، بدوام المحبة البشرية وربطها بالمحبة الالهية ليكون جميع الناس اخوة مسالمين لبعضهم بعضا وابناء الله الاب. ولكي تثبت مثل هذه المحبة كان يوعز يسوع الى اتباعه وسامعيه ليعتادوا ويجتمعوا دائما باسمه حول الموائد الالهية كذكرى محبته للبشرية ويتناولوا معا كاخوة مسالمين «الخبز والخمر» عَلَى طريقة ملكي صادق، رمزا لحبه وللخلاص الالهي وذكرى فدائه بدمه وجسده الالهي المرموز اليه بسر الخبز والخمر. وقد تحققت تلك التضحية الالهية وتمت فعلاً بسفك دم يسوع عَلَى خشبة الصليب لافتداء كل الامم، فجاءت مطابقة لعقيدة السريان القدامى اكثر مما جاءت مطابقة للعقائد اليهودية كما ثبت ذلك في حكاية الخليقة، يوم جبل اهيه إله الحياة (اهيه اشر هيه) مع ابنه مردوخ حدابا الانسان الاول (او ادم التوراة) من تراب الارض (طيا ميت) بدم الاله كين كاي. ومنه نال حدابا النسمة الالهية الحية وصار نفساً حية مما اوجب

ايضا امر خلاصه في اخر الازمنة السريانية ليس بدم الحيوانات كما اعتاد اليهود وغيرهم بموجب الشريعة الموسوية بل بدم يسوع ابن الله الحي، نظرا لسمو درجة الانسان وتفوّق ثمنه عَلَى ثمن الحيوان (يوحنا الاولى ٤:١ـ١٢)، ولوجود النسمة الالهية فيه ولانه جُبل بدم الاهي ـكين كاي٠

امــا عادة تقديم الخبز والخمر وتقديسه فقــد كانت متداولة بين السريان قبل ظهور اليهودية والنصرانية بعدة اجيال، كما هو ثابت من حكايه ملكي صادق ملك شاليم المعاصر لابراهيم الخليل الذي كان احد ملوك السريان الكنعانيين والذي اليــه يشير الكتاب المقدس قائلاً : بانه كان حبرا «يقــدم خبزا وخمرا لله العلي» وقال بولس الرسول : «بان يسوع المسيح ايضا «هو حبرٌ ابدي عَلَى رتبة ملكي صادق» وفوق هذا كله فاقد وُجدت عدة تحف اثرية سريانية تبيّن وجود عادة تقديم الخبز والخمر لله العلي ولارضاء المشيئة الالهية قبل فجر النصرانية وذلك رمزاً لخلاص الانسان بالله تعالى٠ وعن السريان سارت عــادة تقديم «الخبز والخمر» ووصلت تقليديــا ليسوع الناصري واتباعه او تــلاميذه الجيليليين الذين عندمــا حاولوا ان يبثوهــا في اورشليــم وكل اليهودية، قابلهــم الكهنة بالمقاومة حفظا عَلَى تقاليدهم الخاصة والعائدة لكيانهم اليهودي، لاعتبارهم واعتقادهم بان مثل تلك التصرفات الدينية او تقديم الذبائح الغير الدموية من الخبز والخمر، والتي كانت ممارستها مدنيا سهلة التطبيق والمتحدرةصالامن التقاليد السريانية، لم تكن مطابقة لرغائب ومراسيم او تقاليد كهنوتهــم الاهرونية التي كانت قائمة عَلَى نسق واسلوب تقاديم القرابين الحيوانية او الذبائح الدموية التي كانت فعلا قد اصبحت صعبة التطبيق حتى عند اليهود الذين كانوا قد تطوروا مدنيا وتحولوا من حياة البداوة والرعاة الى حياة

الحضارة. ولقد قال بولس الرسول بهذا الخصوص : بان المسيح كان حبراً ابديا عَلَى رتبة ملكي صادق ولم يقل عَلَى رتبة اهرون الكاهن لعلمه بان يسوع كان ملكاً وحبرا لله، كما كان ملكي صادق، ملكا وحبرا لله، يشغل رتبتي الملوكية والكهنوتية، وذلك كما كان شأن ملوك الشعوب السريانية مثل اشور بني بال ومن قبله سركون وسنحاريب وشلمن اسر ونصري بال وعمورابي ونرام سين وأور نعمه وكلكمش وكثيرين غيرهم ممن كانوا يمارسون رتبتي الملوكية والكهنوتية معا، لكونهم الصلة الظاهرة بين الله والناس. ولذا ايضا كان يدعى الملك او رئيس الكهنة حبراً بالسريانية ومعناها رفيق الله والناس واحيانا كومرّا بمعنى «الكاملين» او المتممين لارادة ومشيئة الله التي كانت تتطلب منهم توجيه الشعب وتسييره دينيا ومدنيا نحو الله. والسريان حتى الان يدعون يسوع المسيح باسم الملك المسيح الذي به التقت رتبتا الملوكية والكهنوتية لكي به وبمحبته تتوحد البشرية وتسير متجهة نحو الله الاب منذ ايام ادم الذي كان اول ملك وكاهن عَلَى الارض تولى إدارة الارض وكل ما فيها طبقا لرغائب الله.

اما اهرون الذي كان مجرداً من الملوكية لكونه كاهنا فقط فان رتبته الكهنوتية لم تكن مطابقة عَلَى المسيح الذي لم يكن لاويا ولا اهرونيا بل كان كما ايد بولس، ملكا وكاهنا عَلَى رتبة ملكي صادق ملك شاليم، ومعناها ملك مدينة السلام كما كان وما زال يدعى المسيح حتى اليوم باسم «ملك السلام» لانه لم يلوّث يديه بالدماء كما تلوثت ايدي موسى واهرون، بسفك دماء اقرانهما من مصريين واسرائيليين وغيرهم.

وباعادة النظر الى ازمنة نهاية العصور الحجرية الاخيرة، منذ نحو

عشرة الاف سنة خلت نجد ان تكوين انظمة الحياة الاجتماعية في الاوطان السريانية قد تولدت عَلَى نوعين من المدنيـة وهي:

المدنية الثابتة او الحضرية القائمة عَلَى الزراعة والفلاحة والصنائع والفنون؛ وهي المدنية العالمية الحالية.

والمدنية المتنقلة وهي القائمة عَلَى حياة البداوة والرعاة والتنقل. وذلك بسبب طبيعة اراضي الاوطان السريانية المكونة من اقاليم زراعية خصبة ومحروثة، كالهلال الخصب مثلا، واقاليم مكونة من براري وصحاري وبوادي غير صالحة للزراعة محاطة باراضي الهلال الخصب مثل بادية الشام. فعلى الاولى نشأت المدنية الثابتة وامتازت بميزاتها الزراعية والصناعية وتربية الحيوانات الداجنة والحرف والصناعة والفنون حيث ظهر ايضا، عمران البيوت والمساكن ومنها وُجدت الوف القرى ومئات المدن والحواضر. وعَلَى الثانية نشأت المدنية المتنقلة ذات الميزات البداوية وحياة سكان الخيم التي كان يضطر اهلها الى الحل والترحال، او عدم الاستقرار في مكان او اقليم او منطقة واحدة لانشاء مدنية ثابتة بل اعتادوا عَلَى التنقل مع اغنامهم ومواشيهم من مكان الى اخر في طلب العشب والماء والكلأ، يعيشون كرعاة عَلَى المنتوجات الحيوانية دون ان يتمكنوا من انشاء مدنية ثابتة وراسخة وبالمقابلة بين هاتين المدنيتين الثابتة والمتنقلة نرى ان المدنية الثابتة فاقت بتقدمها وازدهارها عَلَى المدنية المتنقلة اجتماعيا وثقافيا ودينيا ومدنيا وعَلَى قاعدتها تقوم الان المدنية العالمية الكبرى، بينما بقيت المدنية المتنقلة الى الان في حالتها البدائية المتجمدة، غير قابلة التقدم المثالي المنشود، الذي بلغته المدنية الثابتة وهي مدنية الحضر والمدن.

وكما تتولد المدنية من الديانة هكذا ايضا، فالانظمة والنواميس الدينية تتولد عادة من انواع الحياة الاجتماعية، وبواسطتها تتكون وتتقدم الحياة المدنية ولذا فان رتبة الكهنوت او حبروية ملكي صاد قالتي ايدها وطبقها يسوع المسيح ومارسها عمليا قد جاءت نتيجة تأثير المدنية الثابتة وجاءت عوائدها وتقاليدها ايضا قائمة عَلَى التقاديم الغير الدموية كالبخز والخمر الحاصل من المنتوجات الزراعية والصناعية التي هي من مزايا المدنية الثابتة، وبينما ملكي صادق ملك مدينة شاليم كان يقدّم خبزاً وخمرا لله العلي، فان ابراهيم الخليل الذي كان معاصرا لملكي صادق، والذي كان قد انتقل من حياة المدن الى حياة البداوة والرعاة عندما هاجر الى ارض كنعان كان قد ترك نظام حياة المدنية الثابتة او الحضرية وانتقل الى نظام حياة البداوة او المدنية المتنقلة فانه كان يقدّم ذبائح ومحرقات من الحيوانات كالحملان وغيرها لتحوّله الى حياة البداوة والتنقل ولاتخاذه مهنة تربية المواشي والتنقل بها من مكان الى مكان وحياة السكن في الخيام حسب حياة وانظمة المدنية المتنقلة او الغير الثابتة. وهكذا عَلَى اساس المباديء القيمة والمدنية الثابتة نشأت وتطورت المدنية السريانية وثقافتها منذ الوف السنين قبل ظهور اليهودية التي سارت عَلَى مباديء المدنية المتنقلة وفاقت المدنية المتنقلة تقدما وازدهاراً، ومنها تفرعت النصرانية لاهتمام يسوع بممارستها شخصيا، وتخليد مبادئها بين اتباعه بعد ان وضع حداً نهائيا لابطال عادة تقديم المحرقات والذبائح الدموية الصعبة التطبيق ضمن جدران البيوت والمساكن او داخل بنيان الهياكل وغيرها من الانشاءات المدنية الثابتة.

اما رتبة الكهنوت الاهرونية وتقاليدها فانها قامت عَلَى عادة تقديم

الذبائح الدموية، او محرقات اللحوم والشحوم والاغنام في النيران، لاجل مرضاة الله وخلاص الانسان من الهلاك ذلك لان اهلها كاليهود مثلاً كانوا من ذوي المدنية المتنقلة وكانوا اصلاً قبائل رُحّلاً ورعاة متنقلون يعتنون بتربية وملاحقة اغنامهم ومواشيهم. ولمئات من السنين تنقلوا بين الصحارى والبراري في سيناء واراضي كنعان، في طلب الكلأ والماء لهم ولمراعيهم، وعنها تكونت النواميس الدينية اليهودية. ولكثرة تنقلهم لم يظفروا بقسط وافر من التقدم المدني كما ظفر اهل المدنية الثابتة. ولذا لم يكن باستطاعتهم ان يحظوا عَلَىٰ تقدم مدني مثالي او مفتوق مثل السريان قابل التطبيق عَلَىٰ الشعب الاخر الغير اليهودي. وفي إطار نظام المدنية المتنقلة وجدت معظم القبائل العبرية والعربية المتحدرة من صلب ابراهيم الخليل كالاسماعيليين والمديانيين والاسرائيليين والادوميين الذين كانوا كلهم فروعا من الاراميين المتنقلين، او الرحل الذين كانوا عادة يتنقلون من المدن الى البراري بمواشيهم في طلب العيش والنجعة لهم ولرعاياهم حيث كانوا يمكثون اعواماً ومن ثم يتوغلون في الصحاري والفيافي، حيث كانوا مكرهين الى ممارسة حياة الرعاة والبداوة والتنقل من مكان الى اخر وهم ينمون ويتكاثرون. وعندماكانت تصفح بهم الصحاري والبراري كانوا يهاجمون ويحتلون المدن واراضيها الزراعية ويختلطون تدريجيا بسكان المدن ثانية ويعودون الى حياة الحضر، وهكذا دواليك، كما حدث اثناء الفتوحات الاسلامية.

فعلى اساس مباديء وتقاليد هذه المدنية المتنقلة قامت ونشأت حياة تلك القبائل الرحّل وخاصة قبائل الاسرائيليين الذين منهم كان اليهود وبهم انتظمت الشريعة اليهودية. وبموجب حاجاتها وعاداتها تم ترتيب

انظمة كهنوتها بواسطة موسى النبي، الذي اخذها نقلا عن حميه يثرون او رعوائيل كاهن المديانيين الذي اقام معه مدة اربعين عاما متأثرا بتعاليمه وحياة محيطه الى ان من بعدها قام بقيادة الاسرائيليين في البراري والصحاري لمدة اربعين سنة أخرى نظّم فيها الكهنوت اليهودي ومارسه مع اخيه اهرون عَلَى اسلوب العبرانيين المتنقلين وعادة حياة الرعاة واديانهم الفطرية كالمديانيين التي كانت تقوم عَلَى تقديم الذبائح من منتوجاتهم الحيوانية (الخروج ٢:١١ـ٢٥ و ٣:١ـ٢)٠

ولما دخل اليهود او الاسرائيليون ارض كنعان واحتلوا بعض مدنها وقراها اصطدموا بعوائد وتقاليد المدنية الثابتة فعراهم التشويش الديني ولاقوا صعوبات جمة من حيث تطبيق العوائد والتقاليد او النواميس الموسوية على حياتهم الاجتماعيه ضمن حياة المدن٠ وحفظا لكيانهم وعنصرهم الخاص لم يتمكنوا من ان يتجردوا او يتحرروا تماما من عوائد وتقاليد تقديم الذبائح الدموية او ممارسة تقديم المحرقات من لحوم وشحوم الحيوانات التي عليها قامت النواميس الموسوية والتقاليد اليهودية البدائية المكونة لحفظ كيان عنصرهم (سفر اللاويين ١٦ و ١٧) وكان من نتيجة ذلك التنقل او التردد بين اسلوبي الحياة الاجتماعية، حياة البداوه وحياة الحضارة ان ساءت حالتهم الدينية وانقسموا عَلَى ذواتهم الى قسمين او جهتين متحاربتين : اسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب وزال ملكهم رغم ارشادات بعض انبيائهم مثل ايليا واليشع وحبقوق٠ واحتاجوا الى مرشد او مخلّص إلهي، الذي جاءهم بشخص يسوع في اخر الازمنة لينقذهم من تلك الورطة ولكنهم لم يقبلوه رافضين تعاليمه٠ ولغايات في انفسهم فقد قاومه زعماء الشعب وكهنته الى ان بقي اليهود حتى يومنا هذا

خارج النواميس الموسوية وغير قادرين عَلَى تطبيق المراسيم والعوائد الدينية التي اوعز بها الناموس الموسوي والكهنوت الاهروني، وذلك بتقديم العجول والثيران المفطمة ذبائح محرقات او رش الدم والاغتسال به لاجل كفارة خطايا الشعب والكاهن، التي بالرغم من ترك استعمالها جزئيا فانهم ما زالوا لا يقبلون تطبيق عوائد تقديم القرابين الغير الدموية المكونة من الخبز والخمر، التي ما زالت قيد الممارسة بين العناصر السريانية حتى الان. ومنهم اقتبس يسوع هذه العادة الرمزية ولقّنها لاتباعه النصارى الذين يُقدر عددهم الان بما يزيد عن الالف مليون وهم يتمتعون الان بثمار اجمل المدنيات المعروفة باسم المدنية الغربية او المدنية العالمية الناجمة عن الديانة النصرانية والمتحدرة من السريان Sirianism والموروثة اصلاً من ثقافات وديانات الشعوب السريانية القديمة ومدنياتهم الثابتة.

وكما ان معظم الفنون والعلوم السريانية ومعها علوم الكتابة والقراءة وانواع الخطوط وخاصة الاحرف الابجدية وغيرها من وسائل ازدهار وتقدم الثقافة والمدنية قد امتدت من الشعوب السريانية الى امم وشعوب العالم القديم مثل الفرس والاغريق والرومان والعرب وباقي شعوب وامم اوروبا ومنهم الى غيرهم في الاجيال السابقة واللاحقة للميلاد وصارت ركنا لازدهار الثقافة العالمية ومدنيته. فهكذا ايضا نشأت النواميس والاديان العالمية الكبرى من صميم الثقافة والمدنية السريانية ومن السريان امتدت الاراء والمعتقدات والتقاليد الدينية الى معظم امم العالم المتمدن في الشرق والغرب ومنها انبثق جوهر الديانة المسيحية التي اصبحت مناراً وهداية للمدنية العالمية الحاضرة بواسطة دعوة يسوع الذي

بحبه العظيم وفدائـه الالهي امَّن القوة الجاذبـة لجماهير الشعوب عَلَى اختلاف الوانها وعناصرها للمكوث في حظيرة المدنية الثابتة وصهرها في بوتقة المدنية الفضلى بواسطة المجتمعات حول موائد المحبة البشريـة للتمتـع بسر الخبز والخمر، ورمزه الى المحبة الالهيـة التي اشرقت شمسها عَلَى جميع البشر.

ولذا عندما نرى جماهير المسيحيين مجتمعين حول تلك الموائد يمكننا ان *تخيل تجمهر ابناء الشعوب السريـانية القديمة وكهنة البعل الذين كانوا علماء مثقفين،في هياكل اثور وبابل،حول موائد الخبز والخمر المشار اليها بالتقاديم او القرابين الغير الدموية والتي وان نوّه اليهـا اليهود في اخبارهم الخاصة بشكل الافتراء والتهكم، فانها لم تكن إلا ايات المحبة البشرية والمحبة الالهية، والمحافظة عَلَى حسن العلائق والصلات بين الناسوت واللاهوت وهي نفس العادة التي مارسها ملكي صادق والتي توارثها تقليديا من خلال العصور والدهور السريانية السابقة له وايدها ومارسها من بعده يسوع المسيح ملك السلام وإله الفداء والمحبة والذي اوصى اتباعـه ايضا بان يمارسوها ابد الـدهر لاجل احياء نفوسهم ضمن المحبة الالهيـة الصالحة وضمن السـلام الدائـم للبشرية وخلاصهـا من المهالك المبيدة.

وبالرغم من كل المقاومات فان يسوع نجح في رسالته ودعوته هذه بين الامم عن طريق بشارة المحبة الالهية لكل البشر متخذاً من ذاته مثالا لفداء البشرية ومحبته للعالم. وفي اثناء ادارته وكرازته كان يتردد الى اورشليم اليهودية اقل مما كان يتردد الى مدن سوريا وفينيقيا والجليل حيث

كانت تتبعه جماهير كبيرة وكثيرة لتسمع كلامه وتصغي الى تعاليمة المحيية.

وكان هكذا يقضي معظم وقته في الاماكن السريانية حيث كانت لغته الارامية هي الدارجة في صور وصيدا وكفرناحوم وطبريا والناصرة وقانا الجليل وعبر الاردن والمدن العشرة، وفيها كان يصب جواهر دعوته وبشارته في مسامع الناطقين باللغة السريانية الارامية الدارجة هنالك آنئذ، ولذلك يلاقي سهولة فائقة في إقبال الجماهير عليه، على رسالته وكرازته في تلك الاماكن اكثر من سواها لان سكانها كانوا مشبعين بروح الثقافة السريانية الدينية، التي عليها كانت ايضا تبنى معاني دعوته. ولذلك ايضا كان يفضّل التجول هنالك اكثر من اورشليم وجبال اليهودية حيث كان يلاقي كل انواع الصعوبات والعراقيل واخطار الاضطهادات من الخصوم المناوئين الذين كانوا يريدون الوقيعة به والقضاء عليه قبل اوانه. ولذا حتى بعد صلبه وقيامته في اورشليم. اوعز الى تلاميذه ان يسبقوه الى الجليل المعروف آنئذ باسم «جليل الامم» الارامية (مرقس ١٦:٧) حيث نبّتهم في تعاليمه لاجل حمل بشارة الخلاص والفداء الالهي لكل العالم ولجلب الناس الى حظائر ومجتمعات السلام والمحبة والعيش بظل المحبة الالهية وعنايتها الشاملة لكل البشرية.

من الثابت اذن بان كل هذه العقائد الدينية وتقاليدها المتداولة من جيل الى جيل كانت وليدة الديانات السريانية وأُعطيت للعالم القديم بواسطة انواع الاتصالات بباقي شعوب الارض وتعزز تجديدها وانتشارها بواسطة يسوع المسيح وتلاميذه بدافع قوة الاداب والثقافة السريانية الصادرة عن نضوج شعوبها دينياً ومدنيا لكي تخلد امم الارض مثلهم الى

الهدوء والسكينة والسلام وبالفعل كنتيجة لتلك الجهود المبذولة كانت قد حازت البشرية عَلَى قسط وافر من الامن والسلام العالمي، منذ بزوغ فجر النصرانية ضمن الامبراطورية الرومانية والفارسية عَلَى الاقل لمدة الاربعمئة سنة الاولى لفجر النصرانيه، وبها استمر تقدم المدنية العالمية مهتدية بنور بشارة وكرازة النصرانية وازدهرت ثقافتها دون استعمال السيف والشدة والقوة الى ان طغت عَلَى المجوسية واليهودية وغيرها. وفي مدة وجيزة امتدت النصرانية شرقا وغربا. وبها تنشطت المدنية الشرقية والغربية، وكونتا المدنية العالمية الحاضرة والمكتنفة او المحيطة بكل الكرة الارضية.

إلا انه بعد بذل اقصى الجهود من قِبَل علماء السريان المسالمين لحفظ توازن السلام بين امبراطوريتي تلك الازمنة لمدد طويلة بين الفرس والرومان كان قد انفرط عقد السلام بين الشر ق والغرب وصارت الاوطان السريانية المجرد اهلها من اسلحة الدفاع ميدانا لحروب دامية هدامة لمدة تزيد عن المئتين سنة او الى ايام الفتوحات العربية الاسلامية عندما كانت تلك الامبراطوريتين ايضاً محاطتين بقبائل الغزاة البرابرة من كل الجهات، ومن عناصر وشعوب، او قبائل اهل المدنيات المتنقلة وسكان الخيم الذين بغزواتهم كانوا يعيثون في الارض فسادا الى ان اجتاحوا المدنيات المثالية القديمة من المناطق الشمالية والجنوبية وقوضوا اركانها وارجعوها القهقرى الى الاف من السنين ورجع العالم في اوروبا وافريقيا واسيا الى حياة الاضطراب لوالحروب الهدامة. ودامت تلك الحالة العالمية السيئة الى زمن الفتوحات العربية الاسلامية التي قضت عَلَى قوات إمبراطوريتي الفرس والروم.

في معظم بلاد السريان في مدة وجيزة جدا حيث فُرض الاسلام ديناً وفيما قبل ذلك كانت الشعوب السريانية ودويلاتها الارامية الاخيرة تتمايل وتتجاذب بين سلطتي الفرس والروم الى ان انضم اخيرا اقوام كبيرة وجموع غفيرة منهم الى العرب واعتنقوا الاسلام دينا، بتأثير وفاعلية القرابة العنصرية السامية والقرابة اللغوية بين السريانية والعربية. وفي اثناء مدة حياة النبي محمد وصحابته، امثال ابو بكر الصديق وعلي وعمر بن الخطاب كانت تتألف العلاقات الحسنه بين السريان والعرب المسلمين، وتنمو الاتصالات المباشرة بين بطاركة السريان وزعماء العرب المسلمين الى ان اعتنق الكثيرون منهم الاسلام والعروبة، ودخل الملايين من السريان النصارى في ذمة الاسلام واعطوا عهودا ومواثيق خطية كفيلة بحفظ كيانهم الديني اذ أُعتبروا «اقرب مودّة» للعرب والاسلام. وعَلَى اثرها جاءت الايات القرآنية توصي بهم خيراً ومعلنة بانهم «اهل الثقة والمعرفة بدين الله» ولانهم «اعانوا عَلَى اظهار الدعوة، وامدّوا الله ورسوله فيما احب من انذار الناس وابلاغهم ما أُرسل به» وخاصة لاتصافهم برقة ولين القلوب الذين صاروا اقرب مودّة للذين آمنوا. وذلك بان منهم قسيسين ورهباناً لا يستكبرون.

وهذا التقارب الديني، والعنصري، واللغوي، بين السريان والعرب كان سببا لاعتناق الملايين من السريان الدين الاسلامي وتعربهم نهائيا، الى ان منهم تكونت شعوب الدول العربية الحديثة الممتدة من الشواطيء الشرقية للبحر المتوسط الى بلاد فارس وعيلام.

وما زالت عملية التعرب والاندماج في العروبة سارية المفعول حتى الان في الاوطان السريانية القديمة. ولم يبق من المتمسكين بالدين والقومية السريانية الا بضعة ملايين، وذلك ايضا بشكل طوائف وكنائس او اقليات دينية سريانية هم السريان الكلدان والسريان الاشوريين (النساطرة سابقا) والسريان الموارنة والسريان الارثوذكس او (اليعاقبة سابقا) والسريان الكاثوليك الذين ما زال معظمهم محافظا عَلَىَ تراثهم القديم مع عنصريتهم ولغتهم السريانية وديانتهم النصرانية او السريانية، اما القسم الاكبر من الامة فقد اعتنق الاسلام وقبله دينا وتعرب. ومنه تتشكل الان اكثرية الشعوب العربية الحديثة وهم الشعب العراقي والشعب السوري والشعب اللبناني والشعب الاردني والشعب الفلسطيني، هذا عدا بقايا أخرى اندمجت في العناصر الفارسية والتركية والكردية المجاورة لهذه الشعوب السريانية والعربية ودولها الحديثة.

وعدا العقائد والاديان الالهية الثلاث المعروفة كاليهودية والنصرانية والاسلامية الناجمة جميعها من ثقافات السريان العامة ذات التأثير والانتشار حتى الان في معظم اقطار المعمورة، فان هنالك اديانا أُخر متنوعة ما زالت منتشرة في الاوطان السريانية يتمسك اهلها ببعض العقائد والتقاليد المتأتية من مذاهب البابليين والاشوريين والاراميين الذين ما زالوا هم ايضا يؤمنون بوجود الارواح وبوجود الله تعالى ويخشونه دون ان يقبلوا اليهودية والنصرانية والاسلامية دينا لهم وبقيت معتقداتهم الخاصة والمحلية محصورة بين اقوام وطوائف تسرب اليها الكثير من المؤثرات الخاصة المحيطة بهم. كما تسرّب منها ايضا الكثير من عقائدها، الى الاديان الالهية واشهر هذه الطوائف هم : اليازيد والصبّي او الصابئيون،

وهؤولاء يُعرفون ايضا باسم المنديين او المدعيين بمعنى العلماء او المثقفون، واحيانا يُعرفون ايضا باسم المعمدانيين. ومن هؤلاء الاخيرين كان الاسانيون Hasye : Essenians بمعنى الابرار او الاطهار. وهي كلمة سريانية تطورت لفظيا من كلمة حسيا Hasya ، كما يستدل من المعنى الذي تحمله، ذلك لانهم كانوا غالبا ابراراً يعيشون متصوفين في البراري عَلَى ضفاف الانهر، كالفرات والدجلة والاردن، حيث كانوا يمارسون طهارة النفس والجسد بالاغتسال او الاعتماد بالماء. وهي عادة كانت جارية وسارية بين اتقياء الشعوب السريانية منذ ايام نوح وكلكمش وسركون الاكادي ويظن ان يوحنا المعمدان ابن زكريا كان من اتباع هذه الشيعة ومثله ايضا «يسوع الناصري» اللذين امضيا الكثير من اوقاتهما مع اولئك الابرار في برية الاردن والجبال المجاورة للبحر الميت ونهر الاردن حيث كانوا يقضون رجالا ونساء حياة الوحدة والتبتُّل، ويعيشون عَلَى الفاكهة والثمار والبقول والعسل البرّي والجراد والاسماك، ويصنعون الخزف ويهتمون بنقل ونسخ الكتب الدينية. وكان لهم مركزهم الرئيسي في قرية قمران او كمران عَلَى مقربة من البحر الميت او قبالة مدرسة انبياء اليهود في جوار اريحا (صموئيل ١٠:١ــ١٦) الذي دمَّره الرومان اثناء خراب اورشليم سنة ٧٠ ميلادية، لاعتقادهم بان هولئك الاسانيين ليسوا الا بدعة يهودية تمركزت هنالك بعد عودة اليهود من سبي بابل الى اورشليم. ويظهر انه من الاسانية تطور نظام الرهبان المتوحدين في عهد النصرانية. وحل محل مراكز الاسانيين اديرة النصارى للرهبان والراهبات وعبّاد وعابدات، في برية الاردن، وجبال اثور وطور عابدين، وجبل آثوسى ومنهم امتد نظام حياة الرهبنة الى العالم المسيحي في اسيا الغربية ومصر

واوربا وباقي اقطار العالم. (لوقا ٣ : ١ ـ ٣ و ٤ : ١ ـ ٢)

اما اليازيد او اتباع الشيطان الذين سبق الكلام عنهم فانهم منتشرون حاليا في العراق وايران وتركيا وسوريا، وهم ايضا يؤمنون بالله ويخشونه ويتحاشون الشر ويمارسون الخير والاعمال الفاضلة كأهل باقي الاديان الالهية التي تنهي عن الشر وتأمرهم بالخير ومن الخطأ ان نعتبرهم عبدة الشيطان لمجرد انهم يرفضون اهانته او لعنته وشتمه لاعتقادهم بانه يوم القيامة والدينونة ستوب ويرجع الى الله قابل التائبين، وعندئذ سيبطل عمل مقاومته لله. وتعود مباديء هذه الديانة الى ما قبل الازمنة السابقة للالف الرابع (قم) وربما تكون معاصرة لازمنة بدء الدين الالهي البدائي والايمان بالله «اهيه اشر هيه» كما تبيَّن من كتابات السريان واعتقاداتهم بوجود الارواح الشريرة المقاومة والمناوأة لله والانسان. وما زالت اليازيديه ديانة قائمة على قسم من اقاويل الاديان البابلية والاشورية القديمة اسوة بمعظم الأديان الموروثة من الشعوب السريانية القديمة، التي بالرغم من تعصب اهلها لها لم تنتج شيئا من التقدم والمؤثرات المدنية كالنصرانية والاسلامية وغيرهما، وذلك رغم بقائها حتى الان عَلَى ما هي عليه. ولقد توارثها القوم تقليديا دون ان تحتوي عَلَى كتَّاب او كتب دينية خاصة بها، بعكس ما هو موجود ومعهود عند اليهودية والنصرانية والاسلامية، الذين يُعتبرون في عرف الاسلام بانهم من «اهل الكتاب». ومن حيث الموقف الدينى يمكننا ان نعتبر اليازيدية مذهب الحزب اليساري او الحزب المعاكس جزئيا للاديان الالهية. ولقد اتخذ اليازيد لعبادتهم تمثال الطاووس المعروف لديهم باسم «الملك طاووس»، الذي يمثل سطنائيل فى كبريائه عَلَى الاله ايل، وهكذا صار خصماً لله.

وخلاصة القول يمكننا ان نستنتج بانه كما ان اليازيد كانوا وما زالوا اجمالا أميّين ليس لهم كتب دينية يسترشدون بها، فان المنديين او المدعيين كانوا وما برحوا اهل علم وكتب وثقافة. ومعظمهم كانوا وما زالوا كهانا وتلامذة الكهان، بمعنى العلماء وتلامذة العلماء، لكونهم منذ القدم اهل كتب دينية وعلمية وادبية مكتوبة باللغة السريانية الارامية الشرقية. ولهذا دامت طوائفهم وانظتهم الدينية الى ايامنا هذه، وفي عهد الفتوحات العربية الاسلامية فانهم نظير اخوانهم ابناء الطوائف السريانية المسيحيه قد عُنوا واشتغلوا كثيرا في الكتابة والتأليف والنقل والترجمة عن اللغة السريانية واليونانية الى اللغة العربية، مجاراة لاخوانهم السريان الاشوريين (او النساطرة والكلدان) والسريان اليعاقبة المعروفين الآن باسم السريان الارثوذكس والسريان الموارنة، وذلك عندما كانت اللغة العربية بحاجة ماسة الى الثقافة الكلاسيكية وثقافة وحكمة السريان وفلسفة اليونان والرومان لادارة الامبراطورية العربية الاسلامية الواسعة الاطراف التي كانت قد امتدت بفتوحاتها من المحيط الهادي الى المحيط الاطلسي.

ومن المعهود ايضا بان المندية او الصابئية كانت كالنصرانية جزءا او فرعا من الاديان السريانية الكبرى في عهد اتحاد الدول البابلية والاشورية والارامية والكنعانية وهي التي تطورت تدريجيا ووصلت الى ازمنة الدويلات الارامية الاخيرة مثل حديباب وتدمر والرها والانباط والحطرة وحرّان وكانت شعوب هذه الدويلات الارامية الاخيرة اجمالا عَلَى معتقد الصابئيين او المنديين وخاصة في زمن ابجر ملك الرها المعاصر ليسوع الناصري، ثم انشقوا الى سريان والى ارامیین، وسمّي باختصاص اتباع يسوع المسيح باسم سوريا وسوريا بمعنى «السريان». كما واحتفظ

اخوانهم ابناء القسم الثاني باسم «الاراميين» وهم الصابئيين والمندين· وبقي مركزهم الرئيسي حران، ومركز اخوانهم المدعوين «بالسريان» في الرها (اورفا الحالية)· وهناك بين حران والرها دام واشتد النزاع عَلَى التسميتين بين اسم الاراميين واسم السريان كما تبين في سابق كلامنا·

واختص هوءلاء الاراميون المدعون بالمدنيين، بدراسة النجوم والكواكب والاجرام السماوية والعلوم الفلكية الموروثة من الاباء السريان الكلدانيين الذين كانوا ايضاً اراميين· وبامكاننا ان نجمل القول بان بهمة هوءلاء الاراميين وخاصة المنتشرين منذ القِدَم في العراق وسوريا وايرانوفي جبال اثور وحرّان والرها، كانت قد امتدت الثقافة والمدنية السريانية في اطوارها السابقة للنصرانية الى الاغريق والرومان وباقي شعوب اوروبا واسيا وافريقيا وخاصة في البضعة القرون الاخيرة والسابقة لفجر النصرانية ولذلك يعتبر بعض علماء التاريخ المدني وخاصة الاسيريولوجيّون Assyriologists المناطق الشمالية لما بين النهرين منبع الثقافة والمدنية السريانية التي امتدت الى جميع اقطار العالم والتي بعد ان اصطدمت بالثقافة اليونانية تغلّبت عليها باعتناق اليونان والرومان الديانة النصرانية التي كانت من نتاج الثقافة السريانية وهي التي تغلبت عَلَى فلسفة ديانة اليونان التي كانت مجردة من الرجاء الروحي والامل بحياة صالحة عتيدة، المعهودة في العقائد النصرانية السريانية·

ولقد سُمّي المنديون باسم الصبى او الصبائين بمعنى التلاميذ الاجتماعيين، او الاتحاديين، او الكنسيين، الذين يميلون نحو الالتآم لاجل تحقيق حياة اجتماعية راقية ومدنية مسالمة، منقادة لاله الحياة اهيه اشر اهيه ·

وربما دُعوا بهذا الاسم بعد سقوط دولة الاشوريين في اواخر القرن السابع

٦٠٦ (ق‌م) وذلك عندما تكونت وتجمعت اقوامهم الدينية في بابل وغيرها حول معاهد علمية وادبية او دينية وثقافية والتي عُرفت باسم البيعة او الكنيسة حيث كانوا يمارسون عوائدهم وتقاليدهم الدينية والادبية. وفي عهد النصرانية تحوّلت تلك المعاهد الى بيَع وكنائس مسيحية. وعَلَى غرارهم سار اليهود واوجدوا لهم «الكنيس» بعد سبي بابل، وغيرها بدلا من هيكل سليمان في اورشليم. وبهمة هذه الاقوام السريانية عامة وعلمائهم الذين منهم كان كهّان وابرار وانبياء مرشدون، كانت تتكون تلك المعاهد الدينية والمدنية مثل البيَع والكنائس والجوامع التي فيها جُمعت واحتفظت معظم الفنون الجميلة. واختزنت العلوم المفيدة للبشرية ولهداية الانسان الى تحقيق الحياة المدنية الفاضلة والصالحة، القائمة عَلَى الايمان بالله تعالى منذ اقدم الازمنة.

بَيدَ انه في خلال العصور السابقة لفجر النصرانية كان قد تجدد هنالك الخلاف والنزاع عَلَى التسميتين السريانية والارامية اللتي سبَّبا فجر النصرانية،وظهور بعض المؤثرات للعقائد اليهودية، بسبب انضمام بعض الاقوام اليهودية اليها عن طريق النصرانية عندما كانت تصير تلك الديانة السريانية القديمة، ديانة عالمية دُعيت بالنصرنية او المسيحية نسبة الى يسوع الناصري او يسوع المسيح الذي اعلنها لليهود وهي مبنية عَلَى المحبة والخلاص لكل البشر كعقائد السريان القدماء واما الصابئية واليهودية فقد بقيتا منعزلتين عن النصرانية كل واحدة في نطاق قوميتها وتقاليدها الموروثه، كما وان النصرانية ايضا اكتسبت التسمية السريانية بين الناطقين باللغة السريانية كما نفهم من كلمة سوريوتا للنصرانية وسوريوتا للقومية او الجنس السرياني وكلتا الكلمتان أُقتسبتا من اسم

اسور كما تبنين. فبناء عَلَى هذه الايضاحات نرى انه من الخطأ القول بان السريان القدماء قد كانوا عبدة اصنام او تماثيل والتي لم تكن الا رموزاً للقوات الالهية الغير المنظورة وكيف يصح ان يكونوا عبدة اصنام ما دام منهم وبهم وعنهم ظهر الايمان بالله الواحد الاحد؟ او اله الحياة الغير منظور قبل تكوّن الاديان الالهية الاخر كاليهودية والنصرانية والاسلامية؟ ولقد رأينا بان القبائل والعشائر السريانية ومن ثم الشعوب التي تكونت منها هذه الامة هي التي اوجدت منذ القديم او قبل ازمنة الطوفان، الايمان بوجود الله الواحد الاحد وليس الايمان بالاصنام والاوثان.

واذا تأملنا في الديانتين الصابئة واليازيدية الناجمتين عن الثقافات السريانية القديمة والسابقة بمعتقداتها لكل الاديان الالهية العليا الحالية وتكوين نواميسها وانظمتها، نرى ان كلتا الديانتين، الصابئة واليازيدية ـ من حيث الوجود والمفعول تقابلان الانظمة الاجتماعية السياسية التي بموجبها تسير وتعمل الحكومات العالمية ذات المدنيات السامية والراقية التي تحسن ادارة شعوبها والتي عادة تنقسم ادارة حكوماتها الى قسمين، اليمين واليسار. هذا اذا اعتبرنا اهل الديانات الالهية او الصابئين الموالين لله تعالى ابناء الحزب اليميني واليازيدين الموالين للشيطان ابناء الحزب اليساري والغاية من ذلك هي لاجل المقابلة بين الصالح والطالح او بين الشر والخير او بين النافع والمضر لحياة الانسان فيبتعد الانسان عما يضره ويتبع ما يفيده.

قد يلاحظ القاريء اللبيب من خلال هذه الاسطر :

اولا ـ كثرة تعدد وتنوّع اسماء القبائل والعشائر والشعوب والدول والممالك والامبراطوريات السريانية التي من مجموعها تكوّنت الامة

السريانية وثم تعدد الملل والطوائف والكنائس والاقليات الدينية التي عليها وبهـا ثبتت وتوطدت هذه الامة العريقـة القِـدَم في الحيـاة ودام وجودها عَلَى ممر العصور والدهور حتى الان واصبحت خالدة الوجود بقوة ثقافتها وفضائلها المدنية رغم كثرة اقسامها وطوايفها الدينية والعلمية٠

ثانيا ــ كثرة تعـدد العقائـد والمذاهب التي منهـا وبهـا تكوّنت وتطورت الاديان الالهية عَلَى ضوئها يهتدي الان العالم المتمدن في سيره الحثيث نحو التقدم المستمر واصبح مميزا بين الخير والشر وبين الصالح والطالح او بين المفيد والمضر للانسانية في حياتها الاجتماعية٠

ثالثا ــ كثرة تعدد انواع الكتابات والخطوط وتطورها من الصورية الرمزية الى الاسفينية اللفظية ومن ثم الى الاحرف الهجائية او الابجدية المنتشرة حاليا بين جميع الشعوب والامم المتقدمة دينيا وثقافيا٠

ان كل هذا التنوع المشار اليه بصورة ايجابية، يدل دلالة واضحة عَلَى طول مدة حياة الامة السريانية ومدى تطورها في شتى انواع الانظمة الاجتماعية الصالحة لها وللعالم لمدة تزيد عَلَى العشرة الاف سنة، وهي لم تزل تنتج في ميادين الثقافة والدين لفائدة البشرية في العالم كله٠ ولذلك تُعتبر هـذه الامـة حية وخالدة في مآثرهـا الثقافية والمدنيـة الكثيرة وانتشارها الفكري والروحي بين الامم وبقوة مفاعيل ثقافتها ومدنيتها في حياة الامم وحضارتها، ستبقى خالدة ابد الدهر٠

المقالة الثالثة

طوائف الامة السريانية

التأمل والتبصر في فهم اسلوب او منهج سير العناصر السريانية البدائية، اثناء اجتيازهم مراحل حياتهم التاريخية الطويلة الامد وتطورهم الاجتماعي من نظام العشائر والقبائل الى نظام شعوب وممالك ذات دول اسلوبية ونظامية، نجد ان الامة السريانية نشأت من تجمع تلك الشعوب واتحادها في فترات طويلة متعددة ومتوالية. ابتدأت تأخذ شكلها الخاص بين الالف الخامس والرابع (ق) بجسامة عظيمة لم يسبق لها مثيل. تمكنت في خلالها من مد سيادة حكمها وسلطانها مع مؤثراتها الثقافية والمدنية الى معظم سكان العالم القديم المعروف، فانارتهم وسيرتهم نحو التقدم المدني بعد ان كانت المسكونة خالية وخاوية من انظمة الحياة الاجتاعية او عندما كان العالم القديم يعيش حياة الغابة ويتردد في مرتعه الوخيم تحت ظلام وجهل العصور الحجرية. ومن جراء تأثير خدمات شعوب الامة السريانية التي اسدتها للبشرية مدنيا وثقافيا تولدت بفضل هممهم أمم عالمية جديدة وعديدة التي انقلبت عليهم فيما بعد، واجتاحت اوطانهم، مما ادى لمجموع امتهم ان تتوجه في سيرها مرغمة نحو الانحدار من اعالي مجد عظمتها الزمنية، منذ اواخر القرن السابع والسادس قبل بزوغ فجر النصرانية. وذلك بعد سقوط دولتي اسور وبابل اللتين كانتا القوة المركزية الضامنة لحياة الامة السريانية في اوطانها. وبعد حياة دامت نحو ثمانية الاف سنة لمجموع شعوب وعناصر السريانية، في

سبيل خدمة البشرية مدنيا وثقافيا استولى عَلَى الامة انتهاك واستنزاف قوتها بالنظر الى قدميتها وتضحياتها في سبيل المدنية العالمية٠ وكانت النتيجة ان فقدت الامة السريانية جزءا من حريتها وحرية اوطانها للغزاة والاغراب، للمرة الاخيرة منذ نحو ٢٥ قرن اذ انقسمت عن يد الولايات الاغراب الى ولايات او دويلات ارامية لاجل الادارة الداخلية وهي مجردة من سلاح الدفاع عن الاوطان منذ الستمئة سنة السابقة لفجر النصرانية وفي اوائل القرن الخامس (بم) بدأت تنحدر تلك الدويلات ايضا الى انظمة الطوائف والاقليات الدينية التي هي عليها الان٠

ومن جراء ذلك الضعف والانقسام او اثناء ذلك الوضع الاخير فان كثيرين من ابناء الامة السريانية انفصلوا عن قوميتهم السريانية والتحقوا بقوميات وعناصر أُخر غريبة كالفرس واليونان والرومان والعرب والاتراك وغيرهم٠ ومن هولئك السريان المنفصون وذيتهم، تتشكل الان الاكثرية الساحقة لهذه الامم والشعوب٠ واما ما تبقى منهم يُعدون الان بضعة ملايين من الناطقين باللغة السريانية، فما زالوا يحاولون عن طريق النهضات العلمية والثقافية السير بنجاح عَلَى مناهج ابائهم واجدادهم السريان الغابرين عمليا وثقافيا لاجل خدمة وتقدم اوطانهم، ولخدمة البشرية عامة كسابق عهدهم ومهما كان نوع الدول الحاكمة في اوطانهم الاصلية فانهم يقدمون لها الطاعة والاحترام المخلص بتأثير عقائدهم الدينية الدالة عَلَى وجوب تقديم الطاعة للسلطات التي بينهم٠

فبناء عَلَى ما تقدم وبالنظر الى الشرح في المقالتين السابقتين يمكننا ان نصل الى معرفة عدة حقائق هامة فيما يعود لظهور الاديان الالهية وشعوبها واممها من تأثير الثقافة السريانية المعروفة باسم سوريوتا Syrian

Religion or Syrianism ويمكننا ان نجزم الآن بان اليهودية كانت وليدة الثقافة الدينية السريانية العامة او فرع منها، اختص بها العبرانيون الاسرائيليون الذين قبلوها منظمة عن السريان بواسطة موسى النبي التي حاولوا تطبيقها عَلَى حياتهم في كل العصور لحفظ عنصرهم من الضياع بالاندماج، دون ان يفتحوا ابوابها لدخول العناصر الغريبة اليها. وبما انه لم تكن ديانة ارسالية كالنصرانية والاسلامية فانها بقيت محدودة الانتشار وخاصة للاقوام الاسرائيلية وهكذا فان الاسلامية ايضا كانت وليدة الثقافة السريانية اذا اعتبرنا ان ظهور مبادئها كان بواسطة ابراهيم الخليل الذي توارثها عنه اسماعيل ابنه من زوجته هاجر، وعنه القبائل العربية القديمة في الحجاز واليمن. وبعد ان تطورت من الثقافة السريانية واصبحت قابلة التطبيق فُرضت عقائدها و نواميسها عَلَى العرب عامة في بدء القرن السابع الميلادي بواسطة النبي محمد، ومن ثم انتشرت بقوة الفتوحات العربية الاسلامية، واخذت شكلها العام الى ان اصبحت هي ايضا كالنصرانية ديانة ارسالية عالمية لجميع الشعوب من العرب وغير العرب. وانتشرت بسرعة هائلة في اسيا وافريقيا وبعض البلدان الاوروبية. ولقد كان هذا الاقبال عليها من كل النواحي عظيما جداً لاسباب عديدة، وكان انتشارها في الاوطان السريانية ايضا سريعا جدا، لسبب القرابة العنصرية السامية بين السريان والعرب ولان الاسلام ايضا كان كالنصرانية مشبعا ومترعا بالثقافة السريانية الى ان حلت العروبة تدريجيا محل السريانية كما حلت من قبل السريانية محل الارامية ومن قبلها حلت الاامية محل الشعوبية المتآخية. ولهذه الاسباب وغيرها في عدة اماكن ومناسبات، كحرب القادسية مثلاً كان السريان عونا للفتوحات العربية الاسلامية، ذلك لان

الكثيرين من القبائل العربية كالمناذرة والغساسنة واللخميين وبني طي ونجران كانوا عَلَى نصرانية السريان قبل فجر الاسلام.

وعلى هذا القياس فان النصرانية او المسيحية ايضا كغيرها من الاديان الالهية لم تولد بين ليلة وضحاها، او في بضع سنوات، كما قد يظن البعض سهوا، بل انما هي ايضا نمت تدريجيا من ثقافة السريان. المعروفة باسم سوريوتا السابقة للهيودية حتى اخذت شكلها الاخير الذي ناوله يسوع المسيح الى الد وقومه، وبواسطة اتباعه الجليليين لاصلاح احوال اليهود اجتماعيا ولاصلاح غيرهم من امم الارض وشعوبها مدنيا وثقافيا. وبما ان يسوع وتلاميذه او رسله ومبشريه حملة رسالته كانوا من ابناء الثقافة السريانية عامة في اليهودية والسامرة والجليل وفينيقيا والعشر مدن وسوريا وباقي الاوطان السريانية القريبة. فالنصرانية ايضا جاءت كغيرها وليدة الثقافة والمدنية السريانية في محيط كان محتويا عَلَى خليط او مزيج من العناصر والشعوب الناطقة باللغة السريانية الارامية. وجاءت معززة بالمحبة البشرية والمحبة الالهية والتي عمت بالاكثر بواسطة يسوع واتباعه التلاميذ والرسل الجليليين ولم يتعاو ن اليهود عَلَى نشرها لانها لم تكن منهم. وتعاونت عَلَى نشرها العناصر السريانية لانها كانت متفرعة من ثقافة تلك العناصر السريانية الارامية. فتم لها النجاح بواسطة السريان كما وتم النجاح لانتشار الاسلامية بواسطة العرب، لانها كانت منهم ومن ثقافتهم التقليدية التي توارثوا مبادئها من العناصر السريانية، منذ الوف السنين.

ولذلك يمكننا ان نعلم بان النصرانية أعطيت للعالم بيسوع الناصري وتلاميذه، من مصادر الثقافة السريانية دون ان يكون لها اي قومية خاصة او قوة زمنية خاصة يهودية او غير يهودية تؤيدها او تكون لها مرتكزا

فتفرض عَلَى البشرية بالتهديد والوعيد او بالعنف والشدة او بقوة الحرب والفتوحات، لارغام الناس عَلَى قبولهـا عنوة كما كان شأن بعض الاديـان الاُخر. كل ذلك لكونها ديانة محبة وسلام وديانة رحمة وحنان نحو الاقران البشرية وما يحيطهم، او حتى ديانة وئام ورقة ورأفة ولين وتواضع صادرة من اعماق المحبة الالهية الظاهرة في الفداء الالهي للانسانية او الناتجة من عصارة الثقافة والمدنية السريانية كما شهد لها الاسلام بذلك. وبموجبها تطورت حياة شعوبهـا في ميادين الحيـاة الاجتمـاعية فصارت النصرانية والحالة هذه ديانة عالمية جمّة الخدمات المفيدة لجميع امم العالـم وشعوبه قاطبة. وسارت نحو الازدهار المدني مستعينة بالثقافـة الدينية السريـانية القديمة التي اصبحت نوراً وهداية للعالـم لاصلاحه والقضاء عَلَى الام الانسانية الصادرة من المطامع البشرية ومن تأثير الغرائز الوحشية الكامنة داخل الانسان الفطري، كما كانت فنون الكتابة كالخطوط والاحرف السريانية اصبحت خزانة لاحتواء الحكمة والثقافة البشرية.

وكما نمت معظم الاديان العالمية الصالحة من ثقافة السريان، هكذا ايضا نمت منها العلوم والفنون ومعرفة الكتابة والقراءة والخطوط المتنوعة والحروف الابجدية السريـانية التي اصبحت كلهـا وسائل ابدية لتثقيف عقول البشرية دينيا ومدنيا، وتحضيرها للحصول عَلَى افضل انظمة الحياة اجتـماعية صالحـة ومثالية. وقـد جرى كل ذلك دون استعمـال الشدة والعنف، ولذلك فان يسوع الناصري لم يأت للعالم كنبي او رسول محارب بل انما جاء كملك مسالم ومخلّص ومنقذ البشرية من الامها واوجاعها بقوة المحبة والفداء الالهي وفاعلية السلام والالفة بين البشر، كما بيّن و وضح جليا رسول الامم شاول الذي دعي بولس وقال عن يسوع : بانه

جاء للعالم ملكا وحبرا ابديا عَلَى رتبة ملكي صادق ملك شاليم ـ ملك السلام، (الذي كان احد ملوك السريان الكنعانيين في فجر القرن العشرين (ق‌م)وذلك قبل وجود النظام او الناموس اليهودي)٠ولم يقل الرسول بولس بان يسوع جاء عَلَى رتبة موسى واخيه اهرون، او عَلَى رتبة الملك داود وابنه سليمان، الذين كلهم كانوا قد لوثوا ايديهم بسفك الدماء البشرية بل وقال بانه جاء عَلَى رتبة ملكي صادق الذي كان ملك سلام وكان يقدم خبزا وخمرا لله العلي٠ وبه تقتدي الكنائس المسيحية الان في كل العالم، عندما يقومون بتقديم الخبز والخمر بدلا من لحوم وشحوم الحيوانات كما كانت تتطلب الديانة اليهودية ورتبها الاهرونية من اتباعها٠

بيد انه مقابل هذه التطورات الدينية الناتجة عن الثقافة السريانية كانت تتولد الاسباب لانقسام السريان الى طوائف دينية متعددة٠ وبحكم القدمية والاسبقية في النضوج الثقافي المدني، فقد اوجدوا عقائد دينية متعددة من تطور حياتهم تفيد للخدمات الاجتماعيه بغية توحيد العالم، باوصال وروابط المحبة الالهية للبشرية لاستتباب الامن والسلام عَلَى الارض والحصول عَلَى التمتع برغد العيش وسعادته ولذا يقول علماء التاريخ المدني ان السريان او الامة السريانية بطوائفها واقلياتها وشعوبها ودولها كانت هي الام المربية الحاضنة لمدنية البشرية وثقافتها وعَلَى نور هدايتها الثقافية تسير الانسانية اليوم نحو التقدم المدني المنشود، عن طريق الدين والفضائل المدنية٠

وخلال مدة الستمئة سنة الاولى لفجر النصرانية امتدت هذه الديانة شرقا وغربا من الاوطان السريانية العامة الى جميع اقطار العالم القديم الذي كان مشبعا ومترعا بتأثير الثقافة السريانية، ركن المدنية العالمية

منذ فجر التاريخ الا انه قبلما ان يستتب لها الامر نهائيا فقد اصطدم سيرها بعض التعقيدات الفلسفية بسبب اندماج وامتزاج بعض المعتقدات الدينية اليهودية الخاصة وسفسطات الفلسفة اليونانية في عقائدها الرئيسية، الى ان تعرض سيرها للتوقف في الشرق مصطدمة بعراقيل ومشاكل ومشاغبات عديدة· ادت الى انشقاقات دينية، وظهور فروع مذهبية متخاصمة ونزعات دينية لا طائل تحتها، افقدت النصرانية سيرها وقضت عَلَى جمال بساطتها وحسن سذاجتها الاولى في الاقطار الشرقية·

ولما تعصبت السلطات العالمية، كالرومان البيزنطيين مثلاً لبعض تلك الاراء الدينية المتعددة لمآرب ومقاصد ادارية سياسية عندهم، عادت القوات العالمية في الشرق كالفرس والرومان الى سابق عهدها للنزاع والحروب الدموية الهدامة والمخربة بعد ان كانت قد هدأت الحالة العالمية ولجأت الى السلام والهدوء والسكينة مدة اربعمئة سنة تقريبا، وذلك منذ ظهور النصرانية، وحتى القرن الخامس (بم)، ثم انقسمت الاوطان السريانية الى شرقية وغربية تحت سيطرة الفرس والرومان· وبذلك الانقسام، انقسمت الامة السريانية ايضا الى شطرين كبيرين : شرقي وغربي· ودب فيها الخراب، وهدمت معظم معالم المدنية، لاتخاذ المتنازعين عن الاوطان السريانية ميادين حروب لهم، ومراكز نزاعات طويلة محزنة مخربة وهدامة للمدنية المثالية في الشرق·

وكنتيجة لتلك الاحوال فقد ظهر الاسلام وفتوحاته العربية· وفي مدة قصيرة جدا قضى عَلَى قوات المتحاربين من فرس ورومان وكانت النتيجة ايضا ان كثيرين من السريان اعتنقوا الاسلام وتعربوا وفيما البعض منهم تعرب دون ان يعتنق الاسلام فان البعض الاخر لم يقبل العروبة ولا

ولا الاسلام، بل ظل محافظا عَلَى قوميته السريانية وهم الان الطوائف الخمس الباقية والمتمسكة باللغة السريانية كالاشوريين والكلدان والموارنة والسريان الارثوذكس والسريان الكاثوليك. ويُعد مجموعهم بنحو اربعة ملايين منتشرين في اوطانهم المنقسمة بين ايران وتركيا وبين العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين والخليج العربي.

ولسبب كثرة الحروب وتلك الاوضاع السيئة توقف نوعا ما انتشار المدنية ومعها النصرانية في اسيا وافريقيا واستولى الخمول عَلَى بلاد الشرق عامة ووقف عن سيره التقدمي المدني في مدة الالف والخمسمئة سنة الاخيرة. وكان قد امتد تأثير ذلك الخمول الى بعض البلدان الاوروبية ايضا منذ العصور المظلمة وحتى نهاية العصور الوسطى، ذلك لانه بعد ختام العصور القديمة او منذ سقوط روما في القرن الخامس الميلادي كان قد تعرض العالم ومدنيته في اسيا وافريقيا واوروبا الى غزوات البرابرة من كل الجهات الشمالية والجنوبية مما ادى الى توقف المدنية العالمية عامة عن سيرها التقدمي في معظم تلك الاقاليم. اما في الغرب فان النصرانية تمكنت من الاستتباب والتمركز هنالك جزئيا وبنت لنفسها مدنية جميلة، هي المدنية المسيحية المعروفة، عَلَى عكس ما آلت اليه وتقلصت في الشرق بل انحدرت الى الضعف والانحلال الجزئي. ومع هذا الانقسام يمكننا ان نستنتج بان العالم القديم ايضا كان قد انقسم اجمالا بين تسميتين هي : السريانية في الشرق، والكاثوليكية في الغرب.

ففي الغرب كانت الكنيسة الكاثوليكية قد انقسمت اولا الى قسمين كبيرين، ارثوذكسية تحميها الدولة الرومانية البيزنطية او دولة الرومان الشرقية، وكاثوليكية رومانية تحميها دولة الرومان الغربية.

وتمركزت الارثوذكسية خاصة في القسطنطينية والبلقان وآسيا الصغرى. كما تمركزت الكاثوليكية الرومانية في روما واوروبا الغربية والشمالية. وبعامل تأثير التطورات الزمنية تقلصت او انسحبت فيما بعد الارثوذكسية عن اسيا الصغرى وسوريا وباقي الاوطان السريانية وامتدت الى روسيا واوروبا الشرقية كما وان الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ايضا انسحبت فيما بعد من شمال افريقيا وامتدت الى جميع بلاد اوروبا الغربية ومنها الى البلاد الاميركية. وحل الاسلام في شمال افريقيا

وفي معظم البلدان الشرقية بما في ذلك معظم الاوطان السريانية في آسيا الصغرى وسوريا وباقي اسيا الصغرى. وفي تلك الاثناء تحولت تدريجيا بقايا شعوب الدويلات الارامية السريانية الى عدة طوائف دينية، منها الخمس طوائف المذكورة آنفا والتي عليها يدور موضوع كلامنا هنا.

وبالرغم من كل التطورات الزمنية التي تعرض لها السريان واوطانهم بالنظر الى التقلبات والتغيرات في السلطات الادارية الحاكمة، ورغم اندماج افواج وجماعات او جماهير كبرى منهم في مذاهب واديان وعناصر أُخرى وفي قوميات غير سريانية وانتحلوا غير مذاهب وعقائد خارج نطاق الامة السريانية. فان السريان المحافظن عَلَى تقاليد الاباء والاجداد دينيا وثقافيا ومدنيا لم يكفوا بتاتا عن حمل رسالتهم لتثقيف العالم في الدين والمدنية داخل الاوطان وخارجها، حيث وصلت حملاتهم التبشيرية الى الاصقاع الاسيوية الوسطى ومنها الى الهند والصين وبلاد

المغول والتتر حيث ما زالت قائمة بماثراتهم الدينية كما وانهم لم يقطعوا علاقاتهم الدينية مع الكنائس المسيحية الاخرى في الغرب حيث كانوا من حين الى حين يشاركون في المؤتمرات والاجتماعات الدينية العامة ويرسلون نوابا او مطارنة وبطاركة للاشتراك بادارة الكنيسة الغربية· ولقد تسلم السدة البطريركية في مصر والقسطنطينية وروما عدة بطاركة متحدرين من اصل سرياني، نظراً لشهرة الاباء السريان في اللاهوتيات والثقافة الدينية·

وهكذا فان عناصر الامة السريانية المتبقية بشكل طوائف واقليات كانت قد اصبحت كمواد صالحة لتخصيب الثقافة والمدنية العالمية في الشرق والغرب، وخاصة بين العالم المسيحي والعالم الاسلامي، كما كانت الحال في سابق عهدها الغابر في العالم القديم او قبل بزوغ فجر النصرانية·

ان الشعوب السريانية القديمة السابقة لعهد زوال مجد الامة الزمني في اثور وبابل الذين لسبب تضلعهم او تفوقهم في فنون الحروب كانوا في عدة مناسبات قد تمكنوا من نبذ نير سلطة الاغراب كالحثيين والكوشيين والسكوتيين والقميريين وغيرهم مهما طالت مدة نزاعهم لاسترداد حريتهم، وذلك بمقابلة العنف بالعنف والشدة بالشدة· واستعمال الاسلحة الحربية في وجه السلطات والغزاة المعتدين عَلَى حريتهم وحرية اوطانهم فكانوا بهذه الوسائل يحافظون عَلَى المداومة والاستمرار في التقدم المدني والاعمال الانشائية· اما بعد سقوط دولتي اسور وبابل وهي المدة الاخيرة التي فيها وقعت جميع شعوب الامة السريانية تحت نير الاغراب كالفرس واليونان والرومان وغيرهم ممن تبعهم، فقد تجردوا من اسلحة الدفاع وانهمكت زعامتهم الادارية او المدنية وانصرف حكامهم الى الامور المدنية

والامور الدينية البحتة، الى ان تحولت ثقافتها وتطورت كليا الى الناحية الدينية فقط، مهملة بذلك الناحية القومية والوطنية الخاصة حبا في توطيد اركان العدالة والمساواة بين كل البشر عن طريق الدين ولاعتقاد اقوامها وزعمائها الدينيين بان السلطات الزمنية مهما كان جنسها او عنصرها فانها تعتبر معيّنة من قِبَل الله تعالى، ولذا فلا يجوز مناوأتها او مقاومتها· لئلا يكونوا مقاومين ومناوئين لله ولارادته الالهية· وبفعل هذه الاعتقادات أئمتها الدينيين، بعد سقوط دولتي آثور وبابل، تحولت الامة السريانية عامة الى امة ثقافية دينية بحت وانقسمت الى ممالك ودويلات ارامية صغيرة مسالمة ومن ثم الى طوائف كنسية موالية لحكم الاغراب· ولسبب كل تلك الاوضاع فان الكثيرين من ابناء السريان اندمجوا في العناصر الحاكمة والمجاورة كالفرس واليونان والرومان والعرب والاتراك حتى والارمن والاكراد· ولمثل هذا الانقسام تعرّضت الكنيسة المسيحية الغربية ايضا وذلك انه من الكنيسة الرومانية البيزنطية او الارثوذكسية انبثقت وظهرت عدة كنائس وشعوب دينية في البلقان وشرقي اوروبا· ومن اختها الكنيسة الكاثوليكية ايضا ظهرت عدة طوائف بروتستنتية ذات نزعات دينية مسيحية متعددة ويقال انه كما ان هذه الطوائف البروتستنتية ظهرت ثائرة عَلَى الكنيسة الكاثوليكية في الغرب هكذا ايضا فان الاسلام ايضا كان قد ظهر ثائراً عَلَى النصرانية في الشرق لسبب كثرة التعقيدات الفلسفية والتقيدات الدينية التي لم تدع مجالا للانسان الفرد لقبولها وتطبيقها عَلَى حياته العادية الخاصة به دون التعرض لمخالفتها· كما وانه في القرن الثالث عشر (قم) وخاصة في ايام شلمن اسر الاول (١٢٧٢ قم) كان قد اتحد السريان الاشوريون والسريان الارامون في شمال سوريا والعراق وتوفقوا

في حروب طويلة لاجل ازالة نير العبودية والقضاء عَلَى حكم الاغراب في اوطانهم كالحثيين والكوشيين وغيرهم الى ان شكّلوا النهضة والوحدة السريانية الاخيرة. وثم اتحاد تلك الشعوب في امة واحدة هي الامة السريانية بزعامة الاشوريين وبالتعاون مع اخوانهم الاراميين في اوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، بهمة الملك شلمن اسر الاول وتغلت بل آسر. هكذا ايضا فان الشعوب او الدويلات الارامية الاخيرة ايضا التي وقعت فيما بعد تحت حكم الفرس واليونان والرومان، والتي كانت تُعد الموجة الارامية الاخيرة التي منها كانت دولة الاباجرة في الرها وحرّان في فدان ارام ودولة حدباب وحطره في منطقة اثور وبابل ودولة تدمر والانباط في سوريا والجليل والاردن وفلسطين وسيناء ودولة الفينيقيين في الجليل ولبنان، كانت قد نشطت واهتمت للمرة الاخيرة محاولة كل منها بدورها، التخلص من نير الاغراب رغبة في تجديد المجد الاشوري الارامي تحت التسمية السريانية ولكن نظرا لانقسامها الى مراكز نفوذ اجنبية متعددة لم تتوفق من الوصول الى اهدافها التحريرية. وبقيت التسمية السريانية العامة فيما بعد للشعوب والطوائف التي تفرعت من تلك الدويلات الارامية الاخيرة ولبقاياها حتى الان الذين منهم الان طائفة السريان الكلدان والسريان الاشوريين والسريان الموارنة والسريان الارثوذكس والسريان الكاثوليك وهم فضلاً عن انتشارهم بكثرة في اوطانهم الاصلية فانهم منتشرون ايضا بكثرة في الهند وايران واذربيجان وتركيا الحديثة وبعض البلاد الاوروبية والاميركية. والروابط القومية بين هذه الطوائف هي اللغة السريانية والثقافة الدينية المسيحية القائمة عَلَى فضيلة الايمان بالله والمحبة للانسان والعيش المسالم اينما حلوا ونزلوا، ووجوب

الموالاة والطاعة للسلطات الحاكمة في موطن اقامتهم مهما كان نوع الحكم السياسي.

ويمكننا من الاستدلال بتاريخ العالم المدني بان شعوبا وامما كثيرة ظهرت عَلَى مسرح الوجود ثم انقرضت دون ان تترك لها اثر مدنيا ذوشأن لخدمة وفائدة البشرية ومدنيتها. اما الامة السريانية فمنذ ان ظهرت عناصرها في الحياة وتكونت شعوبها وممالكها ودولها، في المدة الممتدة منذ فجر التاريخ الى الان ما زالت تداوم في خدماتها الصالحة للبشرية ومدنيتها بشتى الوسائل وخاصة عن طريق الدين والثقافة رغم مجابهتها الازمات والصعوبات الزمنية التي اجتاحتها وتجتاحها في اطوارها ومراحلها الانتقالية في جهاد الحياة وكفاها فخراً لكون ثقافتها هي الركن العظيم والمخلّد للمدنية العالمية وبالتأمل ايضا في تحفها التاريخية التي لا تعد ولا تحصى، وفي اثار معالمها العلمية والفنية المتفرقة والمنتشرة في جميع انحاء العالم يمكننا ان نعلم كيف ان هذه الامة في جميع ادوارها التاريخية واطوارها الانتقالية، سواءاً اثناء صعودها وارتقائها الى اعلى قمم مجدها الزمني او اثنا انحدارها الى اوضاعها الطائفية الحاضرة تمكنت من المحافظة عَلَى كيانها السرياني. وقدّر لها ان تجاري سير الازمان والاوقات المختلفة بقوة فاعلية حكمتها وثقافتها الدينية والمدنية. وهي تقدّم دون انقطاع خدماتها للانسانية ومدنيتها التي منها نشأت وثبتت نواميس وانظمة الاديان الالهية العليا لخدمة جميع الامم المتحضرة والغير متحضرة؛ اما النزعات الداخلية والحروب الاهلية او اسباب الانقسامات والانفصالات فيما بينها فقد كانت طبيعية، تطرأ عَلَى الامة السريانية كما تطرأ عَلَى غيرها من الامم، إما بتأثير التطورات الداخلية

او بتأثير العناصر الخارجية، او بموجب سنّة التطور. فان كل امة لهي عرضة لذلك كلما طال امد وجودها. وبالأحرى كلما طال عمر الامة تعددت الاسباب المؤاتية لتلك الاحوال المقلقة والمزعجة الاوضاع كما هو شأن الامم العظيمة عبر التاريخ منذ البدء والى الان.

ومن المعلوم ايضا بان العقائد الدينية تتكون عادةً من الاراء والافكار والنظريات المتعددة، الى ان تنشأ منها الانظمة والنواميس الدينية لهداية البشر. هكذا ايضا ظهرت في البيئة السريانية وثقافتها الدينية العامة، الاديان الالهية المتعددة، من مجموع اراء وعقائد الاديان السريانية التي صارت مصدرا للاديان الالهية المعروفة. وثم بفعل التطورات الزمنية ونوعية حياتها الاجتماعية تولدت من تلك الاديان انواع العقائد والمذاهب الجديدة والنظريات الدينية التي تجمعت حولها، انواع الطوائف والشعوب والدول الى ان انقسم سير المدنية العالمية القديمة الى مراكز نفوذ هامة هي السريانية العامة في الشرق بما فيها من النصرانية والاسلامية. وفي الغرب الارثوذكسية والكاثوليكية. اللواتي نعلم بانها كلها وفي مجموعها تولدت في ادوار مختلفة من الثقافة الدينية السريانية القديمة العهد والتي تعود في اصلها الى المدنية السريانية السابقة لكل المدنيات، في تكوينها ونضوجها والتي كانت عادة تتجه في غاياتها ومراميها الى توحيد الحياة الاجتماعية تحت إمرة إله واحد هو اله الحياة او الله تعالى المعبود والمسجود له، لاجل الوصول او البلوغ الى افضل اساليب الحياة الصالحة والمفيدة للانسان اينما كان عَلَى سطح البسيطة. ومن المقابلة بين منطقتي الشرق والغرب نرى بان الشرق السرياني توقف جزئيا عن سير التقدم المدني في القرون الاربعة عشر الاخيرة لسبب

تعرض الاوطان السريانية دوما لهجمات الغزاة من كل الجهات الذين كانوا يعيشون في الارض فساداً. ولسبب كثرة الفتوحات الهائلة وحروبها الهدامة المتأتية من المطامع البشرية. ويمكننا ان نستنتج من سجلات الوقائع التاريخية بانه منذ زوال مجد اثور وبابل حتى الان كانت قد صارت الاوطان السريانية بما فيها من سوريا ولبنان وفلسطين والاردن والعراق واقسام من بلاد فارس وتركيا الحديثة او اسيا الصغرى، مسارحا لحروب متوالية واهدافا جذابة للناهبين والسالبين والمخربين حتى التهمت المطامع البشرية معظم مظاهر عمران وجمال المدنية السريانية في الشرق. اما في الغرب الاوروبي فان نسبة تلك الغزوات والحروب كانت اقل منها خرابا مما في الشرق، اذ استطاع الغرب من تنصير البرابرة وادخالهم الى حظيرة النصرانية. ولذلك اتيح للمدنية العالمية في الغرب ان تواصل سيرها نحو التقدم المدني الصالح باستمرار الى ان طفحت ثمار نتائجها الصالحة وامتدت فوائدها الى القارات الاميركية متخذة من العالم القديم، وخاصة من القارة الاوروبية نقطة انطلاق لنشر معالم المدنية الغربية الى باقي اقطار العالم وللبلوغ بالبشرية الى افضل مناهج حياة اجتماعية وانقاذها من مخالب الدمار والهلاك. هذا بينما بقيت المدنية الشرقية في غفلتها الطويلة مئات السنين متأخرة عن اختها المدنية الغربية التي ايضا كانت قد نمت ونشأت وازدهرت عَلَى ركن المدنية والثقافة السريانية القديمة العهد. ومنذ سقوط دولتي اسور وبابل تضعضعت الاوطان السريانية اجمالا وتوقفت عن سيرها المدني وذلك لاستنزاف الغزاة والفاتحون الخوارج معظم ما كانت قد جنته الامة السريانية من ثمار مدنيتها واستهلكوها تاركين امامها وامام ابنائها المنهوكي القوى فجوة زمنية

كبيرة ومظلمة مشت فيهـا عبر التاريخ وهي تقدّر اجمالا بمدة الخمس والعشرين قرن الاخيرة. وبالرغم من كل تلك الاوضاع الزمنية السيئة فان االتقدم العلمي والازدهار الثقافي عند السريان لم يقف كليا عن مسيره التام وانتشاره بين الامم بل انه استمر جزئيا عَلَى طريق الانتاج والتقدم منذ ايام نبوخذنصّر ملك بابل ودام الى اواخر القرن العاشر ميلادي.

ويظهر لنا مما سبق من البحث بان الانتاج الديني العالمي الذي افاد العالم مدنيا قد كان منذ البدء مستخلصا ومأخوذا من عصارة الثقافة السريانية الدينية والتي بها توجهت البشرية ومدنيتها للحصول عَلَى حياة مدنية سعيدة عن طريق المسالمة. ومن الاعتقاد السائد بانه حتى الآن لم تظهر اي امة أُخرى غير الامة السريانية قُدر لها ان عاشت هكذا طويلاً وتمكنت من ان تنتج من خلال ثقافتها عدة اديان مثالية ذات اهمية صالحة لخدمة البشرية وتقدمها. وبكلمة أُخرى يمكننا ان نستنتج من هذه البحوث التاريخية بان الاديـان الالهية الهامـة مع معظم انظمتهـا ونواميسها هي وليدة الثقافة السريانية الدينية بحكم فائدتها وقدميتها وسمو اهدافها الدالة عَلَى وجوب الاعتقاد بتوحيد العائلة البشرية عن طريق العلاقات والروابط الحسنة بين البشر، وتسيير انظمة حياتها الاجتماعية معززه بقوة وفاعلية الايمان باله واحد احد هو الله الاب، الـذي يُعتبر مصدر كل حيـاة ومحب للبشر، الذي عنه تصدر القوات الصالحة لحسن ادارة الكون، والكفيل لخلاص البشر من مخاوف الابادة والهلاك. وما زالت حتى الان تستنير البشرية بشعاع الرجاء والامل في حياة ابدية مستمدة من نور ثقافة الاديان الالهية التي عليها تقوم وتثبت قوة الاعمال الصالحـة لفائدة البشريـة ولمداومة واستمرار التقدم المدني في العالم كله.

وقد نلاحظ من البحث بان الامة السريانية من حيث السيادة العالمية والسلطة الزمنية قد سبقت وسارت في مراحل الصعود حتى بلغت الذروة في قنن السلطة والمجد الزمني، قبل الاف السنين في العصور والازمنة السابقة للنصرانية. كما وانها وُجدت نشيطة وعاملة ايضا اثناء مراحل الانحدار منذ خمس وعشرين قرن خلوا. وبينما بقيت هذه المدة الاخيرة الانحدارية في ذاكرة ومخيلة البشرية فان العالم اخذ يتناسى مدة مجدها السابق لاختفاء المعلومات بهذا الخصوص في طيات الارض او تحت اطباق خرَب المدن السريانية التي لم تعلن للعالم إلا بعد اواسط القرن التاسع عشر ميلادي والتي لما ظهرت حيَّرت عظمة مكتشفات تصاميمها المدنية عقول وألباب الاجيال الحاضرة وبمجرد القاء نظرة عَلَى الوضع الحاضر نرى ان رغم كل تلك التطورات الطويلة الامد ما زال قسم كبير من الامة السريانية قائما ومثابرا في حياته القومية المحافظ عليها بشكل طوائف وملل دينية، اسوة بكل الامم العظيمة التي بعد ان فقدت مجدها وسيادتها الزمنية انحدرت الى الانظمة الطائفية كاليونان مثلاً، الذين بعد ان تكونت امتهم من عدة شعوب اغريقية متنازعة فيما بينها، ارتفعت وارتقت الى اعلى مراكز العظمة الزمنية والسيادة العالمية بعد الامة السريانية بفضل بسالة فيليب المقدوني وجهود ابنه اسكندر في القرن الرابع (قم) ثم انقسمت عَلَى ذاتها بعد برهة وجيزة من الحكم والمجد الزمني بالنسبة الى مدة مجد السريان الطويلة الامد ورضخت لحكم وسلطة الرومان وغيرهم، واندمج كثيرون منهم في عناصر أُخرى كالرومان والعرب والاتراك وغيرهم وانتحلوا اسماء طائفية متعددة ومتنوعة بدلا من الاسم اليوناني والاغريقي فقط. وهكذا ايضا كان مصير الامبراطورية الرومانية التي

نشأت حول مدينة روما واتحدت معها الشعوب اللاتينية في ايطاليا وتمتعت بامجادالعظمةوالسيادة العالميةلبضعة قرون٠ ونظيراليونانوالسريانوالاغريق انحدرت هي ايضا نحو الانحلال والانحدار وانقسمت الى عدة دويلات وممالك، ومن ثم الى عدة شعوب وطوائف دينيةكبيرة وصغيرة منتشرة الان في اوروبا واميركا وباقي اقطار العالم المعروفة باسم «الشعوب اللاتينية الحديثة» او (الكنائس الكاثوليكية) المقيدة روحيا بسلطة بطاركة او باباوات روما وقل هكذا ايضا عن الامبراطورية العربية التي انقسمت الى عدة دول وطوائف اسلامية واكبر سبب انحلال الامم وانحدارها الى الضعف والانقسام الى ملل وطوائف دينية ناتج من تطور الحياة الاجتماعية العالمية، وانتهاك واستهلاك قوة الامة في مقاومة الغزوات الاتية من الخارج كالتي اتت في ادوار مختلفة ومتعددة عَلَى الامبراطورية الرومانية كما واتت من قبلها عَلَى امبراطوريتي السريان : الاشورية والبابلية٠ وقل هكذا ايضا عن امبرطوريات الفرس واليونان والعرب الذين جميعهم انحدروا الى مستوى دول وشعوب وطوائف دينية متعددة ومتفرقة٠

إلا ان الامة السريانية تمتاز عن غيرها بطول مدة وجودها وطول مدة حياتها الزمنية التي تزيد عن العشرة الاف سنة، وانتشار شعوبها وطوائفها بكثرة في جميع انحاء العالم، وقدمية ثقافتها المنتشرة الان بين جميع الامم وشعوب الارض مما جعل منها خميرة صالحة للمدنية العالمية وركنا سرمديا لثقافة البشرية مع بقائها بكثرة في اوطانها الاصلية بشكل طوائف وملل واقليات دينية متعددة يُقدر عدد انفسها بنحو اربعة ملايين من الناطقين باللغة السريانية والمتمسكين بعوائد وتقاليد مدنية الاباء والاجداد المتوارثة٠ وبقاءها هذا الطويل الامد لدليل قاطع عَلَى وفرة

غناها الثقافي والمدني مدى الاف من السنين بينما مجموع مدة بقاء جميع دول الامم اللاحقة للسريان، كالفرس واليونان والرومان والعرب والاتراك بلغت حتى الان نحو الفين وخمسمئة سنة فقط.

وبناء عَلَى كل هذه التطورات التاريخية التي اجتازتها الامة السريانية سواء كان بشكل عشائر وقبائل او بشكل شعوب وممالك او حتى بشكل عدة دول وامبراطوريات انحدرت الى شكل نظام دويلات منقسمة ومن ثم الى طوائف دينية متعددة فان معظم علماء التاريخ المعاصرين بعد الدرس والبحث والتدقيق اجمعوا الرأي والاعتقاد بانه من حقيقة واقع مجهود الامة السريانية وشعوبها تفجرت اولا اعجوبة الثقافة والدين والمدنية العالمية لخير وفائدة الانسانية وبهمتها، تم سير وانتشار فوائد هذه العجائب الثلاث لكل العالم، وخاصة باستنباطها واختراعها فنون الخطوط والكتابة باقسامها الثلاثة وهي : الكتابة الصورية او الرمزية والكتابة الاسفينية واخيراً الكتابة او الاحرف الابجدية التي بها تمكن العالم من ان يجمع ويختزن معالم الحكمة البشرية، لتسيّرها في سبل تقدم الحياة الاجتماعية والمدنية الصالحة في كل الازمنة لاجل اسعاد الانسان وهنائه وحصوله عَلَى اجود وافضل نواميس او اساليب للعيش الهني عَلَى وجه الارض ولاحياء الامل بالتمتع بغبطة وسعادة روحية ابدية، التي برجائها تقوم الاديان الالهية.

وبمفعول هذه العقائد وما يماثلها تكونت اسباب اقسام او عناصر وشعوب الامة السريانية ودولها وحكوماتها النظامية وبها سارت نحو مجد العظمة الزمنية الذي اكتسبته لاجيال عديدة. وثم بحكم التطورات والتقلبات الزمنية التي كان لا بد منها واختلاف الاحوال الداخلية

والخارجية، وانحلت تلك العظمة الزمنية وانفرط عقد مجدها تدريجيا الى ان انقسمت الامة الى دويلات تحت سيطرة الغير وثم الى طوائف دينية. وهي ما زالت منتشرة ومشتتة داخل اوطانها الاصلية في الشرق الاوسط بشكل طوائف محافظة عَلَى كيانها بشتى الوسائل العلمية والثقافية. واشهر طوائفها الحالية : السريان الكلدان والسريان الاشوريين والسريان الموارنة والسريان الارثوذكس والسريان الكاثوليك الذين كانوا قد لقبوا سابقا بانواع الالقاب الغير القومية مثل النساطرة والملكيين اليعاقبة والكويتله وغيرها. واما الان فانهم يُعرفون اجمالا باسم «السريان» لانتمائهم جميعا الى الارومة السريانية التي اتت للوجود منذ الوف السنين. ولنفس هذه الاسباب فان كل طائفة من هذه الطوائف السريانية الخمس ما زالت مصرّة عَلَى تعريفها باسم «السريان» كنسيًا لكونهم من بقايا قدماء السريان دينيا وقوميا. ولذلك يدعون الان باسم كنيسة السريان الكلدان وكنيسة السريان الاشوريين وثم كنيسة السريان الموارنة وكنيسة السريان الارثوذكس وكنيسة السريان الكاثوليك. وذلك لانه اثناء فجر النصرانية او قبل ان تحصل التفرقات الدينية التي تولدت منها الطائفية فقد كانت بمجموعها معروفة باسم الكنيسة السريانية التي تعني المجتمع السرياني كما كان الشعب ايضا معروفا باسم «الشعب السرياني» والتي كانت كلها تعرف باسم كنيسة المسيح لانه بالمسيح أُعلنت للملأ فضائل الثقافة الدينية السريانية وباسمه لُقّبت تلك التعاليم الموروثة والمقتبسة اصلاً من الثقافة الدينية السريانية الناضجة والمثمرة فان المسيح كانسان ربي ونشأ وترعرع ضمن المحيط السرياني في الجليل وليس في اليهودية، حيث حاول اصلاح اليهود ونواميسهم المحدودة

بتطبيق فضائل الثقافة الدينية السريانية القائمة عَلَى السلام والمحبة والاخاء بين كل البشر دون استثناء والتي هو نفسه جرّبها وطبّقها عَلَى ذاته. وبما ان المسيح كان يتكلم اللغة الارامية السريانية، فان منشأه او تربيته البشرية وثقافته الاعتيادية ايضا كانت بلا شك طبقا لتقاليد وتعاليم الثقافة السريانية الرائجة آنئذ في محيط منشأه وتربيته البشرية. لذلك نعتقد ونؤكد بان المسيح لم يكن بحاجة ليتلقن تعاليمه المدهشة خارج اوطانه السريانية كما باطلاً يظن بعض المدعين القائلين بانه اقتبسها في الهند او في بلاد اليونان حيث لم توجد مثيلاً لتعاليمه بل والحقيقة انه اقتبسها اعتياديا ووراثيا من محيطه السرياني في الجليل حيث قضى معظم سنيّ حياته عَلَى الارض، وحيث وجدت تلك التعاليم منذ الوف السنين، في ذلك المحيط الذي كان مشبعا وموشحا بتعاليم الفضائل الحسنة الناجمة عن الثقافة الدينية السريانية والتي ما زالت حتى الان تقوم بمثابة ركن ابدي للمدنية والثقافة العالمية التي بموجب تأثيرها يسير تطور الحياة الاجتماعيه العالمية ومدنيته الحالية.

يمكننا ان نستنتج بالايجاز، مما ذكر هنا، بان تكوين الامة السريانية وتطورها اثناء العشرة الاف سنة المنصرمة، كان قد تم من تجمع وتجمهر واتحاد عناصر بشرية متقاربة ومتشابهة، او من عدة عشائر وقبائل وشعوب متآخية، التي تطورت اثناء نمو وازدياد مواريثها وارتقت الى انظمة ولايات ودول وممالك وامبراطوريات منظمة، وثم انقسمت وانحدرت الى مستوى دويلات وممالك صغيرة التي تطورت اخيراً الى اقليات او طوايف متآخية وكنائس دينية، منها الان كنيسة طائفة السريان الكلدان، والسريان الاشوريين، والسريان الموارنة، والسريان الارثوذكس، والسريان

الكاثوليك، التي بمجموعها ما زالت تدعى باسم الامة السريانية او طوائف الامة السريانية·

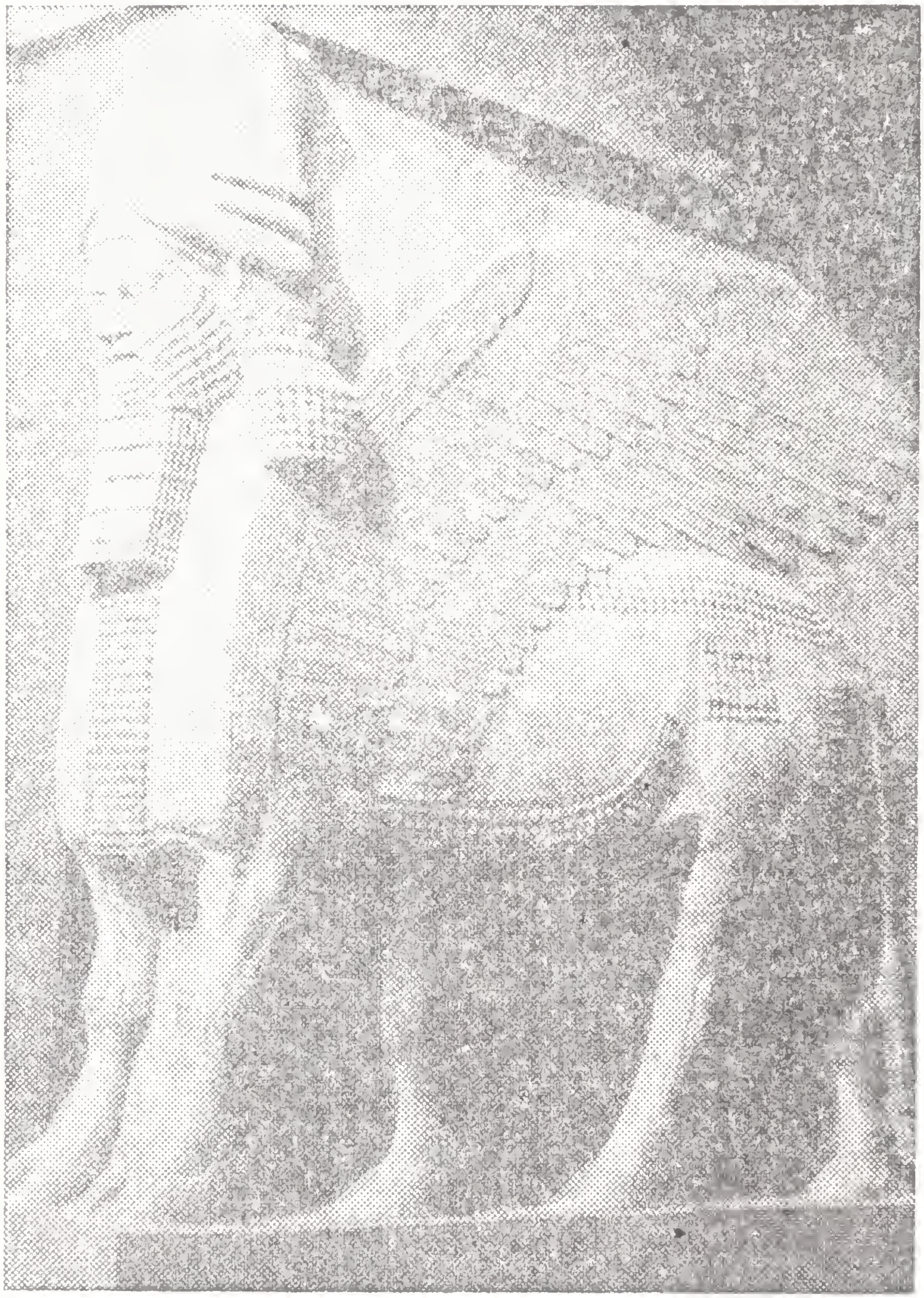

(الثور المجنَّح، الذي يرمز الى العناصر الرئيسية القوية الاربع وهي : الاسد والثور والنسر والانسان، التي صارت فيما بعد رموزا للاناجيل الاربع، متى ومرقس ولوقا ويوحنا ـ راجع حزقيال)

المقالة الرابعة

وضع السريان الحالي

ان الامـة السريانيه في اثنـاء سيرها الطويل في مراحل حيـاتها الاجتماعية المشار اليها وتطور حياتها الاجتماعية ثقافيا ومدنيا نحو التقدم بموجب سنّة النمو والتكاثر، واجتيازها من انظمة القبائل والعشائر الى انظمة الشعوب والممالك، ومن ثم الى انظمة الدول والامبراطوريات ذات الحكومات المركزيـة خلال الثمانية الآف سنة الممتدة من ختام العصور الحجرية الاخيرة والمنتهية في ازمنة انهيار دولتي اثور وبابل، كانت قد اوجدت من حكمتها الطبيعية وتقاليدها الموروثة، ثقافـة جيدة وصالحة، ومدنية مثالية فاضلة نمت واصبحت مدنية شاملة للبشرية وركنا ابديا للمدنية العالمية التي بموجبهـا وعَلَى غرارها انتظمت مـدنية معظم شعوب الارض وامهما وخاصة الامم القديمة المجاورة والمحيطة بالاوطان السريانية، حتى تكونت ونشأت من مجموعها، بل وانتظمت منها المدنية العالمية الحالية. وفي خلال الثلاثة الاف سنة السابقة لظهور النصرانية، وخاصة في عهد عمورابي، بلغت هذه الامـة نضوجا ثقافيا، انارت بـه المدنية العالمية فأمّنت بذلك بقاء كيانها في الحياة الدنيوية اثناء تطورها واجتيازها مراحلها الاخيرة العسرة، طوال مدة الالفي والخمسمئة سنة اللاحقة لزوال مجدها وانهيار سلطانها الزمني في اسور وبابل مركزي قوتها وقوة سائر اوطانها. وفي تلك المدة الاخيرة المشار اليها انقسمت الامة وانحدرت من نظام عظمتها الدولية، او كونها الدولة العالمية الاولى والكبرى، الى نظام الولايات

الصغرى او الدويلات الارامية الاخيرة، ومن ثم الى نظام الطوائف والاقليات او الملل والكنائس الدينية المنتشرة الان بكثرة في الاوطان السريانية القديمة• وفي غيرها من بلدان الاقاليم والاصقاع العالمية القريبة والبعيدة التي كالجواهر تتلألأ بين مدنيات العالم الحاضر، وهم بذلك قد اصبحوا اكثر انتشاراً من بني اسرائيل بعد خراب اورشليم سنة ٧٠ ميلادية• ومع كل التطورات الزمنية المذكورة هنا واختلاف ادوارها النظامية، فما زالت حتى الآن محتفظة بلغتها وكيانها وعنصريتها السريانية، بل وهي لم تزل قائمة كأمة حية ذات عناصر ثقافية فعالة في المدنية العالمية، مكونة من جماعات وطوائف دينية ومدنية مسالمة وحائزة عَلَى رضى الحكام الزمنيين في كل مكان وجدت به•

ومنذ نشوء هذه الامة وسيرها في جميع مراحلها الحيوية كانت تبني مدنيتها عَلَى العقيدة والاراء التي تؤدي الى الايمان بالوحدة الالهية ووحدة البشرية وتعزيزها بالمحبة البشرية والمحبة الالهية من اجل تأمين سير حياة الانسان في نطاق السعادة والامن والسلام• وتأمين حفظ الانسان ومدنيته بعيدين عن اخطار الابادة والزوال• ونظرا لوضعها الاخير الذي به انحدرت الامة من مراكز مجدها الزمني الى الاقسام الطائفية بعد نضوجها الثقافي، فقد تفجرت تلك العقائد الدينية المنبأة بالخلاص الالهي للبشرية في تلك الاونة الاخيرة، وأُعطيت للعالم بشخص يسوع الناصري وتعاون اتباعه او تلاميذه الجليليين الذين هم ايضا كانوا قد نشأوا في جليل الامم او الشعوب الارامية ضمن الثقافة الدينية السريانية، وهي الثقافة المتوارثة حتى الان بين ناطقي اللغة السريانية باسم سوريوتا لانبثاقها من اعماق الحكمة السريانية وحياتها الاجتماعية التي هي بدورها قد تطورت

واصبحت معروفة باسم الثقافة المسيحية او النصرنية لظهورها بواسطة يسوع المسيح او يسوع الناصري، وريث الثقافة السريانية وربيبها.

إن مثل هذه العقائد الدينية العامة والصادرة اصلاً من الثقافة السريانية التقليدية قد أمَّنت بقاء الكيان السرياني طويلاً حتى الان في الحياة لمدة تزيد عن العشرة الاف سنة خلت. وهي مدة حياة لم تبلغها حتى الان في دوامها وبقائها اي امة من امم الارض، مهما بلغت في القِدم كما وانها هي التي امَّنت بقاء العناصر السريانية ولغتها السريانية حتى الان لخدمة البشرية عامة بعد ان اصبحت ركنا للمدنية العالمية.

وبناء عَلَى ما تقدم فقد بيّن علماء التاريخ ومعهم علماء انظمة الحياة الاجتماعية بأن كل امة تبلغ في مستوى حياتها ذروة المجد الزمني وثم ذروة الغنى والبذخ والترف والرخاء تتعرض اجتماعيا وسياسيا، انظمتها الادارية العامة الى الضعف والانهيار والانحلال، لسبب ميول وانحراف روءسائها الى حياة الرخاء والخمول ثم تنهار انظمتها السياسية فتتدهور الامة معها الى هوة الابادة والزوال ثم تصبح غنيمة باردة لغيرها من القوات الخارجية التي تفاجئها منقضة عليها ابَّان غفلة رؤسائها او مدبريها. وهذا ما تخشاه الان معظم الامم الراقية التي بلغت في مستوى حياتها اعلى درجات التقدم المدني والتنعم او البذخ والرفاهية، كما حدث سابقا لشعبي الامة السريانية: السريان الاشوريين والسريان البابليين؛ ولغيرهما من الامم القديمة (كاليونان والرومان الذين انتابهم الضعف والخور فخسروا المجد الزمني العظيم عندما مال ملوكهم واسيادهم نحو حياة البذخ والترف) التي فقدت حريتها وحرية اوطانها، ومعها فقدت سيادتها وزعامتها العالمية، ذلك بينما كانت تتمرغ في حمأة البطر

والرفاهية؛ كان الاعداء يجتاحون اوطانها من كل النواحي· كما جرى لبابل عندما وقعت في قبضة الفرس وحوزتهم اذ كان ملكها بلطشاسر محتفيا بعظماء الدولة لعدة ايام الى ان غافلها الاعداء ووقعت بابل غنيمة سهلة بيد قوروش الفارسي· وشمل ذلك، سقوط وانهيار سائر مراكز قوة الامة واوطانها الى ان اصبحت عرضة لفتوحات واجتياحات الغزوات المتواصلة من الخارج البعيد ومن الجوار القريب، او من مادي وفارس من الشرق واليونان والرومان من الغرب وغيرهم من الامم المجاورة من الشمال والجنوب· واصبح صرح المدنية السريانية بمعظمه خربا واختفت بقاياه كتحف للبشرية تحت انقاض بلاد الشرق الاوسط ومنذ نحو الخمسمئة سنة السابقة لفجر النصرانية، وحتى الان لم تعد هذه الامة قادرة عَلَى استرجاع نشاطها القومي ولا استعادة كامل حريتها لتستطيع النهوض بعناصرها واسترداد سلطتها، كما كانت قد فعلت ذلك قديما في عدة مناسبات سابقة لانهيار نينوى وبابل، إذ فضت اثنائها عَلَى الخوارج كالحثيين والكوشيين والسكوتيين وغيرهم ممن غزوا البلاد واستولوا عليها· واما بعد ذلك او اثناء الحقبة الاخيرة كان قد تحول كل اهتمام الامة الثقافي للخدمة والمصلحة الدينية العامة رغبة في تحسين قلب المدنية العالمية، ولتسيير البشرية في طريق التقدم المدني عن طريق الدين او بقوة عقيدة الايمان بالمحبة البشرية المنوطة بالمحبة الالهية حسب ظن أئمة الدين بانه بمثل تلك العقائد قد تنعم البشرية ومعها تنعم الامة السريانية· ويدوم سر كيانها في مضمار الحياة بشكلها الطائفي رغم تجردها من القوة الزمنية ونظام ملكيتها· وبفاعلية ذلك الايمان تسربت فوائد الثقافة السريانية

الدينية الى جميع شعوب الارض وامها كما جرى في سابق عهدها واصبح عونا لها لحفظ الكيان السرياني من الاندثار والزوال التام٠

وبما ان انظمة الامة السريانية المدنية والاجتماعية كانت قائمة عَلَى القوة الزمنية والدينية او الروحية المنحصرة في ملوك واباطرة الدول السريانية، اعني ان رئيس الدولة او الملك السرياني كان قديما ملكا سياسيا وحبرا دينيا، وبانهيار الدولة وزوال الملوكية المخصصة لرئاستها وادارتها الروحية والثقافية احتفظت الامة بالرتبة الكهنوتية المخصصة٠ وبما انه جرت العادة قديما ان يشغل الرتب الكهنوتية و المراكز الدينية، رجال العلم والادب والثقافة، بديهيا احتفظت الامة بثقافتها بواسطة الكهنة ورجال الدين٠ وبالرغم من اختلاف تلك الاحوال السياسية وتقلبها من سيء الى اسوأ لسبب فقدان حريتها وسيطرة الحكام الاغراب عليها، فان الامة السريانية بفعل تكتلها ثقافيا حول السلطات الكهنوتية او السلطات الروحية تمكنت من ان تدوم وتعيش حتى الان وان تحافظ عَلَى كيانها وتقيه من الابادة بقوة ثقافتها الدينية، وبالرغم من انقسامها الى طوائف وملل دينية وذلك لانها كانت تطبق فوائد ثقافتها عَلَى عقلية الحكام الخوارج ايضا للحد او للقضاء عَلَى الظلم والاستبداد الممقوتين٠ ولكي يتساوى الحاكم والمحكوم في الحياة الارضية امام الله الاب، كانت الحكمة السريانية تلقّح وتحسّن تفكير وعقلية الشعوب والامم المعاصرة لها بواسطة ثقافتها الدينية التي كانت تهدي وترشد الى محبة الله والقريب٠ والتي تم انتشارها باسم الديانة النصرانية ولذا توفقت بانتشارها بين اليهود واليونان والفرس والرومان والعرب والاحباش حتى امتدت الى جميع اقاصي الارض٠ بيد انه لدى اختلاطها وامتزاجها بنظريات ومعتقدات الخوارج وتغلغلت فيها

السفسطة اليونانية ومقاصد ومآرب الاهداف والغايات اليهودية الخاصة متعرضت بعض العقائد الدينية للتشويش والفوضى وسببت الانقسامات الدينية في العصور الاولى للنصرانية حتى تولدت منها، داخل الامة عناصر وطوائف دينية شتى معارضة ومناوأة بعضها لبعض، فاختلفت تلك العناصر وانقسمت عَلَىٰ ذاتها واحدث بينهم التشويش والجفاء والابتعاد ثم الانفصال عن الامة والالتجاء والاندماج في عناصر أُخر غير سريانية. وبتكرار مثل هذه الحوادث والاحوال فقدت الامة تدريجيا قواها الزمنية واستولى عليها الضعف والانتهاك. الامر الذي ارغمها الى الالتجاء الى انظمة الطوائف والتكتل بشكل الكنائس والبيع والاحتماء بالثقافة الدينية.

الا انه منذ فقدان الامة سلطتها الزمنية وتمسكها او تكتلها حول السلطة الروحية بانقيادها الى نفوذ سيادة وسلطة كهنتها وارشاد علمائها للسير في مضمار الحياة الاجتماعية لتتمكن من مقاومة ومجابهة الصعوبات الزمنية وذلك بممارسة الفضائل الدينية الحسنة فقد تحوّل كل دأبها ومجهودها للروحيات او الاداب والعلوم وشتى انواع الفنون الجميلة، فانجبت خلال تلك العصور اللاحقة لفجر النصرانية رهطا كبيرا من العلماء والمثقفين الذين تمكنوا باساليبهم العلمية ان يحافظوا عَلَىٰ إحياء الكيان السرياني وبقائه الى اليوم. وبه حملوا ثمار المدنية الفضلى الى كل اقطار العالم. وهكذا دام سير الامة السريانية من جيل الى جيل رغم الصعوبات والتقلبات الزمنية التي كانت تتعرض لها في كل حين.

ومن الجدير بالذكر ايضا بانها منذ فقدانها حريتها الزمنية في العصور السابقة للنصرانية، كانت قد تحولت الامة السريانية واوطانها الى مجتمع ثقافي ديني عظيم يتصف ويتشح بممارسة الفضائل الحسنة

والمسالمة القائمة عَلَى عقيدة المحبة البشرية او محبة القريب، مهما كان جنسه وعنصره ولونه، تلك المحبة التي ظهرت للملأ بدعوة وبشارة يسوع الناصري الذي نشأ وتربى في المحيط السرياني في ناصرة الجليل وليس في اليهودية، حيث اراد تطبيقها عَلَى شخصه. وان يجعل من ذاته اية ومثالا في التضحية لهذة العقيدة، فقبل راضيا ان يُرفع مصلوبا عَلَى خشبة المحبة البشرية وصخرتها امام اعين البشرية. وهكذا تعمَّق السريان وتمادوا في تطبيق الفضائل الفدائية الحسنة بذاتهم في سبيل المحبة البشرية وتنظيم الحياة الاجتماعية العالمية عليها واثباتها وتركيزها عَلَى الفضائل والمآتي الحسنة للبلوغ الى مدنية صالحة وفاضلة الى ان نسوا بل واهملوا حريتهم الزمنية الخاصة بهم وحرية اوطانهم المفقودة، ولم يفكروا باستعادة واسترجاع ادارة سلطتهم الزمنية وسيادتهم الخاصة بهم التي كانوا قد فقدوها منذ عهد انهيار مجد دولهم في اسور وبابل ودمشق، ذلك لان كل اهتمامهم كان قد تحول للتوجيهات الدينية والروحية، لتسيِّر العالم عَلَى نور وهدى الثقافة الدينية والتي بواسطتها يمكن للانسان الامتناع عن ارتكاب الخطيئة وممارسة الشر، فينجو من الهلاك. وعَلَى غرارهم يسير ابناء الطوائف السريانية حتى الان اينما كانوا سواء كجماعات او كافراد، ويبذلون اقصى جهودهم للقيام بالاعمال الخيرية مع اقامة المعاهد العلمية والثقافية المسيرة بتوجيه الزعامة او الرئاسة الدينية وهي عوائد تمارسها طوائف الامة منذ انحلال مجدها الزمني في اسور وبابل،

وهكذا نجد ان اثناء وصول الامة الى العصور الاولى للنصرانية، كانت قد اصبحت امة قوية وعظيمة المعنويات في الامور الادبية والدينية وفي التقدم المدني رغم كونها مجردة من قوتها او من سلطتها الزمنية.

وهنا صدقت فيها النظرية القائلة : «في الضعف قوة» والمقصود منها بان قيام الامة بحسن الثقافة وسمو الفضيلة كان كفيلاً لضمان حياتها ورغم فقدانها حريتها الزمنية للخوارج او قوتها السياسية الخاصة للاخرين.

عدا عن افواج وجماهير السريان الذين التحقوا واندمجوا تدريجيا في عناصر أُخرى مجاورة او حاكمة خلال الاف السنين بعد فقدان الامة مجدها الزمني من جراء الاوضاع الدينية والزمنية، وتغير الاحوال السياسية ما زالت توجد هنالك عدة ملايين من السريان المقيمين في اوطانهم الاصلية، موزعين في بلاد الشرق الاوسط بشكل ملل وطوائف متعددة امنة ومسالمة تتحلى بثقافة وراثية صالحة ومحتفظة بكيانها السرياني، لاحتفاظها باللغة السريانية بلهجتيها الشرقية والغربية، وتمسكها بتقاليد الاباء والاجداد ويقدّر عددهم باكثر من اربعة ملايين من الانفس، موزعون حاليا في بلاد تركيا وايران وبين الدول العربية الحديثة الممتدة من غربي ايران الى البحر المتوسط، عدا عن الملايين الاخر المشتتة في سائر الاقطار الشرقية والغربية. واما الملايين الاخر الذين تركوا الارومة السريانية فان معظمهم قد اسلم وتعرّب ومنهم تشكلت الان اكثرية شعوب الدول العربية الحديثة كالعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين، ومع ان الامة السريانية لا تملك قوة زمنية موحدة او انظمة حكومية ذات ادارة سياسية زمنية خاصة ترتكز عليها وتعيد وحدتها السياسية، فانها ما زلت حتى الان مدعومة وممتعة بقوة معنوية كامنة فيها تحيي ثقافتها التقليدية. وهي لاجل ذلك تُعتبر بمجموعها كأمة ثقافية حية وفاضلة، ومعترف بوجودها الطائفي في اوطانها وفي الخارج من قِبَل جميع السلطات الزمنية اينما حلت او وُجدت، ذلك لانها ما زالت تعمل وتنتج في حقل

الثقافة منقادة لسلطاتها الروحية المحلية المكونة من علماء وكهنة ورؤساء كهنة كالبطاركة والمطارين والقسوس والشمامسة وغيرهم من ذوي الرتب العلمية والادبية. ورغم عددهم الكبير الذي يقدّر مجموعه بما يناهز العشرة ملايين او اكثر في الاوطان السريانية وخارجها، فانهم لا يشكلون وحدة سياسية زمنية خطرة ذات اهمية تمس بسيادة الشعوب والامم النازلين بين ظهرانيهم، لانقسامهم الى عدة طوائف وملل دينية مسالمة. ذلك لان كل فرد منهم ينتمي سياسيا بواجباته الوطنية او بميوله السياسية الى خدمة دولته المحلية او وطنه ومحل اقامته. فالسرياني المولود في العراق مثلاً يعتبر ذاته كمواطن عراقي مخلص وهكذا المولود في سوريا كمواطن سوري وفي لبنان كلبناني وفي الاردن كاردني وفي فلسطين كفلسطيني، وهكذا دواليك طبقا للازمنة السابقة حيث كان السرياني في العراق اما بابليا او اسوريا، وفي سوريا ولبنان والاردن وفلسطين كان السرياني اما اراميا او كنعانيا او فينيقيا. وعَلَى هذا النمط كانت الامة السريانية عامة كالاشوريين والبابليين (او الكلدانيين) والاراميين والكنعانيين والفينيقيين الذين كانوا اعضاء متعددة في جسم الامة السريانة، تشدهم اليهـا اواصر الاخاء والتشابه الديني واللغوي والثقافي والعنصري والتقليدي. وذلك نظير شعوب الدول العربية الحديثة المنوه اليها والتي تربطها الان بالامة العربية اواصر الدين والثقافة واللغة العربية.

ومنذ زوال مجد اثور وبابل او في خلال الخمسمئة سنة السـابقة لفجر النصرانية كانت الامة السريانية قد انحدرت الى انظمة الولايات والدول الصغرى تحت حكم الخوارج ومنها نشأت الدويلات الارامية المكونـة من عـدة دول وحكومات مركزية او الممالك الصغيرة،

الاخيرة مثل دولة حدباب والحطرة، ودولة الرها وحران ودولة تدمر (او بلميرا) ودولة الانباط التي منذ عهد اواخر الحكم الروماني او اوائل الفتوحات العربية الاسلامية انحدرت جميعها من انظمة الدويلات الارامية الى انظمة الطوائف الدينية والملل السريانية• وبالرغم من ان اللهجة الارامية كانت قد تغلبت عَلَى جميع اللهجات السريانية الاخرى• واندمجت فيها فان التسمية السريانية عادت واصبحت شاملة لكل البقايا والعناصر القديمة التي منها تشكلت الامة السريانية قاطبة; وهكذا بحكم الدين المسيحي فقد دعيت اخيرا مجموع بقايا السومريين والاكاديين والبابليين والاسوريين والكنعانيين والفينيقيين باسم السريان Syrian المحرف من اسّريان Assyrian بالرغم من انهم كانوا يتكلمون الارامية عَلَى اختلاف لهجاتها ونقول عَلَى اختلاف لهجاتها ذلك لان الارامية المحكية في بابل مثلاً كانت تختلف قليلا عن الارامية المحكية في لبنان والارامية المحكية في جبال اثور او طور عابدين الحالية، كانت تختلف نوعا ما عن الارامية المحكية في الاردن وفلسطين• ونظير ذلك قد نجد الان في ازمنتنا هذه بان اللغة العربية الدارجة او المحكية الان في العراق تختلف عن اللغة العربية الدارجة او المحكية الان في لبنان واللغة العربية المحكية الان في اليمن والحجاز تختلف عن اللغة العربية المحكية في سوريا• ومرجع ذلك تأثير اللهجات السريانية القديمة او الارامية المتداولة الان بين الناطقين باللغة العربية عامة• وكما حلّت اللغة العربية في معظم اماكن اللغة السريانية فهكذا ايضا حلت اللغة الارامية سابقا محل جميع اللهجات السريانية القديمة كالبابلية والاشورية والكنعانية وغيرها

واندمجت فيهـا، وسببت تضخـم اللغة السريانية وتوسعهـا وهكذا غناها الثقافي ايضا.

وبالعودة في بحثنا هذا الى الازمنة المعاصرة لفجر النصرانية نجد ان التسمية السريانية المحرفة او المقتبسة اصلاً من لفظة او تسمية اشور والاشوريين او اسور والاسوريين كانت قـد عمَّت وشملت جميع نواحي الامة السريانية واوطانها. وفي العصور الاولى للنصرانية كانت قد تمت المعركة التسموية باستتباب الامر للتسمية السريانية. اما التسمية الارامية فانها دخلت في التاريخ واصبحت في خبر كان بعد القرن الثالث للميلاد رغم ان اصحاب هذين الاسمين : اشور وارام، كانا ابنين لسام بن نوح. ولما جاءت الفتوحات الاسلامية تعرب الكثيرون من هذه الاقوام واتخذوا الاسلام دينا. ولذلك سهـا بعض المؤرخين وادعى بان اهل الدويلات الارامية كتدمر والرها وحطرا والانباط والغساسنة كانوا عربا. وحقيقة الامر انهم كانوا اراميين من السريان قبل ان يتعربوا. وانمـا تعربوا لدى اعتناقهم الاسلام ومنهم ومن اعقابهم تتكون الان شعوب الدول العربية الحديثة في العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين. ولاجل فهم كنه عقلية هذه الشعوب العربية وحسن ادارتها يجب عَلَى ولاة امرها ان يدركوا عن كثب حقيقة وكيفية تلك التطورات الاجتماعية التي ينعتونها «بالجاهلية».

ومن مراجعة الماضي البعيد يمكننا ان نعلم بانه اثناء تطور الحياة الاجتماعية في الاوطان السريانية منذ ختام العصور الحجرية كانت تتولد تدريجيا من الفاظ الاقوام السريانية البدائية، لهجات متشـابهة ومتعددة تكونت من مجوعها اللغة الارامية او اللغة السريانية طبقا ووفقا للوازم تطورات الحياة المدنية وبداعي تفرق تلك الاقوام والعناصر في المناطق

الجنوبية لشبه الجزيرة العربية خرج منها فروع ولهجات متعددة عرفت باسم اللغات السامية الجنوبية كالعربية والعبرية والامهرية او الحبشية. ومن تلك التطورات اللغوية كانت تظهر وتتكون انواع النواميس الدينية والمدنية لتنظيم الحياة الاجتماعية بفضل جهود تلك الاقوام البدائية، فتولدت منهم جماهير بشرية متشابهة ومتقاربة في عناصرها ومذاهبها في الحياة التي من مجموعها ظهرت اولا العناصر السامية الشمالية وكوّنت الامة السريانية ومن ثم العناصر السامية الجنوبية وكونت العرب والعبران والاحباش. وايضا من العناصر الشمالية تكونت دول وشعوت وممالك كبيرة وصغيرة مع حكومات مركزية زمنية تحولت فيما بعد الى دول ودويلات، وثم الى ملل وطوائف وكنائس ومعاهد دينية سريانية باقية حتى الان. ومثلما تكونت الامة العربية الاسلامية اولا في اقاصي جنوب شبه الجزيرة العربية كالحجاز واليمن ومن ثم امتدت الى الاوطان السريانية في الشمال حيث كونت اولا دولتي الامويين والعباسيين اللتين بقيتا الى ازمنة الاتراك السلاجقة وانتهى سلطانها في اواخر القرن التاسع عشر ميلادي وخضعت مع بقية المواطنين من السريان العرب للنير التركي وثم للنير او الحكم العثماني حتى اوائل القرن العشرين الذي فيه تحررت وظهرت باسم الدول العربية الحديثة كالعراق وسوريا ولبنان والاردن، هكذا؛ ايضا صار من قبلهم مصير الدويلات الارامية التي ظهرت بعد زوال مجد اثور وبابل وتطورت الى كنائس دينية كما هي الان.

ومن المعهود والمعروف ان تلك العناصر البشرية البدائية التي منها تحدرت اولا قبائل وعشائر وشعوب الامة السريانية كانت منذ ختام العصور الحجرية او منذ نحو عشرة الاف سنة خلت، قد اوجدت لها

تدريجيا انظمة اجتماعية صالحة لحياتها وتطورت حسب تطورها الاجتماعي او المدني وبها اعتادت ان تحصّل رزقها وتجني قوتها الحيوي من زراعة وفلاحة الارض، ومن تربية المواشي والحيوانات الداجنة ومنتوجها، بدلا من الانقيـاد الى الفطرة والغريزة والاتكال عَلَى الصيد والقنص او الالتقاط، كما كان الامر اثناء العصور الحجرية الطويلة الامد· ولدى تقدم تلك العناصر البدائية في انظمة حياتها الاجتماعية كانت قد تكونت بهم وانتظمت الاسباب اللازمة لمأوى الانسـان وسكنه، لحفظه ووقايتـه من التشريد عَلَى وجـه الارض هربـا من اخطار الطبيعـة واخطار الوحوش المفترسة فقضت بذلك عَلَى اشد اخطار الفناء والابادة والهلاك بين الاحراش والغابات او الادغال الوحشية والمخيفة وادخلت الانسان تـدريجيا في نطاق نظام الحياة الاجتماعية مسيراً بتأثير النشأة او البيئة والتفاهم المنطقي مع اخيه الانسان حيثما كان سواء مقيم في المآوي والمساكن او في القرى والدساكر والمدن التي بناها وانشأها لحفظ كيانه ووقايته·

هنالك اذن واعني في الاوطان السريانية القديمة وخاصة الشمالية منها منذ اكثر من عشرة الاف سنة ظهرت اولا البيوت والمآوي والمعابد والمدارس والقرى والدساكر والمدن والحواضر المحاطة بانواع المزارع والحقول والجنائن والبساتين تحت ادارة واشراف الاباء والشيوخ ورؤساء القبائل والعشائر او حتى الكهان والعلماء، وثم الامراء والملوك والاباطرة الذين مع توالي الزمن الطويل وبفضل التكاثر والتزايد وتقدم انظمة الحياة الاجتماعية تحولت تلك القبائل والعشائر الى شعوب وممالك ودول منظمة ومتمدنة، قبل اي امم اخر في العالم· ومنها امتدت مآثرها المدنية وفوائد حضارتها الى جميع انحاء العالم القديم· وفي هذه الحالة

يمكننا ان نسمي تلك الفترة الاولى والطويلــة الممتدة من ختام العصور الحجرية الاخيرة الى ايام حوادث الطوفان القديم «بالدور الاول» لتاريخ الامة السريانية او «حقبة الصعود» وهي مدة مقدرة بنحو اربعة الاف سنة. واما «الدور الثاني» او حقبة الذروة فانه يقع في المدة الواقعة بين حوادث الطوفان وانهيار دولة اثور وبابل. وهي ايضا فترة تقدر بنحو ثلاثة الاف وخمسمئة سنة. ومن مجموع الدور الاول والثاني يكون الحاصل نحو سبعة الاف وخمسمئة سنة. وهكذا تشكلت في الدور الاول للامة السريانية البدائية منظمات وحكومات من عشائر وقبائل. وثم تكونت حكومات المدن المستقلة بذاتها، التي منها تشكلت في الدور الثاني، ومن مجموع واتحاد تلك العناصر ومدنها تكونت منظمات سياسية كبرى موحدة، او حكومات مركزيــة وممالك محلية، وثــم امبراطوريــات عظمى، حققت واوجدت انواع الحضارات والمدنيات من خبرتها وحياتها الاجتماعية التي عليها تقوم الان المدنية العالمية. فمن هاتيك المدنيات ومنظماتها كان نظام دولة سومر او اكاد او اكار بمعنى الفلاح بالسريانية ودولة اسور وبابل ودولــة ارام وكنعان اللتان من مجموع مبتكراتهــا واستنباطاتهــا الثقافية والعلمية واعمالها الانشائية وتصرفاتها العمرانية وتطوراتها الاجتماعية، امتدت معالم الثقافة السريانية ومدنيتها شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، الى ان شملت مآ نرها معظم اقطار العالــم القديم واستنارت البشرية بمــا انتجته الشعوب السريانية ودولها من تقدم ديني وثقافي ومدني. واصبحت تلك الشعوب مــوردا او مصدرا حيويا لنمو المــدنية العالمية لألوف السنين المقبلة. وباتت انظمة ونواميس الدول السريانية هداية وقيادة سيّرت حياة شعوب الارض ودولها وحكوماتها الى افضل سبل العيش الهنيء ضمن

افضل الانظمة الاجتماعية. ومن هنا يتضح لنا كيف ان معظم المدنيات القديمة الاخرى واللاحقة للمدنية السريانية كالمصرية مثلاً والفارسية واليونانية او الاغريقية والرومانية والعربية، نشأت و نهضت عَلَى ركن المدنية السريانية وازدهرت واستنارت بالمدنية السريانية السابقة لجميعها. ولذلك نقول بانه للان تكاد لا تخلو مدنية حالية مهما كان نوعها من مآثر المدنية السريانية و ثقافتها، وذلك بحكم غنى ثقافتها ومدنيتها واسبقيتها في الوجود وانتشارها العظيم و تفضيلها عَلَى معظم المدنيات الاخر المعروفة في تاريخ البشرية.

بيد انه اثناء قيام الامة السريانية بواجباتها الثقافية والمدنية نحو البشرية، و بقيادتها للمدنية العالمية، وخاصة اثناء تقديم خدماتها وجهودها الثقافية للبشرية عامة لعدة الاف من السنين، ان بواسطة الفتوحات السياسية او بواسطة تنقل قبائلها التجارية وبعثاتها العلمية والحملات البابلية والاشورية، وكثرة اسفار الاراميين والفينيقيين برا و بحرا، فقد كان من الطبيعي ان تتعرض قواها الزمنية الى الانتهاك والاستهلاك اسوة بكل كائن حي. و بفعل عوامل التطورات الزمنية الداخلية والخارجية، وتعرّض الامة واوطانها لهجمات وغزوات العناصر البربرية من كل الجهات والنواحي، لاجل النهب والسلب لمدد طويلة ومتوالية. وطبيعيا تعرض نظامها القوي وكيانها للضعف والانحلال وثم للانقسام والتفرقة والانفصال منتهيا الى الخضوع لنير الخوارج العداة والدخلاء الى ان بعد تلك العظمة الزمنية الطويلة الامد والتي لم يسبقها احد اليها. ولم يبلغها سواها عبر التاريخ و بعد ازدهار تلك المدنية المثالية التي امتدت فوائدها من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادىء، تعرضت كامر طبيعي تلك الامة

القديمة العهد للكهولة فالشيخوخة. وثم تضعف والانحلال الزمني. وتدرجت منظماتها الدولية او السياسية نحو الانحدار والخضوع للزمن وتطوراته فانقسمت الى عدة دول صغيرة عُرفت باسم الدويلات الارامية، وثم الى انظمة الاقليات والملل والطوائف الكنسية المعروفة باسمها. ويمكننا ان نعتبر او نسمي هذه الفترة الانتقالية الاخيرة والواقعة ما بين مدة انهيار دولتي اثور وبابل وبين فجر النصرانية والفتوحات العربية الاسلامية، باسم حقبة «انحدار الامة السريانية». وهي الحقبة او المدة التي تغطي الخمس والعشرين قرن الاخيرة والتي تطوي ايضا منها مدة الاربعة عشر قرن الاخيرة التي تبدأ بالفتوحات الاسلامية وتنتهي في ايامنا هذه، وتحوي الدور الرابع والخامس والسادس لتاريخ الامة السريانية، فيه تضعضعت الامة بشكل هائل، ودخلت في طور الانحدار الاخير، الا انها ما زالت في قيد الحياة وهي تسير الى نهاية مجهولة او الى اوضاع مبهمة وغامضة لا يعلمها الا الله.

فبناء عَلَى ما تقدم، فان مجموع عدد سنين الادوار الستة المذكورة يقرب العشرة الاف سنة مضت عَلَى حياة هذه الامة السريانية الخالدة، تكونت فيها كل تطوراتها الدينية والثقافية والمدنية او الاجتماعية الحافلة بالتقدم المدني وزهو الحياة الفاضلة التي اضاءت العالم وايقظت البشرية من غفلتها وغفوتها المظلمة والمخيفة، وسارت بها قدما نحو التقدم المنشود في مضمار الحياة، حتى يومنا هذا، جاعلة من ذاتها مثالا حيا لسيرة الامم والشعوب، عَلَى مدى العصور والاجيال.

ومن اوضاعها الزمنية الطويلة والمختلفة يمكننا ان ندرك بان الغاية من وجود الامة السريانية ومقاصدها ومراميها منذ ان اتحدت وتكونت من

شعوبها المختلفة والمتعددة كانت تعمل وتحوّل من ثقافتها الدينية والمدنية قوة فعالة لتوحيد البشرية، وتسير مدنيتها وانظمة حياتها الاجتماعية نحو الكمال المدني بهداية النواميس الدينية المنبثقة من قوة الايمان بواحدانية العائلة البشرية وارتباطها بالعناية والوحدانية الالهية، إله الحياة اميه EA الذي هو الان الله تعالى المسجود له من قِبَل الشعوب السريانية وكل ذلك لكي تعيش البشرية في بحبوحة الامن والسلام والمحبة وتكف عن بنيها وطأة الالام والظلم والعذاب واضطهاد الانسان لاخيه الانسان. ولاسباب هذه الغايات والمرامي الشريفة نحو الانسانية والنتائج الحسنة الحاصلة منها اصبحت الامة السريانية بجميع عناصرها وشعوبها او مدنياتها وثقافاتها في كل ادوارها المدنية، خميرة صالحة لتخصيب وتخمير الثقافة والمدنية العالمية الكبرى. وبقوة وفاعلية تلك الثقافات الثابتة عَلَىَ العقائد الدينية السريانية ثبتت ايضا بين البشر عقيدة او فكرة ضرورة الايمان بوجوب احترام وحدانية العائلة البشرية مع وجوب الاعتراف والايمان بالوحدانية الالهية المحبة لكل البشر دون تمييز الى ان تمكنت هذه الامة من ايجاد انواع الاديان الالهية وانواع الانظمة الاجتماعية الصالحة لتشيد صرح المدنية العالمية عاليا عَلَىَ النواميس الدينية والمعالم الثقافية التي بها تسنى لها ان تكون خالدة، وان تعيش طويلاً لالوف السنين اكثر من اي امة أخرى. وهكذا بعد مجد زمني طويل الامد اصبحت الان امة عالمية محترمة وفاضلة ثقافيا بين الامم حيث تسرى روح ثقافتها في شرايين حياة الامم الراقية. ولذلك بالرغم من فقدانها حريتها السياسة وسيادتها الزمنية في اوطانها الاصلية، ما زالت تتمتع ويتمتع ابناؤها باحترام عظيم من ذوي السلطات الزمنية ومن

جميع العناصر البشرية المحيطة بها. ويعتقد معظم الكتاب والمؤرخين بانه لسبب مثل هذه الآراء والعقائد المتداولة من اجداد وقدماء السريان لم يبرح في حالة السير والامتداد مفعول الثقافة والمدنية السريانية الى الان في جميع انحاء العالم، ومنها تفرعت وتتفرع حتى الان وتظهر وتتطور انواع المدنيات المنتشرة عَلَى وجه الارض لاجل سلامه وحفظ الانسانية او البشرية ومدنيتها العالمية من اخطار الزوال والهلاك.

اما من الوجهة السياسية الزمنيه وتطور حياة الامة اداريا وسياسيا في مجرى تلك الادوار الزمنية الستة، اننا نعلم مما سبق ذكره هنا، بانها منذ ان وصلت الامة الى قمة مجدها الزمني في اثور وبابل كانت قد اصبحت امة ناضجة مدنيا، تسير بنور هدايه الفضائل الحسنه والصالحة للحياة الاجتماعية المنشودة او الثابتة عَلَى عقيدة محبة الله ومحبة القريب. ومثل هذه العقائد بالطبع كانت السبب الاكبر للتطورات الثقافية والمدنية والباعث عَلَى اتحاد عناصرها وانتعاشها في المناطق المائية الشمالية العالية والمجاورة لنهري الفرات والدجلة وفروعهما حيث نشأت مئات القرى والدساكر، وظهرت عشرات المدن المحاطة بالحدائق والمزارع والحقول الى ان تحولت في مدى العصور الطويلة تلك الاصقاع الى «جنة عدن» يجري في وسطها نهري الفرات والدجلة، هنالك كانت قد تطورت تلك العشائر والقبائل البدائية الى شعوب ودول وممالك تكونت منها الامة السريانية، مبعث المدنية العالمية ومصدرها.

وفي اثناء سير «الدور الاول» السابق للطوفان كانت الثقافة السريانية البدائية قد استنبطت الكتابات الصورية الرمزية التي كانت تحمل في صورها المعاني والرموز التي كانت تساعد عَلَى التفاهم الجزئي بين البشر.

ومن ثم تطورت تلك الكتابات الصورية الى كتابات او خطوط اسفينية ذات الفاظ او مقاطع هجائية، واخيرا او حول اوائل الالف الثاني (قم) اوجدت العناصر السريانية الاحرف الابجدية (الف باء) المتداولة الان في كل العالم او بين جميع شعوبه وامه المتمدنة، التي بها ضبطت وحصرت جميع الفاظ واصوات الانسان ومنطقه مهما كانت لهجته ولغته، وبها تمكنت من ان تبين وتظهر معاني افكار والفاظ البشرية وحصر منطقها وحكمتها ضمن اثنين وعشرين صورة لاحرف ابجدية منتشرة بين الامم والحاملة اسماؤها حتى الان معانيا، باللغة السريانية، وفي اثناء كل ذلك التطور التاريخي في انواع الخطوط والكتابات عند السريان من صورية واسفينية وابجدية لم يستطع غيرها من الامم ان يخرج من حيز او نطاق استعمال الكتابات الصورية المعروفة باسم الحروف الهيروكليفية التي لم تكن كافية لتفي بحاجات الانسان الثقافية، ابقته محصور التقدم، الى ان زالت من الاستعمال وحلت محلها الاحرف السريانية.

وقد اصبحت الحروف الابجدية المعروفة باسم الالف والباء السريانية الاصل Alfabet اعظم وسيلة لتطور البشرية ثقافيا ومدنيا، وصارت بمثابة خزانة تُجمع فيها الحكمة البشرية، وغنى ثقافتها لتقدم مدنية فاضلة وصالحة لحصول الانسان عَلَى حياة سعيدة ملؤها القناعة والسعادة والسلام. ولذا نقول باعتقاد راسخ بان للسريان الفضل الاكبر في ايجاد وتنظيم وتقدم المدنية العالمية في ربوع بلادهم اولا، ومن ثم في سائر بلدان العالم لاجل اسعاد البشرية وتحسين انظمتها الاجتماعية عَلَى سطح الكرة الارضية.

وخلال مدة الستة الاف سنة السابقة لفجر النصرانية التي فيها

تطورت انواع الخطوط والكتابات من صورية واسفينية الى الابجدية والهجائية السريانية، كانت عناصر هذه الامة او شعوبها وممالكها ودولها وحكوماتها قد بلغت شوطا عظيما من المجد الزمني ثقافيا ومدنيا اذ فيها كانت قد جُمعت كنوز من الحكمة والعلوم والمعارف اختزنتها في طيات الكتب والمخطوطات وسجلتها ودونتها في مئات الالوف من الالواح الخزفية وغيرها من الادوات الكتابية ليأخذ الخلف عن السلف ولتثقيف العقول البشرية. وفي تلك الاثناء كنتيجة طبيعية لذلك التقدم الثقافي والازدهار المدني، ظهرت اربع امبراطوريات لاثور وبابل اثنتان لكل دولة مع حكومات مركزية ونواميس وقوانين دينية ومدنية تمكنت بواسطتها جميع الشعوب الناطقة باللغة الارامية من ان تتحد تحت التسمية السريانية العامة المعروفة باسم «سوريوتا» والمشتقة من اسم اشور بفضل جهود ملوك اشور، مثل شلمن اسر الاول سنة ١٢٧٣ (قم) وتغلت بل اسر الاول سنة ١١٢٠ (قم) وغيرهما ممن حملوا اسم اسر واسور، وضموه الى اسمائهم الخاصة تيمنا بصاحب هذا الاسم الالهي. وهكذا تكونت الوحدة السريانية خاصة بهمة الامبراطورية الاشورية من مجوع بقايا العناصر السريانية الاخر، كالسومريين والاكاديين والبابليين والاشوريين والاراميين والكنعانيين والعاموريين والفينيقيين، مع ان البادىء في ذلك الاتحاد كان كلكمش واور نعمة وتم سركون الاكادي وعمورابي وصارت الامبراطورية السريانية باكورة الامبراطوريات العالمية واول وحدة بشرية عظيمة ائتلافية عرفها التاريخ ذات اتساع وامتداد اقليمي في وسط وقلب العالم القديم وذات شأن ثقافي ومدني عظيم، ممتعة بعدة لهجات متشابهة و موحدة في لغة واحدة هي الارامية التي سميت ايضا بالسريانية. وبموجب تلك العظمة

السياسية والزمنية صارت اول لغة عالمية عرفها التاريخ. وامتد سيل استعمالها بين الامم ايضا لمدى خمسة وعشرين قرن، وذلك منذ القرن الخامس عشر (ق‌م) والى القرن العاشر ميلادي. وكانت غاية السريان من ذلك الاتحاد والامتداد العام جعل الامة السريانية نواة تجتمع معها وحولها بل وتتحد البشرية كعائلة واحدة تتمتع بالسلام والمحبة، ضمن العناية الالهية، طبقا ووفقا لاهدافها الثقافية وتعاليمها الدينية. ولكن التقلبات الزمنية والاحوال الدولية حالت دون ذلك، واصطدمت بتلك الغايات والمقاصد، وحطمت او هدمت معظم تلك الامال، بعد بذل جهود عظيمة وطويلة الامد.

الا انه بالرغم من كل التطورات الزمنية الطويلة الامد التي اجتازتها الامة في كل مرحل وادوار حياتها ووصولها الى ما هي عليه الان من الانظمة الطائفية المعروفة، فان اقسامها هذه ليست الا نتيجة وخلاصة تطورات مدنية صالحة لاستنارة وفائدة البشرية، تكونت كمجتمعات علمية وادبية واندية ثقافية لتقديم المدنية التي تهدف باستمرار نحو ممارسة الفضائل الحسنة للعيش ضمن حياة اجتماعية هنيئة ومدنية مثالية، مع الشعور الحسن للاقران البشرية. ولذلك فان هذه الامة مع طوائفها ما زالت تقدم خدماتها الثقافية والمدنية للبشرية بفضل جهودها الادبية عن طريق الثقافة الدينية كما كانت في سابق عهدها والتي لولاها لما وُجدت المدنية حتى الان. ومنذ بدء انحدارها من مجدها الزمني الشاهق ومن مستوى عظمتها الدولية الرفيع الى مستوى الدويلات الارامية السريانية، وثم الى انظمة الملل والطوائف والكنائس السريانية الحالية، تحول كل جهدها لنقل وحفظ الكثير من ثروة تراثها الادبي بقدر امكانها من جيل الى جيل لمداومة ومتابعة سير المدنية العامة نحو التقدم المنشود عَلَى ضوء الثقافة الدينية او

عن طريق المحبة البشرية او محبة القريب· كل ذلك بهداية وارشاد السلطات الروحية المشبعة بروح الحكمة والعلم والثقافة التي توارثها السريان تقليديا منذ بدء مدنيتهم، واقتبستها الاجيال وعنهم يسوع الناصري واتباعه الرسل محاولا بذلك ان يوشح بها قومه الذين قبلها البعض منهم· وهوءلاء بدورهم او بعد ان صبغوها بصبغة ثقافتهم الدينية الخاصة حملوها الى العالم باسم المسيحية او النصرنية·

وكما كان في قديم الزمان للدول السريانية ميزاتها المحلية الخاصة ولهجاتها الاقليمية المنتمية الى شعوبها المتعددة، هكذا ايضا فان للدول العربية الحديثة القائمة مقام الدويلات الارامية السريانية القديمة ميزاتها الخاصة ولهجاتها العربية المحلية والشبيهة جدا بالميزات السريانية السابقة لها والتي فيها يتجلى مفعول او تأثير مواريث التقاليد والثقافة والمدنية السريانية· وبالمقارنة نرى ان لهجات اللغة العربية العامة او الدارجة حاليا بين الدول العربية الشمالية وبين سكان الدول العربية الحديثة في العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين تختلف كثيرا عن لهجات اللغة العربية العامية الدارجة حاليا في النجد واليمن وغيرها من الشعوب العربية السامية الجنوبية· ذلك لان تلك اللهجات العربية الشمالية ليست سوى خليط او مزيج من لغتي السريان والعرب تكونت تدريجيا بعد الفتوحات العربية ولذلك يصعب احيانا التفاهم بين العامة من شعوب هذه المناطق العربية، لدرجة قلما يفهم السوري او اللبناني او الفلسطيني او الاردني اللغة العربية المحكية في اقاصي شمال العراق وشمال سوريا ومدن جنوب تركيا الحديثة مثل ماردين وديار بكر وطور عابدين الرها (اورفا) وادنا وملاطيا وغيرها·

وهنالك ايضاً يظهر بعض الاختلاف في انظمة الحياة الاجتماعية بين تينك الناحيتين : الشمالية العربية والجنوبية العربية، وخاصة بين شعوب الدول العربية الحديثة المشار اليها هنا، وبين سكان النجد واليمن ·

وبالقاء نظرة خاطفة عَلَى اقاليم الاوطان السريانية القديمة والواقعة حاليا في حكم الدول العربية الحديثة نجد ان سكانها يقسمون اجمالا الى ثلاث فئات او اقسام طائفية غير الارمن والاكراد فمنهم القسم الاول والاكبر الذي كان سريانيا وتعرب واسلم وانفصل نهائيا عن الارومة السريانية· والقسم الثاني وهو الذي تعرب ولكنه لم يتخذ الاسلام دينا بل ظل نصرانيا عربيا فاقدا سمعته السريانية والقسم الثالث وهو الذي لم يتعرب ولم يدخل الاسلام، بل ظل محافظا عَلَى عنصريته السريانية متمسكا بلغة وتقاليد ابائه واجداده السريان الى يومنا هذا؛ وهم السريان الحاليون متداولي اللغة السريانية الذين حولهم يدور كلامنا هنا ومن هذا القسم الاخير تتكون الان الطوائف السريانية الخمس المشار اليها وهي الطوائف : السريان الكلدان والسريان الاشوريين والسريان الموارنة والسريان الارثوذكس، والسريان الكاثوليك· وهذا القسم من الطوائف السريانية الخمس يحتل بمجموعه المكان الثاني من حيث عدد السكان في بلاد الدول العربية الحديثة بعد الطائفة الاسلامية القائمة بين هذه الدول ويبلغ عدد ابناء هذا القسم الناطق باللغة السريانية اكثر من اربع ملايين من الانفس، يقيم معظمهم في اوطانهم الاصلية الممتدة من غربي ايران الى شواطيء البحر الابيض المتوسط، ومن اذربيجان وجبال طور عابدين، وجبال طوروس الى اقاصي جنوب فلسطين· وهم في ذلك يفوقون في عددهم عَلَى الارمن والاكراد وغيرهم من الطوائف المتعددة

الدخيلة او المقيمة بين هذه الدول العربية الحديثة. وحتى الان يتمتع هوءلاء السريان بحرية دينية ثقافية خاصة تقديرا لفوائد خدماتهم الجمة، في تلك الاوطان. ويمارسون تقاليدهم وعوائدهم الدينية بزعامة السلطات والرئاسات الكهنوتية ضمن رعاية الدول العربية الحديثة الحاكمة، وعملاً بالايات القرآنية المنزلة التي توصي بهم خيرا، لكونهم اخوان للعرب واقرب الناس مودة لهم وللاسلام.

اما في الادوار السريانية الاولى وخاصة في ازمنة مجد اشور وبابل ومعها ازمنة الدويلات الارامية فقد كانت رئاسة السلطتين الزمنية والروحية، واعني الملوكية والكهنوتية تنحصر في شخص الملك المتولي ادارة الدولة والمملكة، ولذلك كان الملك في اشور وبابل هو صاحب السلطة الزمنية والروحية في وقت واحد، اذ كان هو الملك والكاهن، او رئيس الاحبار معا، وهو الذي كان يعيّن او يرسم ويوزع الرتب والوظائف الروحية والزمنية والكهنونية او الدينية للمستحقين، لانه كان يُعتبر وكيلاً لله عَلَى الارض ووسيطا بين الله والشعب ولذلك كان يُقال له «الحبر الاعظم» بمعنى الصديق الاعظم لله وللبشر. فكان الملك السرياني يترأس مملكته ويديرها زمنيا وروحيا بالتعاون مع المستشارين والوزراء العلمانيين ورجال الدين او الكهنة والاحبار الذين كانوا عادة علماء ومثقفين ومضطلعين بكل امور الامة وشؤونها وبهذا المعنى يشير الكتاب المقدس في العهد القديم والجديد الى ملكي صادق ملك شاليم كمثال الذي كان ملكا وحبرا معا، يقدم لله العلي التقاديم الغير الدموية من الخبز والخمر وذلك في عهد ابراهيم الخليل او منذ نحو اربعة الاف سنة مضت وعَلَى رتبته جاء المسيح ملكا وكاهنا سار في الارض هاديا لانه ماثل ملكي

صادق اذ قام بتقديم الخبز والخمر لله تعالى رمز الفداء الالهي لرعيته التي صار لها حبرا ابديا. كما نوه به الرسول بولس. وهكذا كان ايضا من قبل او من بعد ملكي صادق معظم ملوك السريان الاشوريين والبابليين والاراميين والكنعانيين او الفينيقيين يشغلون رتبتي الملوكية والكهنوتية لاجل صالح وخدمة رعاياهم، وبذلك كانوا خداما مخلصين لله وللشعب، بعكس ما كان ملوك مصر الذين كانوا بمثابة الهة محلية يعبدهم الشعب ولهذا السبب بقيت المدنية المصرية كمدنية اقليمية محلية نشأت وازدهرت وعظمت ثم زالت في مصر، دون ان يكون لها انتشار خارج نطاقها او توسع وامتداد في العالم الخارجي، بعكس المدنية السريانية التي صارت ركنا للمدنية العالمية، ذلك لان الملك السرياني لم يتأله بل كان عبدا وخادما لله وللشعب يقدم حسابا لله ولشعبه في كل سنة وبموجب اعماله كان يُجدد له ملكه في كل سنة باحتفال عام يحتفي فيه بالهياكل والمعابد في شهر نيسان من كل سنة كعيد الدولة او عيد مملكة الله عَلَى الارض. ولقد دامت هذه الحالة الادارية المشار اليها لوجود سلطتي الملوكية والكهنوتية في شخص الملك السرياني الى ازمنة انهيار دولتي اشور وبابل والى ازمنة الدويلات الارامية الاخيرة واللاحقة لازمنة انهيار دولتي اثور وبابل. وبتأثير القوات الخارجية وسلطاتها الحاكمة اخذت تنفصل تدريجيا السلطة الكهنوتية وتنفصل عن الملوكية او عن شخص الملك الى ان زالت عنه الادارة الروحية وانحصرت في رجال الدين فقط. واخيرا بزوال السلطة الملوكية عن السريان وانقسامهم وتحول انظمتهم الى طوائف بدلا من الدول والممالك فقد بقيت الادارة الروحية نهائيا محفوظة في الكهنة او رجال الدين الذين كانوا دائما اهل علم وثقافة. ذلك يعني بانه وان

تجرد الانسان من رتبته او وظيفته الادارية فانه لا يمكن ان يتجرد من ارائه وعقائده الدينية الا بالقضاء عليه نهائيا. وحيث ان رتبة الكهنوت هي خدمة روحية دينية فان السلطات الخارجية الحاكمة التي وان تكن قد جردت السريان من الملوكية فانها لم تستطع ان تجردهم من ارائهم وعقائدهم الدينية وانقيادهم للكهنة الذين كانوا غالبا من وجهاء وائمة الشعب وعلمائه ومثقفيه. وهكذا في نهاية الدور الثالث وختام عهد الدويلات الارامية الاخيرة التي معها زالت عن السريان اخر سلطة ملوكية لم يبق لهم سوى السلطة الروحية او الكهنوتية التي بها تمكنوا من التكتل حولها حتى الان وهي المكونة من بطاركة ومطارنة وقسس وكهنة ورهبان وشمامسة الذين بمجموعهم ما زالوا يسيرون روحيا ادارة الطوائف السريانية ضمن نطاق الادارة الزمنية مع احترام السلطات الزمنية او الدول الحاكمة مهما كان نوع ادارتها السياسية، منقادين بذلك للتوجيهات الادبية والعلمية بشكل ان اصبح السريان امة عالمية روحية فاضلة منتشرة في اوطانها وخارجها بين امم الارض وشعوبها. ولكن بسبب ذلك الوضع الاداري الاخير كانت تقع بعض الطوائف والملل والشعوب السريانية في ازمة سياسية كالحروب والغزوات من الداخل والخارج وخاصة اثناء الحكم الفارسي والروماني او اثناء العهد العثماني الاخير، عندما لم يكن لهم من يذود عنهم الظلم او يرد عنهم هجمات الطامعين، كما حدث مؤخرا اثناء الحرب العالمية الاولى، التي اصبح فيها الكثيرون من السريان طعمة للغاشمين ومطامع السالبين والناهبين، حتى انهم فقدوا ظلما وعدوانا الكثير من اوطانهم واراضيهم مع مدنهم وقراهم. وقد خسر السريان نحو مليون نسمة من الازواج التي بادت في حروب وانقلابات سياسية في بلدان الشرق

اثناء الحرب العالمية الاولى والثانية، الامر الذي سبب للكثيرين منهم التشتيت والتهجير من بلد الى اخر اثناء القرن العشرين، دون ان يكون لهم اي مطامع او مصالح في تلك الحروب العالمية. واثناء زوال او انحلال الامبراطورية العثمانية كان قد وصل السريان الى اسوأ حال اداري، به اندمج الكثيرون من السريان، مخيرين او مسيرين، في عناصر أُخر غير سريانية. وعَلَى كل حال فان ذلك الوضع الاخير واعني انحدار الامة من انظمة الدويلات الارامية منذ نحو القرن السادس ميلادي، الى انظمة الطوائف والملل والكنائس قد كان اخر نظام اجتماعي او سياسي وصلت اليه العناصر السريانية. وهو لا شك نظام ضعيف جدا بالنسبة لحفظ كيانها في الازمنة ووضع خطر اضعف الامة السريانية الى ان اوشكت عَلَى الهلاك، بسبب الظلم وتيار الاندماج الطاغي. ولم ينتبه اولي الامر لذلك الوضع الخطر ولم يعالجه اولو الامر بحكمة ويهتموا بتوحيدهم جميع الطوائف السريانية وانهاضها من كبوتها، والحفظ عَلَى كيانها بواسطة العلم والثقافة لتتمكن من مقابلة او مواجهة تبيان ويقين اخطار الحياة في الاجيال المقبلة فتصير الامة طعمة للزوال والاندماج والضياع في عناصر غريبة غير سريانية. وبزوالها قد تفقد البشرية ومدنيتها اعظم عنصر ثقافي عامل لانهاض المدنية العالمية، ودوام سيرها نحو التقدم.

ومن مراجعة احوال التطورات الاجتماعية في الماضي القديم والطويل الامد لتاريخ الامة السريانية الممتد منذ ختام العصور الحجرية الى ايامنا هذه، نرى انه منذ القديم اجتاز السريان جميع المراحل التاريخية والاحوال الصعبة والحرجة بنجاح باهر كما تجتازها الان معظم الامم الكبرى والراقية مدنيا وثقافيا. ومن حيث طول زمن البقاء، فلقد سبق

السريان كل امم الارض بالنسبة للمدة الطويلة التي عاشتها امتهم في اوضاعها المختلفة ولذلك استحقت عن جدارة بان تدعى خالدة بالنظر لمدة حياتها الطويلة، ولقد كان نشوءها ونموها ثقافيا ومدنيا ومنها امتدت الانظمة الاجتماعية الفاضلة لجميع امم العالم القديم، بعد ان تكونت من عشائر وقبائل بدائية متآخية ومتقاربة العناصر التي عاشت في الاقاصي الشمالية والجنوبية لما بين النهرين· ومنها تكونت دويلات المدن المنفردة والمستقلة بذاتها الى ازمنة الالفي السادس والخامس(ق·م) وبعدذلك اتحدت تلك المدن وكونت ممالك ودول مثل اشور وبابل وسومر واكاد وكنعان وارام وفي ايام سركون الاول وحفيده نارام سين ومن بعده عمورابي كانت تلك الممالك ودولها قد بدأت تلتئم وتتحد في وحدات دولية كبرى بزعامة ملوك اشور وبابل ايضا لمدد طويلة ثم وقعت البلاد السريانية تحت سيطرة الخوارج وحكمهم كالكوشيين والحثيين فورا بعد وفاة المشترع الكبير الملك عمورابي· وبقيت الامة والاوطان السريانية تحت سيطرة اولئك الخوارج الى اوائل القرن الثالث عشر (ق·م) وثم تحررت من نيرهم بعد حروب دامت اكثر من مئة سنة بقيادة وزعامة ملوك اشور وعون او مناصرة ملوك ارام الى ان في زمن الملك شلمن اسر الاول سنة ١٢٧٣ (ق·م) ومن بعده الملك تغلت بل اسر سنة ١١٢٠ (ق·م) وغيرهما تحررت البلاد السريانية نهائيا من نير اولئك الخوارج، وثم انتعشت وقويت دولة اشور خاصة وتزعمت حركة توحيد جميع العناصر الناطقة بالارامية تحت التسمية السريانية· وتوفقت بذلك بسبب قوتها الادارية المتمركزة في الدولة الاثورية العظيمة· وصارت اول دولة اتحادية في العالم، تشبه كثيرا الدول الاميركية المتحدة، ونظام الولايات المتحدة

في اميركا الشمالية، او حتى الجمهورية الاتحادية البرازيلية الحالية.

ولقد دام ذلك الاتحاد العظيم بزعامة ملوك السريان الاشوريين وقيادتهم العسكرية لمدة تقرب من ثمانمئة سنة منذ ايام شلمن اسر الاول سنة ١٢٧٣ (ق.م) حتى ايام سقوط نينوى وبابل في قبضة مادي وفارس ٦٠٦ و ٥٢٨ (ق.م). وعبثا حاول من بعدهم الفرس واليونان والرومان وغيرهم من دول الفاتحين الحصول عَلَى مثل تلك المدة الاتحادية الطويلة لدوام اتحاد شعوبهم.

واذا اخذنا كمثال لذلك، مجموع حياة الدول الاغريقية او اليونانية متحدة، نجد بان مدة بقائها متحدة لم تزد عن الخمسين عاما منذ قيادة اسكندر المقدوني ووالده فيليب، ذلك لكثرة الاضطرابات الداخلية، وتعرض اليونان للجدالات والمشاجرات والنزعات الداخلية او السفسطات الخيالية الفارغة التي كانت تحول الشعوب اليونانية العديدة، كالاثينيين والاسبرطيين والمقدونيين والاتيكيين والكورنتيين وغيرهم، الى اخصام واضداد معادين لبعضهم بعض، ومتحاربين فيما بينهم لمئات السنين، غالبا لاسباب وهمية واهية، فارغة وتافهة.

وبعد زوال نظام ذلك الاتحاد السرياني الاخير الذي دام بقيادة السريان الاشوريين لمئات السنين، انقسمت وحدة الامة السريانية ـ اثناء حكم الفرس واليونان والرومان ـ وانحدرت الامة الى نظام الدويلات الارامية. وثم اثناء حكم الرومان والعرب والاتراك واعثمانيين، انحدرت الى انظمة الطوائف الدينية السريانية الحالية.

وطوال تلك الازمنة المتحركة نحو الانحدار الزمني فقد احتفظت الامة باتحادها الثقافي واللغوي بتأثير العوامل الروحية والادبية رغم

انقسامها الى دويلات وملل وطوائف متعددة، كما هو شأن او مستقبل كل الامم المتمدنة ونهايتها عندما تسير مائلة نحو الانحدار الزمني. وبالرغم من كل تلك الاوضاع المختلفة والاحوال المضطربة وفاعلية التطورات الاجتماعية التي تعرضت لها الامة، لاحوال وظروف حرجة ولاوقات ومدد طويلة دون ان يكون لها سلطة زمنية من خاصتها فانها ثابرت عَلَى نوائب الازمنة والدهور وسارت في مضمار الحياة منتحلة اسبابا ادارية ذات ثقافة دينية لوقايتها، الى ان تمكنت من الاحتفاظ بكيانها الخاص حتى الان. وهذا المسلك الذي سلكته الامة من حيث النشوء والنمو والتكوين والبلوغ الى مدارج العظمة في السيادة المدنية والثقافية لالوف السنين بعد تطورها من قبائل وعشائر بدائية الى شعوب وممالك ودول عظمى ذات حكومات مركزية منظمة بها قبضت عَلَى زمام قيادة العالم القديم لمدى اجيال، وثم انقسامها وضعفها وانحدارها الى نظام دويلات صغيرة متعددة، واخيرا الى طوائف وملل واقليات ذات غنى ثقافي ومدني هو الطريق العام الذي سلكته ايضا الدول العظمى التى لحقتها واقتفتها في السيادة العالمية. وهي اوضاع وظروف لا مندوحة من سريانها عَلَى الامم الكبرى الحالية والعتيدة وخاصة المنتجة منها ان عاجلاً او اجلاً او بعد ان تبلغ مستوى النضوج المدني. اما من حيث طول بقاء كيان الامة السريانية فانها بالفعل قد سبقت كل امم الارض في القدمية. واسباب طول ذلك البقاء هي اطلاعها ومعرفتها العامة لتطورات الحياة ومرورها في كل ادوارها ومراحلها بقوة المسالمة وفاعلية ثقافتها الدينية والمدنية ولكونها الاولى والبادية في استنباط المباديء العلمية والانظمة المدنية لحياة اجتماعية راسخة عَلَى قوة المحبة البشرية التي اصبحت نموذجا او منهجا تهتدي به جميع الامم

التابعة واللاحقة في مضمار الحياة، وعَلَى غرارها يسير الان العالم المتمدن.

اما زعزعة بعض عناصر الامة السريانية من اماكنها في اوطانها القديمة والاصلية الى الخارج في الازمنة السابقة فقد كانت اما بدوافع طبيعية كحوادث الطوفان او عوامل انقلابية داخلية كتبلبل الالسن اثناء انشاء برج بابل او بتأثير العوامل الخارجية، كالفتوحات مثلاً وغزوات القبائل البربرية واجتياح الخوارج للبلاد السريانية كالحثيين والسكوثيين او كالفرس واليونان والرومان وغيرهم ممن تبعهم. ورغم كل تلك الاحوال المختلفة، فان الملايين من السريان احتفظوا باماكنهم في اوطانهم مع الاحتفاظ بلغتهم وتقاليدهم وعنصرهم وتراث ابائهم واجدادهم حتى الازمنة الاخيرة و خاصة الناطقين منهم باللغة السريانية والذين يتمتعون الان باحترام السلطات الزمنية المحلية وبحقوق المساواة مع بقية السكان والمواطنين المقيمين. وزوال مجد الامة السريانية وسلطانها الزمني في اسور وبابل كان هو المسبب للتطورات التي وصلت اليها من حيث دخولها في نظام الدويلات الصغيرة ومن ثم نظام الطوائف والملل والاقليات، وذلك لانه كان لا بد من الوصول الى تلك النتائج التي هي المصير المحقق لكل الامم طبقا لجريان التطورات التاريخية. ومن المعلوم ان مصير الامم من حيث الوجود والنشوء والنمو هو نفس مصير الافراد والكائنات الحية التي تنشأ وتنمو وتكبر ثم تبلغ سن الكهولة والشيخوخة والعجز والضعف الزمني او الانحلال الطبيعي بسبب انتهاك واستنفاذ القوة الطبيعية والتاريخ شاهد عَلَى ان السريان إجمالا سبقوا كل الامم بخدماتهم الثقافية والمدنية لفائدة وصالح البشرية واسعادها مدنيا واجتماعيا. وما زال مفعول اعمال وخدمات عناصرها الحية ساريا في شرايين المدنية العامة

رغم كل الاضداد والصعوبات الزمنية التي اجتاحتها وكابدتها هذه الامة في كل الاوقات والمناسبات، اثناء تسلقها في معارج المجد والعظمة او اثناء انحدارها نحو الانظمة الطائفية الحالية.

وخلال هذه الازمنة الاخيرة بعامل الازمة المحلية في الاوطان السريانية الشرقية عامة وسوء الاحوال السياسيه والاقتصادية المقلقة والمزعجة فان الكثيرين من ابناء الطوائف السريانية في تلك الاوطان مع غيرهم من المواطنين المحليين، نزحوا عن ايران وتركيا والبلاد العربية حيث توجد الاكثرية السريانية وهاجروا افواجا افواجا الى اوروبا واميركا واستراليا في طلب الرزق مقابل اعمالهم واشغالهم في مهاجر تلك القارات. ولكنه بالرغم من كل ذلك التشتت فان الاكثرية الساحقة من ابناء الطوائف السريانية ما زالت مقيمة حتى الان في اوطانها داخل البلاد العربية الحديثة كالعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين، هذا عدا عن مئات الالوف المقيمين في البلاد المجاورة كايران واذربيجان وارمينيا وجنوب روسيا وتركيا. وفي كل الاصقاع السريانية الاصل يمكنك ان تسمع حتى الان المتكلمين باللغة السريانية في البيت والكنيسة والشارع بانواع اللهجات الموروثة من الاجداد السابقين وخاصة بقايا الاشوريين والاراميين الذين من مجموعهم واتحادهم تكونت الامة واللغة السريانية منذ الوف السنين. وهذا دليل كاف عَلَى ان هذه الامة الفريدة من نوعها وكيانها لن تزول ولن تضمحل. وبناءا عَلَى الماضي ومثابرتها ضد كل عوامل الفناء، فانها ولا شك ستبقى خالدة الوجود رغم تنقلها من نظام الى اخر، حسب التقلبات الزمنية محافظة عَلَى عنصريتها وكيانها قدر الامكان بشتى الوسائل الادارية كما حدث لها في العقود والاجيال السابقة. وكما

كانت الثقافة السريانية وتطورها المدني سببا او عاملاً في الرقي والتدرج في سلم المجد والعظمة الثقافية والمدنية فانها هكذا ايضا ستكون هي السبب والقوة التي تحافظ عَلَى بقاء ودوام كيانها عَلَى مدى العصور العتيدة٠

وان حالة السريان المقيمين في اوطانهم ضمن الحكومات والدول العربية الحديثة خاصة تشبه كثيرا حالتهم القديمة عندما كانوا ضمن حكومات الدويلات الارامية الاخيرة٠ ومع كل احوالهم المختلفة والمتنوعة، فان للسريان صحافة خاصة كالجرائد والمجلات الاسبوعية والشهرية وغيرها من النشرات والمؤلفات السريانية تطبع بعدة لغات عالمية كالعربية والهندية والانكليزية والايرانية والتركية وغيرها، التي بها تحافظ عَلَى صيانة اوصال وروابط ووشائج الامة وعناصرها. وقلما تجد سريانيا اميا مهما كانت طائفته الدينية٠ وجلهم يحسنون القراءة والكتابة ويتكلمون لغتين او اكثر٠ وفي كثير من الاماكن تجد السريان متمتعين بحقوق التمثيل النيابي او الاشتراك في ادارة الحكومات المحلية كسائر المواطنين المخلصين لحكوماتهم وخاصة في البلاد العربية فمنهم تجد العضو في المجلس البلدي، والنائب في البرلمان ومجالس الشيوخ والقنصل او الممثل بين الدول والجندي المجاهد في صفوف المحاربين والحارس للاوطان المقيم فيها والتابع لها٠ وكل هذا يدل بوضوح عَلَى ان الامة السريانية لم تزل قيد الوجود وان اختلفت اوضاعها السياسية٠

ويمكننا ان نستخلص ونستنتج من بحثنا هذا بان التطورات الزمنية التي مرت بها الامة السريانية في جميع مراحل حياتها الاجتماعية، من صعود وهبوط ليست منوطة بالسريان وحدهم بل ان هذا هو السبيل والمنهج للتطور لكل شعوب الارض واممها٠ وقد كانت مدة بقاء الامة حتى الان

في مضمار الحياة عظيمة جدا و بعامل جسامة ثقافتها ومدنيتها بقيت حتى الان وامتد مفعولها الى كل الامم والى معظم اقاليم الارض وستبقى نواميسها الدينية وانظمتها الحكومية سارية المفعول والتداول بين الامم الى ما شاء الله وعَلَى مدى الدهور والازمان او ما دامت قائمة هذه المدنية العالمية الحالية، ذلك لان الثقافة السريانية صارت روحا للمدنية العالمية٠

كما وان عملية تسرب واندماج بعض العناصر السريانية في الشعوب القريبة والبعيدة ليست ايضا عادة خاصة منوطة بهم وحدهم ذلك لان كثيرين من العناصر الاخر ايضا اندمجت وتندمج في الاخرى٠ ومنذ الوف السنين كانت بعض العناصر السريانية تنزح عن اوطانها، وتطغي عَلَى البلاد المجاورة لها كسيل متدفق٠ ومن مراجعة الكتب التاريخية والدينية نجد انه بعد حوادث الطوفان كانت العناصر السريانية المتدفقة من ما بين النهرين تتوزع عَلَى جميع الجهات، واصبح من الثابت تاريخيا بان العناصر السريانية كانت قد اجتاحت جنوب اوروبا منذ اوائل الالف الثالث (ق‌م)٠ وان المصريين القدامى كانوا مزيجا او خليطا من الحاميين والسريان الكنعانيين كما وان معظم سكان افريقيا الشمالية يعودون بالاصل الى السريان الكنعانيين او الفينيقيين ومثلهم ايضا معظم سكان عيلام و بلاد فارس وايرن الحالية، ليسوا الا خليطا من البقايا الايرانية مع البقايا الكبرى من الكلدنيين والاشوريين. وقل هكذا ايضا عن سكان شبه الجزيرة العربية وخاصة الاقاليم الجنوبية ليسوا الا خليطا من العناصر الساميَّة الشمالية المتحدرة من الاراميين والكنعانيين الذين من اختلاطهم تكونت العناصر الساميَّة الجنوبية منذ ايام الالف الثالث والثاني (ق‌م) ولسبب استيطانهم المناطق الصحراوية سُمي ذلك الخليط باسم العرب او بني يعرب، وهي

كلمة سريانية ارامية محرفة من «عرَبا» ومعناها الصحراء او البادية ومنها تكونت قبائل عرب الجاهلية السابقة للاسلام بالوف السنين.

هنالك في الاقاليم الجنوبية في شبه الجزيرة العربيـة حلت اللغة الارامية بين الالف الثالث والثاني (ق‌م) وانفردت بعزلة عن اخواتهـا اللهجات الارامية الاخر، حيث تضخمت وعظمت بالانضمام اليهـا الفاظ مفرداتها التي كانت تتولد من حركات واعمال سكان تلك المناطق لالوف السنين، الى ان ظهرت بمظاهرها وميزاتها العربية الخاصة في عصرالجاهلية او في البضعة قرون السابقة للاسلام. ولذا نرى بان الهجرة عن الاوطان الاصلية لاسباب متعددة منهـا الازمـة الاقتصادية او السياسية والاختـلاط والاندماج في العناصر الاخر القريبة والبعيدة. وهي عادة قديمة جدا بين البشر بغيـة الارتزاق وتحصيل القوت الضروري اينمـا كان. واقوى دواعي واسباب الهجرة كانت الحروب والغزوات والفتوحات والاجتياحات التي كانت تتعرض لهـا الاوطان السريـانية، نظرا لموقعهـا وتوسطهـا الجغرافي بين قارات العالم القديـم وهي اسيا واوروبا وافريقيا. ومنذ اقدم العصور كانت الهجرة السريانية تتدفق الى الخارج ايضا بقصد استعمار الاقاليم المحيطة والمجاورة وخاصة تلك التي كانت خالية من السكان للاستعمار ولانشاء مدنيات ومستعمرات واستغلال الاراضي والاتجار بالمنتوجات والمصنوعات وربط العلاقات بين سكان العالم القديم. ومن اجل ذلك كانت تُرسل البعثات ايضا من علمية وزراعية لتثقيف الشعوب وتمدينها الى ان اصبح هذا النوع من النشاط ملكة خاصة في اخلاق بعض شعوب السريان تمكنوا بواسطتها من ايقاظ البشرية من سباتها الموروثة عن العصور الحجريـة. ومن اجل تقـدم وتخصيب المـدنية العالمية كان

السريان بدولهم وممالكهم وطوائفهم ومللهم يسيرون حثيثا في مضمار الحياة اينما حلوا حبا في تمدين البشرية وتثقيفها٠

وفي اثناء القرن التاسع عشر، او بعد حرب القرم، تعرض السريان كما تعرض كثيرون غيرهم من شعوب وسكان الشرق الاوسط للهجرة عن اوطانهم والنزوح الى القارات النائية لاسباب ضعف او بدء انحدار وانحلال الامبراطورية العثمانية من قمة عظمة مجدها الزمني اداريا وسياسيا واقتصاديا،كما حدث من قبلها للامبراطوريات السابقة لها كالبيزنطيين والروم واليونان والفرس الامر الذي ارغم السريان وغيرهم ان يهاجروا الى القارات الاخر٠ وكانت هجرة السريان هذه جزئية وضئيلة بالنسبة الى هجرة المواطنين الاخرين من الطوائف الاسلامية والمسيحية كالسوريين واللبنانيين والفلسطينيين والغير السريان، ذلك لان السريان عادة يفضلون التنقل في طلب الرزق والتوغل اولا داخل اقاليم اوطانهم الواسعة كسوريا والعراق ولبنان وفلسطين والاردن وتركيا وايران وثم الى المهاجر النائية اذا اغلق باب العمل في اوطانهم٠ ومنذ اوائل القرن العشرين او اثناء الحرب العالمية الاولى التي في خلالها نزح كثيرون من السريان من شمال ما بين النهرين وخاصة جبال اثور المعروفة حاليا باسم جبال طور عابدين وجبال هيكاري وهاجروا الى سوريا والعراق ولبنان والاردن وفلسطين والى ايران وثم الى القارات النائية وذلك لسبب تقسيم تلك الاوطان الكائنة انئذ ضمن الامبراطورية العثمانية بين الدول الحديثة كتركيا وايران وسوريا والعراق التي كلها تشكل المنطقة الاصلية للاوطان السريانية القديمة حيث نشأت اولا العناصر السريانية الاشورية والارامية، التي كانت جادت عَلَى مدن اشور الرئيسية كنينوى وكلح ونمرود واشور

والموصل ونصيبين واماديا وماردين وحمص وحلب ودمشق وغيرها. ولذلك نرى السرياني الان يتنقل بسهولة بين هذه الدول الحديثة وخاصة بين الدول العربية الحديثة لعلمه بانها جميعها اوطانه الموروثة ابا عن جد، دون ان يبالي كثيرا بفوارق الحدود السياسة الحديثة لاعتقاده بأن هذه الدول العربية الحديثة كالدولة العراقية مثلاً يراها قائمة مقام الدولة البابلية والاشورية، ومثلها الدلة السورية الحالية فهي بنظره قائمة مقام الدول الارامية، كما وان الدولة اللبنانية قائمة محل الدولة الكنعانية او الفينيقية اما الدولة الاردنية والفلسطينية فانها تقوم مقام العامورية والكنعانية. وكلها في الاصل تعود الى الشعوب الناطقة بالارامية تسيرها الان عناصر اسلموا وتعربوا ترتبط مجموعها بالعنصرية السامية، والعلاقات الاجتماعية الحسنة والتقاليد الوراثية العامة التي ما بين العرب والسريان.

ويقدر عدد السريان الذين نزحوا الى خارج اوطانهم بعد الحرب الكونية الاولى بنحو مليونين من الانفس معظمهم تشتت وتفرق بين الاقاليم المجاورة مثل ايران واذربيجان وتركيا وروسيا ومثلها في العراق ولبنان والاردن وسوريا وفلسطين لسبب الاحوال الاضطرابية والازمة الاقتصادية والسياسية في الاصقاع الشرقية. ومع كل ذلك فاينما حلوا فهنالك يبرز نشاط ثقافي رائع حيث انهم يُنشؤون الكنائس والمدارس والاندية الثقافية والمعاهد العلمية والمستشفيات والمؤسسات الخيرية المرتبطة اداريا بالتوجيه الديني لفائدة المجموع.

ويمكننا مما سبق ذكره ان نتأكد بان الامة السريانية الحالية ما زالت امة عالمية حية بفضل نشاط طوائفها ذات الثقافة الدينية والمدنية، وهي قائمة بتقاليدها وعوائدها الفاضلة ومحتفظة بلغتها المنتشرة فى الاوطان

وفي سائر اقطار العالم. واسمها ما زال مذخرا في طيات الثقافة العالمية وفي معالم المدنية الشرقية والغربية واديانها الالهية، كل ذلك دون ان يكون لها سلطات زمنية خاصة او تمثيل سياسي يتولى امورها الزمنية الخاصة بين الدول وشعوب الارض، لاعتمادها عَلَى حسن علاقات ابنائها ورؤسائهم الروحيين مع ادارت الحكومات المحلية وسلطاتها الزمنية التي تحترم الكيان السرياني وانظمته. وهذا الوضع الاخير هو نتيجة الاحوال الماضية والتطورات الزمنية الكثيرة والطويلة الامد التي صادفت هذه الامة العريقة في القِدم في كل مراحلها الحيوية والتي تطورت فوائدها لتقدم البشرية ومدنيتها. وهو وضع تقدمي ثقافي يدل عَلَى مقدار نضوج الامة السريانية دينيا ومدنيا في الحياة الاجتماعية، الامر الذي لم تتمكن من الوصول اليه اي امة أُخرى من قبل بنفس المقدار الذي وصلت اليه هذه الامة. وقد ظهرت امم كثيرة غير السريان عَلَى مسرح الحياة وزالت من الوجود دون ان تترك لها اثرا اذ لم تكن هنالك مآثر ثقافية وخدمات تقدر للبشرية، تدرأ عنها صدمات التطورات السيئة. وبرهانا عَلَى ذلك نتسائل : اين هي الامم الحثية والكوشية والارارطية والسكوتية والمادية؟ بل اين هي الامة البيزنطية العظيمة ووريثتها العثمانية الشاسعة الواسعة الاطراف . والتي كانت حتى الامس القريب سابقة بامتداد فتوحاتها وسلطانها الزمني كل امبراطوريات او دول العالم القديم ؟ واذا ما جمعنا كل مدد ادوار حياة الامم التي جاءت بعد الامة السريانية وقابلناها بمجموع مدد ادوار حياة الامة السريانية نجد بانها لم تبلغ تلك الدول ربع المدة التي عاشتها الامة السريانية اذا اعتبرنا ذلك منذ ختام العصور الحجرية والى ازمنتنا هذه، التي عَلَى رغم كثرة اصطدامها بنوائب الحياة

وتقلبات الزمن ما زالت حية خالدة، سايرة في جهاد الحياة بشتى الوسائل.

وبناء عَلَى هذه القوة المعنوية الكامنة في العناصر السريانية التي تسترشد بحكمة ثقافتها الموروثة ستبقى ابدا امة عالمية حية خالدة عَلَى رغم تجردها من القوة والسلطة الزمنية التي فقدتها منذ نحو خمس وعشرين قرن. وبالنظر الى ماضيها وثقافتها الموروثة ستظل حية وعاملة بنشاط، بقوة وفاعلية انتشار ثقافتها ومبادئ مدنيتها ونواميس اديانها التي اصبحت ركنا للثقافات ومدنيات العالم. وستظل معها ايضا اللغة السريانية كمرجع دائم لحل رموز والغاز الاديان الالهية، والمدنيات العالمية التي نتجت عنها وهي ما زالت تسيرها وتقودها روحيا نحو الاهداف الصالحة والمفيدة لجميع البشر والتي كانت السبب والعامل لنجاح وتوفيق جهادها وبقائها ولحفظ كيانها مدة حياتها الطويلة الماضية.

والان عَلَى الرغم من انتشار بعض العناصر السريانية وابناء طوائفها المعروفة بين شعوب وامم القارات الخمس فان الاكثرية الساحقة التي تقدر بنحو اربعة ملايين من الناطقين باللغة السريانية لم تزل مقيمة في اوطانها الاصلية الواقعة حاليا في حكم البلاد العربية ودولها الحديثة كالعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين مع باقي اخوانهم الذين تعربوا! واسلموا. وبما ان معظم زعماء سكان هذه البلاد وشعوبها الاسلامية العربية يعلمون كل العلم بانهم يعودون في اصلهم الى الارومة السريانية عَلَى رغم تعرب معظمهم فانهم يُعرفون مع اخوانهم السريان المسيحيين بين الاجانب في بلاد المهجر كاميركا اللاتينية مثلاً حيث يدعون او يسمون جميعهم باسم سيريو Sírio المحرف من اسيريو Assírio كما ويدعون او يُعرفون ايضا في اميركا الشمالية وكندا باسم Syrian سريان المحرف

ايضا من اسم اسور واسوري Assyrian كما سبق وتبين.

وهكذا لصلة القرابة العنصرية الساميَّة بين السريان العرب فان ادارة حكومات الدول العربية الحديثة كامر طبيعي تحترم وتشمل بعطف حنانها وعنايتها الخاصة جميع طوائف الامة السريانية واقسامها اسوة بسائر السكان وطبقا للاوامر الدينية الاسلامية والايات القرآنية المنزلة التي توصي بهم خير واحتفاظهم في ذمة الاسلام. ومثل هذه الدول العربية الاسلامية فان دولتي ايران وتركيا ايضا حيث يعيش مئات الالوف من السريان تشملان بحسن رعايتها وعنايتها جميع طوائف الامة السريانيه وتحترم تقاليدها نظرا لما تحتوي عليه من الغنى الادبي الموروث والمتبقي من قدماء السريان ويمتد هذا العطف والحب العام الى كل الطوائف السريانية المختلفة والمنتشرة حاليا في بلاد الهند واوروبا واسيا واميركا واستراليا حيث البعض من دول هذه القارات يعلّمون باهتمام شديد اللغة السريانية في جامعاتهم الكبرى نظرا لتأثيرها في الثقافة والمدنية العالمية الحالية، التي منها وبها يمكن لشعوب الارض وامـمهـا من معرفة اتجـاه المدنية الحالية ومصيرهـا في الازمنة المقبلة.

ومن فحوى هذه المقالات يمكننا ان نتبين ونعلم بان شكل ونهج سير الامة السريانية او سيرها الطويل الامد عبر تاريخها الغامض والمعقد شبيه حلقة او دائرة كبيرة قائمة بيضاوية الشكل ذات صعود وانحـدار تُقسم الى ستة مراحل، وثلاث حقبات تقريبا، يمكننا ان نسميها مراحل وحقبات تاريخية، تسير الاخيرة منها الى حيث بدأت الاولى، لتصل نهايتها الى نقطة انفصال المرحلـة الاولى والحقبة الاولى البدائية، بموجب حكـم التاريخ لاجل اعادة السير حول الدائرة الزمنية بموجب التطورات الزمنية

واحوال الحياة الاجتماعية المقبلة. وفي هذه الحالة قد نرى ان مجموع حياة الامة بلغ نحو العشرة الاف سنة المنصرمة، التي بدأت صعودا في سيرها حول الدائرة مع مدار الزمان منذ ختام العصور الحجرية لمدة الخمس والسبعين قرن وثم سارت انحدارا في مدة الخمس والعشرين قرن المنتهية حاليا، فيكون مجموعها نحو مئة قرن او عشر الاف سنة.

ويجب علينا ان نتذكر الان بان اثناء سير الامة في طريق الحياة الطويلة قد اصطدمت بعدة عراقيل وصعوبات زمنية كانت تعرقل احيانا متابعة سيرها المدني الى ان محت الكثير من معالم اعمالها الانشائية والمدنية كما قد يتذكر القاريء اللبيب من قصة الطوفان الكبير الذي محى واباد معظم الاعمال والانجازات المدنية بين الحقبة الاولى والثانية. اثناء تجديد السير المدني نحو الرقي في المرحلة الثانية فوجأت البلاد السريانية بهجمات القبائل الارية من الشمال متحدرة من جنوب روسيا وبلاد القفقاس في عهد فرام سين حفيد سركون الاول وذلك اثناء الالف الثالث (ق.م) وثم تلتها هجمات القبائل البدوية وقبائل مادي وفارس وقابلها فيما بعد من الغرب الشعوب الاغريقية او اليونانية ومن بعدها الروم او الرومان، الى ان اخيرا جاء العرب من الجنوب وقضوا عَلَى حكم تلك العناصر الغير السامية وثم لحقهم الاتراك والصليبيون والمغول والتتر والعثمانيون وغيرهم من كل الجهات الى ان اصبحت تلك الاوطان ميادين حروب متوالية لعشرات الاجيال قُضي فيها عَلَى معظم معالم المدنية السريانية وصارت معظم مدنها وقراها اتلالا متراكمة تحت انقاض الخراب.

وبالنظر الى الشكل المعروض هنا في اخر هذا الكلام والذي قد يمثل خياليا شكل مسير الامة السريانية في مضمار حياتها الطويلة يمكننا

ان نعتبر المرحلة الاولى مقابل المدة التي فيها تكونت نقطة انفصال الامة من انظمة حياة العصور الحجريـة الاخيرة الى انظمة القبائل والعشائر وانتقالها الى بدء الحياة المدنية الراسخة الاركان وبداية سيرها صعدا نحو التقـدم المدني والثقافي وتركيز حياتهـا الاجتماعيـة بموجب الايحاء الديني. وتكونت من تلك العناصر البدائية وتطورت الى شعوب نشأت ونمت عَلَى حياة الفلاحة وزراعة الارض وتربية المواشي. ورسخت اقدامها اولا في الاماكن الشمالية لما بين النهرين وغيرها من الاماكن المائية او في جوار نهري الفرات والدجلة وفروعهمـا. ومن هنالك امتدت المدنية البدائية الى المناطق الجنوبية لما بين النهرين حوالي الالف الخامس (ق.م) وذلك بعد ان جاء الطوفان وقضى عَلَى معظم معالمها.

هنالك في الشمال والجنوب ازدهرت الحياة المدنية الراسخة القدم اولا بقيام الانشاءات العمرانية كالبيوت والقرى والدساكر التي تطورت فيما بعـد الى مدن وحواضر كبرى مثل نينوى واشور وبـابل وكثيرات غيرها. وبمـا ان في تلك المناطق الشمالية العالية بـدأت اولا ظواهر المدنية السريانية الراسخة. فقد سميت باسم بلاد «اشور» ومعناه البدائية او الاولية والازلية وثم باسم بلاد ارام وهذا الاسم يعني العالي او اعالي ما بين النهرين او القاطنين في اعاليها. ولكلتا التسمتين قد أُعطيت او اسبغت عبارات ذات معان لاهوتية دينية فكلمة اسور تعني بالسريانية الاله الاول او الاله الازلي وكلمة ارام تعني بالسريانية العالي والعلي او الله العلي ومن هـذه العبارات الدينية تطورت العبارات العامة كقولك : الله تعالى، ومن هنـا نتأكد ان حياة الشعوب السريـانية او الشعوب الساميّة الاولى والبدائية قد ظهرت اولا في الاماكن العالية او اعالي ما بين النهرين

الشمالية ومنها انحدرت جنوبا، ثم امتدت الى سائر اقطار العالم القديم حوالي الالف الخامس (ق.م) او حالا فيما بعد الطوفان كما يروي الكتاب.

ومن مراجعة قصة الطوفان الكبير يبدو لنا جليا بانه في بداية الحقبة الثانية هبطت اقوام من العناصر السريانية من اعالي بلاد اثور وارام واستوطنت بعد الطوفان المناطق الجنوبية لما بين النهرين بين الالف الخامس والرابع (ق.م) وقد اصبحت عادة متبعة حتى الان حيث تتنقل قوافل كبيرة من رعاة وغيرهم من الجبال في الشمال الى السهول والبراري في الجنوب انتجاعا في طلب الكلأ والعشب. هنالك ايضا بعد الطوفان الكبير كان قد استوطن السومريون والاكاديون ودعيت باسماء مركبة مثل سنعار او سين اور ويعني «نور القمر» وباتحاد سومر واكاد تكونت دولة بابل المركب اسمها من باب ايل الذي يعني الطريق، او الباب الالهي، المؤدي الى الله. فلهذه الاسباب ما زال يوجد اصطلاحات وكلمات عديدة في لهجة سريان طور عابدين وهيكاري تشبه كثيرا اللهجة الاكادية. واثناء هذه الحقبة الثانية ظهرت ايضا عدة دول وممالك وامبراطوريات من اتحاد سكان المدن والشعوب السريانية اشهرها دولة اثور او اشور ودولة بابل ودول الارامين والكنعانيين التي من مجموعها واتحادها معا تكونت الامة السريانية ومدنيتها وثقافتها. ثم نتذكر بان اثناء الالف الثالث (ق.م) الذي ينتهي في القسم الاخير منه الحقبة او المرحلة الثالثة ونعلم بانه احيانا بسبب بعض التطورات المدنية كانت تحدث مشاغبات وحروب اهلية داخلية بين ممالك المدن في سبيل توحيدها وضمها الى جسم الامة ومثل هذه الاحداث كانت عاملاً قويا لتنقل بعض السكان من مواطنهم وتهجيرهم الى اماكن ونواح أخر بعيدة كما صادف وحدث اثناء انشاء بابل واعلاء برجها الشهير.

وهكذا فان هذه الاقوام السريانية او القبائل السامية الشمالية انتشرت منذ اوائل الالف الثالث (ق‌م) شرقا الى مادي وفارس وعيلام وباكستان وحتى الهند. وغربا الى اسيا الصغرى وجنوب اوروبا. وشمالا الى البلاد الواقعة بين البحر الاسود والقزوين. وجنوبا الى شبه الجزيرة العربية وشمال وشرقي افريقيا. واثناء ذلك التبلبل او التشتت والتفرق وتوزيع تلك العناصر السامية الشمالية اشتهرت بعض ممالك الشعوب السريانية التي منها كانت دولتي الاشوريين والاراميين في الشمال ودولتي سومر واكاد او البابليين في الجنوب، والفروع التي خرجت منها كالعاموريين والفينيقيين والعبرانيين الذين كلهم كانوا قد احدثوا مدنيات محلية متنوعة تكونت من مجوعها واتحادها، الثقافة والمدنية السريانية العامة التي اصبحت ركنا متينا ترتكز عليه الان المدنية العالمية الكبرى.

اما حركة اتحاد الامة السريانية كانت قد بدأت اولا في الالف الرابع (ق‌م) وذلك بفضل همة كلكمش ملك ارخ (في العراق) واور نعمه وثم بهمة من جاء بعدهما من ملوك بابل واثور. وامتدت تلك الهمة الى ازمنة ملوك بابل مثل سركون الاول، وحفيده نارام سين وبعده عمورابي. وهكذا سارت تدريجيا حتى انتهت وتحققت اهدافها الاتحادية بهمة وزعامة ملوك اثور مثل شلمن اسر الاول (١٢٧٣ ق‌م) وتغلت بل اسر الاول (١١٢٠ ق‌م) وغيرهما من ملوك اللاحقين الى ان في اوائل القرن العاشر (ق‌م) كان قد تم اتحاد جميع شعوب الامة السريانية وممالكها اتحادا متينا دينيا وثقافيا او مدنيا وسياسيا. وبزعامة السريان الاشوريين اصبحت اثور اول واقوى مركز لقيادة الامة بقوتها الزمنية حتى ايام سقوط نينوى العظيمة عاصمة الاشوريين سنة (٦٠٦ ق‌م) من شاهق عزها ومجدها الزمني.

وبعد سقوط نينوى كان قد انتقل مركز قيادة الامة السريانية الى بابل حتى سنة ٥٢٨(ق‌م) ثم سقطت بابل في قبضة الفرس وملكهم قوروش. ومنذ القرن الثالث عشر (ق‌م) كانت قد عمت التسمية السريانية ـ سوريوتا ـ بين كافة عناصر الامة وشعوبها وتفوقت عَلَى بقية الاسماء القومية بسبب التفوق الزمني الذي كانت قد احرزته الدولة الاشورية وتبعها بالمزاحمة التسمية به اسم اللغة الارامية ايضا الى ان هي ايضا تعرف تدريجيا باسم اللغة السريانية. وهكذا اخيرا او قبل بزوغ فجر النصرانية، نحو خمسمئة سنة كانت التسمية السريانية قد عمت معظم اجزاء الامة حيث كانت التسمية الارامية متفوقة. ولما بلغت الامة اواخر القرن الثالث بعد الميلاد تفوقت نهائيا «التسمية السريانية» بالفاظها المتعددة مثل سوريا وسوريوتا وسوريو وسوريوتا الى ان استتب لها الامر نهائيا. ومنذ ذلك الحين بطلت التسميات الاخر المتنوعة كالبابلية والكنعانية والسومرية والاكادية والعامورية بين العامة، وكانت لا تذكر الا لاسباب ضرورية وغشاها ستار النسيان ودخلت في طيات التاريخ، وتحولت كافة توجيهات الامة وجهودها في المدة الماضية والمقدرة بنحو خمسة وعشرين قرن الى التقدم الثقافي، وخاصة الديني لاجل تحسين نواميس حياة البشرية لتكون صالحة لخدمة الجميع دون استثناء، كل ذلك تحت التسمية السريانية، دينيا وثقافيا.

ولذا نرى بانه منذ الالف الثالث (ق‌م) اخذت تمتد الفتوحات السريانية الى اقاصي الهند شرقا والى شواطيء المحيط الاطلسي غربا وبلغت الامة اوج العظمة الزمنية ثقافيا ومدنيا قبل غيرها، وسبقت بتقدمها المدني كافة الامم المعاصرة ودام لها المجد الزمني نحو ثلاثة الاف سنة، ثم آل نحو الانحدار اثناء الستمئة سنة السابقة لبزوغ فجر النصرانية،

بعد نضوج ثقافي بلغت نتائجه وفوائده كافة البشر واما زال مفعولها ساريا في ثقافة ومدنيات شعوب الارض واممها حتى اليوم•

اما المرحلة الاخيرة والممتدة منذ الخمسمئة سنة السابقة للنصرانية والمنتهية في القرن العشريني الحالي والتي تظهر في الشكل المشار اليه في الصفحة ١٦ • ففي القسم النهائي من الدائرة الزمنية او المرحلة الاخيرة الدالة عَلَىَ تبدل احوال الامة سياسيا وانحدارها من انظمة الدول الكبرى في اثور وبابل الى مستوى او انظمة الدول الصغرى التي عُرفت باسم الدويلات الارامية الاخيرة، فيها عاشت تحت نير الاغراب كالفرس واليونان والرومان نحو الف سنة• وذلك منذ ايام سقوط نينوى وبابل والى ازمنة بدء انهيار دولة الرومان الشرقية في القرن السابع الميلادي، واما في القسم الثاني من هذه الحقبة انحدرت الامة السريانية ايضا من انظمة الدويلات الارامية الى انظمة الطوائف السريانية الحالية• كما وان اجزاء اخر انفصلت عن جسم الامة في احوال وظروف متعددة منها انضمت الى شعوب اخر كالفرس والاتراك ومنهم اسلموا وتعربوا. ولم تزل حتى الان عملية الانفصال والتسرب والاندماج في العروبة والاسلام سارية دون انقطاع• واما الباقون ينتمون الى هذه الطوائف الخمس المقيمة في اوطانها الاصلية تحت حكم الفرس والاتراك والدول العربية الحديثة•

واخيرا يمكننا ان نستنتج هنا بانه كما بدأت هذه الامة في مسيرتها او جولتها حول الدائرة الزمنية، بجماهير فطرية بدائية مكونة من عدة عوائل وفصائل وعشائر وقبائل متشابهة ومتقاربة في العنصر واللهجة منذ نحو عشرة الاف سنة خلت، هكذا ايضا فقد وصلت الان الامة السريانية

في سيرها الى اواخر المرحلة السادسة بشكل مكون من فِرق طائفية وملل كنائسية معروفة بالاقليات الدينية السريانية المنتمية الى عنصر واحد ولغة واحدة هي السريانية، ذات نضوج ثقافي ومدني ترصع بـه جيد المدنية العالمية الحاضرة٠ وان قيام الكيان السرياني وبقاءه حتى الان رغم كل النوائب والصعوبات الزمنية واستمرار لغته السريانية في حيـاة التداول الى الان بين أكثر من اربعة ملايين من الناطقين بها في الاقطار الشرقية، وخاصة وبالاكثر بين الدول العربية الحديثة لدليل كاف عَلَى متانة وجودة ودوام مدنية السريان وثقافتهم ومفعولها الناجع في حياة الامم٠ فبعدان وصلت هذه الامة الى نهاية مرحلتهـا الاخيرة تكون قـد اكملت جولتها حول الدائرة الزمنية، ذات الستة مراحل، ويبدو انها ستعيد مسيرتها ثانية حول الدائرة الزمنيه مبتدأة في هذه المرة ايضا بضرورة توحيد طوائفها كما بدأت في المرة الاولى بتوحيد قبائلها وعشائرها٠ وبالمقابلة نرى ان شعوبا وامما كثيرة، غير سريانية، قد ظهرت عَلَى مسرح الوجود دون ان يتسنى لها البقاء طويلاً ودون ان تقدر ان تتابع مسيرتها حتى النهاية كما سارت الامة السريانية واكملت مسيرتها٠ وهي عَلَى استعداد لمتابعة السير من جديد. ولذلك يمكننا ان نتخذ من حياة هذه الامة ومن جهادها الطويل في سبيل البقاء منهجا او مقياسا لحياة سائر الامم الخالدة ومثالا يحتذى به ويطبق عَلَى حياة وسير الامـم والشعوب التي عاشت واشتركت في تكوين المدنية العالمية؛ واسدت باستمرار خدماتها المثالية والمستمرة لفائدة كل البشرية٠

فالامة السريانية الحاضرة باجزائها واقسامها الطائفية والكنسية التي وان تكن مجرّدة من السلطة والقوة الزمنيتين او من التمثيل السياسي بين الامم لاعتمادها المطلق عَلَى انظمة مدنية الدول المقيمة فيما بينها، فانها ما

زالت تُعتبر امـة حية وخالدة، ثقافيا ومـدنيا ومرتبطة الاوصال بوشائج عنصريتها او كيانها الخاص ولغتها السريانية الدارجة بينها حتى الان. وهي ما زالت في هذه الاحوال الاخيرة تسير مجاهـدة في حقل التقدم الثقافـي والمدني عن طريق معاهدهـا الدينية والعلمية مسترشدة بهدي وتوجيه مثقفيها وعلمائها وائمتها الدينيين لمتابعة السير في سبل الفضائل الحسنة المرتكزة عَلَى قوة المحبة الالهية المقرونة بالمحبة البشرية لاجل اسعاد الانسان في هذه الحياة بعد انقاذه من مخاوف الحياة وليتمتع برجاء امل في حياة روحية مقبلة او بسعادة ابدية عتيدة، التي كانت ولم تزل من اهداف ومرامي الثقافة السريانية الدينية منذ القديم او منذ ان تأسس ركن الحياة المدنية.

لقد تبين من سياق حديثنا في هذه المقالات عن تطور حياة الامـة السريـانية ومسيرهـا الطويل في مراحلهـا الزمنية، منـذ ختـام العصور الحجرية عبر التاريخ، وعلمنا بانها غطت في سيرها الطويل مـدة تناهز العشر الاف سنة تكونت فيها عناصرها اولا من اتحاد عائلات بدائية وعشائر وقبائل متآخية ومتقاربة التي بموجب سنَّة التطور، نمت وازدادت وكثرت وازدهرت مدنيا وثقافيا في الاوطان السريانية الممتده من اواسط ايران والى الشواطي الشرقية للبحر الابيض المتوسط، الى ان صارعتها ونازعتها شعوب ودول وممالك وهي قائمة عَلَى انظمة حكومية مركزية متحدة بزعامة اسور وبابل وداومت في سيرهـا نحو الرقي والتقدم الثقافي والمدني. وبعد ان قادت العالم القديم وادخلته في نطاق ثقافتها ومدنيتها الصالحة والقديمة العهد، آلت نحو الضعف والانحـدار مرغمة بعوامل خارجية وداخلية الى ان وصلت اولا الى نظام الدويلات السريـانية الارامية وثم

الى نظام الطوئف السريانية الحالية، بسبب اجتياح الغزاة لاوطانها منذ نحو خمسة وعشرين قرن. ولقد تبين ايضا بان الاسباب الرئيسية لبقائها الطويل في هذا الوجود، دون ان تتعرض للزوال النهائي، كانت شدة عصبية عناصرها وقوة فاعلية ثقافتها ومتانة عقائدها وتصاميمها العظيمة في انشاء مدنيات راسخة وقائمة عَلَى مبادئها الدينية ذات الاهداف والفضائل الحسنة واخلاصها لمحبتها للبشرية، لاجل توحيدها وشدها بروابط متينة وعلاقات حسنة للوصول بها الى سعادة العيش وهنائه ضمن الامن والسلام الدائم، وذلك بتوجيه عقليتها وتسديد افكارها نحو اله واحد الذي هو الله تعالى محب البشر.

وفي قيام هذه الامة بمثل هذه المباديء وسعيها الحثيث للوصول الى مثل هذه الاهداف الصالحة والنافعة للبشرية تمكنت من ان تنتقل بالبشرية من نظام حياة الغابة اثناء العصور الحجرية الى انظمة الحياة المدنية المسالمة والقائمة بثبات عَلَى دعائم الثقافة النيرة التي اوجدها ابناء الامة السريانية عبر التاريخ والتي لم تزل الى الان تهدي البشرية بتأمين المسالك في حياتها وابعادها عن شر مخاوف الاخطار المُبيدة.

وبنظرة الى الوضع الحالي قد نرى ان الامة السريانية اصبحت الان عَلَى وشك انهاء سيرها في مرحلتها الاخيرة وهي المرحلة الطائفية، متجهة الى نقطة الانفصال او المرحلة الاولى التي منها انطلقت وباشرت مسيرتها الاولى منذ نحو عشرة الاف سنة، لاعادة سير الامة السريانية ثانية حول الدائرة الزمنية بشكل مُبهم لا يعلمه الا الله تعالى.

المقالة الخامسة

مراحل الامة حول دورتها الزمنية
بدء المرحلة الاولى او نقطة الانفصال

زيادة في الايضاح التاريخي نورد هنا شرحا ملخصا عن خلاصة المقالات السابقة الدالة بايجاز عَلَى مراحل حياة الامه السريانية، وتطوراتها الزمنية اثناء سيرها حول دورتها الزمنية منذ ختام العصور الحجرية حتى هذا القرن العشريني، متجهة تقريبا الى اخر الدورة او الى نقطة الانفصال كما يظهر في الشكل المبين في المقالة الاولى، مشيرا بالتفصيل الى الازمنة او المرحل التاريخية التي انجزتها عَلَى وجه التقريب الزمني. وبالنظر الى قدمية هذه الامة ودوامها الطويل في الحياة حتى الان بقوة ثقافتهـا يمكننا ان نعتبرها تـاريخيا : امـة خالدة عنصريا ولغويا وثقافيا ومدنيا، لحيازتها عَلَى مزايا حيوية فاضلة لم يتسنى مثلها لسواها من الامم والشعوب، لعلمنا بان أُمما كثيرة قد ظهرت عَلَى مسرح العالم وزالت من الوجود بعد زمن قصير من الحياة لاسباب وجدت فيها، دون ان تترك اثارا مدنية نيرة، وثقافة صالحة تفيد البشرية عامة، كما تركت الامـة السريانية في كل ادوارها والتي ما زالت كقوة كامنة خفية تسيّر المدنية العالمية حتى هذه الازمنة.

المرحلة الاولى

وهي حقبة او فترة زمنية بدأت منذ نحو عشرة الاف سنة (قم) امتدت من اواسط الالف الثامن (قم) خلالها نشأت الامة السريانية، وظهرت اولا من تجمعات بشرية مرتبطة بحكم القرابة الدموية، بشكل عيال وقبائل، او عشائر بدائية متآخية ومتقاربة عنصريا ولغويا واجتماعيا.

وفي تلك الفترة الزمنية الطويلة كانت قد انتقلت تلك «التجمعات البشرية» من فوضة حياة العصور الحجرية، الى نظام حياة الزراعة وفلاحة الارض وتربية المواشي والحيونات الداجنة، وهو نظام ظهر اولا في الاماكن الشمالية المائية العليا لما بين النهرين، بجوار الفرات والدجلة وفروعهما. ومن ثم امتد الى الاقاليم الوسطى والجنوبية. وبواسطة ذلك النظام الزراعي اعتادت تلك «التجمعات البشرية» عَلَى تأمين الحصول عَلَى قوتها دوما، بدلا من الحصول عليه بالتوغل في الغابات والاحراش بواسطة الصيد والقنص او بالالتقاط إتماما لرغائب الفطرة والغريزة اثناء العصور الحجرية. وفي ازمنة هذه المرحلة الاولى بفضل همم تلك العشائر والقبائل البدائية، التي منها نشأت وتطورت فيما بعد عناصر وشعوب الامة السريانية ولهجاتها اللغوية المتعددة بحسب اماكنها واقاليمها، كانت قد بدأت تظهر الانشاءات العمرانية البدائية كالبيوت والدساكر والقرى عَلَى وجه اوطانها الممتدة آنئذ من اواسط ايران الحديثة والى الشواطيء الشرقية للبحر الابيض المتوسط، وكانت كلها بمثابة المآوي المحاطة بانواع الحقول والمزارع والمراعي الخصبة للالتجاء اليها والاعتماد عليها

عند الحاجة بدلا من المغاور والكهوف وشقوق الارض او اعالي الاشجار التي كان يلتجئ اليها الانسان البدائي في العصور الحجرية هربا من الوحوش الضارية واخطار الطبيعة. وبفعل تأثير وتوجيه ذلك النظام الانشائي واساليبه تكونت للامة انظمة حياة مدنية تقدمية، واساليب حياة اجتماعية صالحة نتجت منها باستمرار العلوم والمعارف والصنائع والفنون وثقافة ممتازة سيّرت انظمة حياتها المدنية نحو التقدم المنشود. وبحسب تلك الاوضاع الاجتماعية وتطوراتها، فقد اكتسبت بعض تلك القبائل والعشائر اسماءا حاملة معانيها السريانية الدالة عَلَى اوضاعها او مفاعيلها وذلك مثل اسم «اسور» ويعني الاول او بداية الحياة، واسم «اكار» او الاكاديين الذي معناه الفلاح او المزارع او العامل (وليس اكاد الفارغ المعنى) واسم اهيه الذي يعني الحياة. او إلـه الحياة الذي هو الله تعالى، واسم مردوخ الذي يعني «سيد المكان او الاله المحلّي» وملك ارع او ملخ ومعناه ملك الارض، ورعمون او ريمون او حتى را الذي يعني الرعد بمعنى اله الرعود والبروق والأمطار، واسم سومر ومعناه السماء المضيئة او المنيرة، واسم بابل الذي يعني الباب الالهي او الطريق المؤدي الى الله، واسم ارام الذي يعني العلي او العالي او الاماكن الجبلية العالية. واسم سنعار ومعناة نور نور القمر.

المرحلة الثانية

ومع مرور الزمن، سارت تلك القبائل والعشائر البدائية بتقدمها المدني في مضمار الحياة الاجتماعية الى ان وصلت في سيرها الى ازمنة المرحلة الثانية الممتدة منذ نحو الالف الثامن الى الالف السادس قبل

الميلاد، فيها تطور الكثير من تلك الدساكر والقرى فتحولت الى مدن وحواضر كبرى تشكل منها وحولها نظام حكومات المدن، وثم حكومات الممالك والدول حيث نشأ وازدهر الكثير من العلوم والفنون كالكتابة والقراءة والخطوط الصورية او الكتابات الرمزية التي تطورت فيما بعد او اثناء العصور المقبلة الى الخطوط الاسفينية والحروف الابجدية التي بها كتبت ودونت اللهجات السريانية القديمة، المتنوعة والمتعددة، ومعالم الامة التاريخية لفائدة الاجيال البشرية الصاعدة والاحقاب المقبلة. ومنها ايضا امتدت فوائد استعمال تلك الخطوط والكتابات وتطوراتها الى امم وشعوب العالم القديم؛ ووصلت الى ايامنا هذه. وبمفعول ذلك التقدم المدني والازدهار الثقافي طبيعيا تكوّن لسكان المدن والقرى نواميس واساليب حياة اجتماعية صالحة لعامة الشعب. وبسبب حسن العلاقات والروابط الصالحة بين تلك التجمعات البشرية اخذت طبيعيا تتقدم الامة في سيرها نحو الرقي المدني الاسمى الذي فاض عنها وامتد سيله الى اقاليم وبلدان العالم القديم.

المرحلة الثالثة

وهي المدة الممتدة منذ اوائل الالف الخامس وحتى اواسط الالف الرابع (قم) التي فيها ثبت نظام حكم الممالك والدول الاولى او الحكومات الاقليمية والمحلية لكافة مناطق الاوطان السريانية، لاجل ادارة وحماية السكان المواطنين عامة والدفاع عنهم بشتى الوسائل الممكنة ضد الغزوات او هجمات الهمجية والوحشية من الخارج. وهكذا في هذه

الاثناء ظهرت الممالك السريانية الكبرى ودولها وحكوماتها المحلية او المركزية بزعامة ملوكها واحبارها، مثل دولة الاشوريين في شمال ما بين النهرين وسوريا، ودولة البابليين في الاقاليم الجنوبية، ودول الاراميين والكنعانيين في سوريا وفلسطين والأردن وسيناء. وبقوة فاعلية ذلك التقدم الأدراي اتحدت فيما بعد شعوب وممالك تلك الدول الاقليمية وشكلت وحدات دولية كبرى صارت اول واعظم امبراطوريات عرفها العالم القديم، كامبراطوريات السريان البابليين وامبراطوريات السريان الاشوريين. وفي معظم تلك الأزمنة كانت الامة السريانية تسير صعداً في معارج مجدها وازدهارها الزمني مدفوعة بقوة عظمة ثقافتها الواسعة ورقيها المدني، منقادة اداريا لزعامة الاشوريين خاصة الذين من اسمهم تكون الاسم السرياني او اسم الامة السريانية، الى ان هكذا بجهودهم وهممهم اصبحت برمتها امة متحدة ذات سلطات سياسيه روحية وزمنية قوية في داخل الأوطان وخارجها، وصارت المدنية السريانية وثقافتها ركنا ابديا للمدنية والثقافة العالمية الحاضرة والتي منها نشأت وعليها قامت وثبتت حتى الان.

المرحلة الرابعة

وهي مدة بدأت منذ اواخر الالف الرابع قبل الميلاد وامتدت الى سنة ٦٠٦ او ٥٢٨ (قم)، في خلالها صارت الامة السريانية اول واعظم قوة عالمية مدت سلطانها الزمني واساليب حكمها وانظمة مدنيتها وشرائعها ونواميسها الدينية الى معظم اقاليم العالم القديم المعروف آنئذ، وبسطت نور ثقافتها بين الامم والاقاليم القريبة والبعيدة بواسطة تثقيف وتعليم

العالم وتلقينه القراءة والكتابة عن طريق استعمال الحروف السريانية المنتشرة حتى الان بين كافة الامم المتمدنة. وفتحت طرق المواصلات العالمية الاولى متخذة من اثور وبابل مراكز اتصال بتلك الطرق السلطانية الممتدة من اثور في المنطقة الشمالية الى الصين شرقا والى ايبريا في اوروبا غربا، ومن بابل مركز اتصال الطرق السلطانية في المنطقة الجنوبية الممتدة الى بلاد الهند والسند شرقا والى المحيط الاطلسي او غربي افريقيا غربا. وربطت تلك الطرق السلطانية بعدة فروع أُخر ومواصلات برية وبحرية تعبر البحار وتشق البراري والصحاري والجبال والاودية، تتناقل عليها الجيوش والعساكر والقوافل التجارية والبعثات العلمية والثقافية لنشر مباديء المدنية السريانية في كل اقطار العالم القديم، الى ان نهضت هذه الامة الخالدة بالبشرية وايقظتها من كبوتها، وسارت بها قِدماً نحو التقدم المدني والثقافي. ولا نبالغ اذا قلنا كما يقول علماء التاريخ العصريين بان بضياء وشعاع نور المدنية السريانية وثقافتها تستضيء حتى الان المدنية العالمية الحالية، ولولا المدنية السريانية لما وُجدت او كانت هذه المدنية العالمية الحالية.

الا انه في ختام المرحلة الرابعة او بعد سقوط اشور وبابل كانت الامة السريانية قد انهكت قواها واستنفدتها، ودخلت في اطوار وادوار الشيخوخة والضعف والانحلال او الانحدار الزمني بسبب استنزاف واستهلاك امكانياتها المادية والحيوية، التي ضحّت بمعظمها في سبيل احياء المدنية العالمية وانقاذ البشرية وانهاضها من كبوتها. وهكذا بعد ذلك البقاء الطويل وجهادها في معركة الحياة آلت شمس الامة السريانية ومالت نحو الانحدار الزمني وانكمشت او تقلصت قوتها وامكانياتها، الى

ان اصبحت هي واوطانها عرضة لاجتياح الغزاة والعناصر الخارجية المعادية، الذين بعد اقتحامهم الاوطان السريانية، قسموا وحدة الامة وبلادها الى عدة اقطاعيات او دويلات صغيرة مجردة من كل وسائل الدفاع بقصد الاستيلاء الدائم عَلَىَ مصالح الامة ومرافقها واشباعا لمطامع غرائزهم اللانهائية. ومن جراء ذلك انحل الكثير من انظمتها الوطنية والقومية، وانفرط عقدها بعد دوام في الحياة لم تبلغه اي امة أخرى لا من قبلها ولا من بعدها. ومن جراء ذلك الوضع تدفق سيل اقوام كبرى من السريان الى خارج نطاق امتهم واندمجوا في عناصر غريبة عنهم، وشكلوا معها امما وشعوبا أُخر تحت تسميات غير سريانية، الى ان هكذا ضاعت تلك الاقوام نهائيا، من الارومة السريانية حاملة معها اقساما واجزاء من معالم المدنية والثقافة السريانية التي نشرتها بين العناصر العالمية المختلفة، واثارت بها اسبابا ودوافعا ليقظتها المدنية فاصبحت ضمن خليط عناصر عاملة لتخصيب المدنية. واما الباقون والمحتفظون بعنصرهم السرياني فقد استمروا مثابرين عَلَىَ سيرهم الحثيث نحو الرقي الثقافي والنضوج المدني، مدفوعين بقوة النشاط الحيوي الموروث عن الابناء والاجداد الغابرين، ومدججين ومسلحين بغنى ثروة ثقافتهم الدينية والمدنية التي تمموا واحسنوا تطبيقها بنجاح عَلَىَ حياتهم وحياة الامم والشعوب الاخرى كاليونان والرومان والفرس والاعجام وغيرهم ممن أُرغموا عَلَىَ نبذ اديانهم الخاصة، واعتناقهم مبادىء الاديان السريانية كالنصرانية مثلاً التي كانت قد نتجت عن عصارة وخلاصة الثقافة الدينية السريانية، كما تبين في كلامنا السابق.

وهكذا نرى ان اليونان والرومان الذين اجتاحوا الاوطان السريانية حاولوا تطبيق مدنيتهم اليونانية الهلنستيكية عَلَىَ الشعوب السريانية ولم

يفلحوا، بل واضطروا ان يعتنقوا هم ايضا اديان الثقافة السريانية ومدنيتها عن طريق الديانة النصرانية وليدة الثقافة السريانية التي لم تزل حتى الان تنير مدنية العالم، ذلك لان اديان اليونان والرومان كانت مجردة من الرجاء بحياة نيرة ابدية المومى اليها في الاديان السريانية.

ولذلك نرى ان اواخر هذه المرحلة كانت ايضا ازمنة جهاد السريان منحصرة في تثقيف العالم بواسطة الاساليب الدينية والمدنية رغم انحدارها وانحرافها الى الضعف والانحلال الوطني والقومي الخاص وهي مجردة من قوة اسلحة الدمار، التي قاومتها بالتسلح الادبي والفضائلي.

المرحلة الخامسة

وهي مدة تقدّر باكثر من الف سنة، خلالها ظهرت الامة السريانية بمظهر الضعف الزمني لاسباب عديدة ادت الى انقسامها الى دويلات سريانية ارامية ظهرت منذ سقوط دولتي اثور وبابل ٦٠٦و٥٣٨(ق م) وبقيت الى نحو ٦٤٠ ميلادية، التي منها كانت دول حدياب والحطر، وتدمر والرها، والانباط والغساسنة، وفينيقية والجليل. وخلال هذه المدة وفي ذلك الوضع، ظهرت الديانة المسيحية والديانة الاسلامية وثم العروبة. ومعظم اهل هذه الدويلات السريانية الارامية دخلوا فيما بعد في العروبة والاسلام ومنها تتكون الان شعوب الدول العربية الحديثة كالعراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين وسيناء.

ويبدو انه في اثناء حياة تلك الدويلات السريانية الارامية او في المدة السابقة لدخولها في العروبة، كانت قد عادت جزئيا الى استعمال

التسمية «الارامية» التي اخذت تزاحم من جديد التسمية «السريانية» المحرفة من التسمية الاشورية او الاسورية كما سبق وتبين. ويبدو ايضا انه بسبب انهيار مجد اسور الزمني وانتشار اللهجة الارمية وتغلبها عَلَى جميع اللهجات السريانية الاخيرة، كانت قد انبعثت من جديد التسمية الارامية. بيد انه في اثناء بزوغ فجر النصرانية عادت الغلبة والتفوق التسموي للاسم السرياني وطُبق بسرعة هائلة اسم السريان دينيا وثقافيا ولغويا عَلَى جميع المتعصبين المنصرانية. وانحصرت التسمية الارامية في البقية الضئيلة، وخاصة في حرّان الذين لم يعتنقوا النصرانية الى ان دخلت اخيرا في التاريخ منذ اواسط القرن العاشر للنصرانية، وذلك عندما اسلم وتعرّب نهائيا سكان حران المعتبرين تاريخيا اخر الاراميين. ومنذ ذلك الحين والى اليوم بقيت التسمية السريانية هي الشائعة في كل الاقطار عَلَى جميع اجزاء واقسام وطوائف وكنائس الامة السريانية وتناسى القوم التسمية الارمية مع سائر اسماء شعوب الامة السريانية القديمة التي منها كان السومريون والاكاديون والاشوريون والبابليون والكلدانيون والكنعانيون والفينيقيون والجليليون، وحل محل تلك الاسماء كلها الاسم السرياني، دينيا وقوميا ولغويا. وسميت مجموع اوطانها باسم سوريا Syria

وبعد سير هذه الامة مدى الالف سنة بشكل انظمة الدويلات السريانية الارامية التي خلالها دامت الامة ضعيفة ومنقسمة ومحكومة لنير مادي وفارس، ونير اليونان والرومان، فقد وصلت في سيرها الى مرحلتها هذه الاخيرة التي نحن فيها الان وهي التي تشمل هذه العصور الاخيرة.

المرحلة السادسة

وتبدأ منذ نحو سنة ٦٤٠ (م) وتمتد الى اواخر القرن العشرين الحالي، دون ان تصل الامة في سيرها هذا الى اخر الدائرة الزمنية المشار اليها سابقا. وكلها تقدر بنحو الالف والاربعمئة سنة الاخيرة، خلالها تحولت الامة من نظام الدويلات السريانية الارامية الى نظام الطوائف السريانية او «الكنائس المسيحية» المكونة من فِرق دينية كبرى تنقاد بادارتها الروحية الى احبارها وائمتها الدينية، كالبطاركة والمطارنة وغيرهم من العلماء والكهان، وبسبب انقسامها هذا، فهي اشبه بالفِرق والعشائر البدائية المشار اليها في المرحلة الاولى، التي كانت مسيّرة ومنقادة بزعامة الشيوخ وروءساء القبائل والعشائر البدائية. الا ان تلك كانت حرة ومطلقة في سيرها، واما هذه فانها مسيّرة بالادارات المدنية الزمنية الغير السريانية. واشهر هذه الطوائف الدينية هي كنيسة السريان الكلدان وكنيسة السريان الاشوريين وكنيسة السريان الموارنة وكنيسة السريان الارثوذكس وكنيسة السريان الكاثوليك. وكلها تُعد طوائف محافظة عَلَى الكيان واللغة والتقاليد السريانية. ويقدر مجموع عدد انفس اتباعها بنحو اربعة ملايين من المقيمين في اوطانهم الاصلية، عدا الملايين الاخرين المشتتين في سائر انحاء العالم. وحيث ان هذه الامة بطوائفها وكنائسها ما زالت تسير وتدور حول الدائرة الزمنية فانه ليس من الممكن معرفة كم من الزمن ستحتاج لتكميل سيرها والوصول الى نقطة نهاية

الدورة، او الى نقطة الانفصال عندما بدأت سيرها في المرحلة الاولى. ولا بالمستطاع ان نعرف بالتمام الى ما ستؤول اليه من الانظمة المقبلة لكونها الان في حالة التطور نحو نهضة ثقافية حديثة ملائمة لروح هذه العصور الحديثة او التطورات الزمنيــة في الشرق الاوسط، وهي تسير منقادة بمفعول ادارة او حكم الدول المحلية.

وبالنظر الى الوضع الحاضر فان الامة السريانية الحالية المكونة من هذه الطوائف الخمس ما زالت تُعد امة حية خالدة، رغم فقدانها سلطتها وحريتها الزمنية للغير وذلك لاحتفاظها بميزاتها الخاصة مثل : إحياء لغتها وثقافتها السريانية، وتقاليدها المتداولة بين اقوامها العديدة، ومتابعة مسيرتهــا الثقافية بقوة الاعمال الفاضلة بزعامة وارشاد السلطات الروحية، ورؤساء الدين الذين يقومون بمثابة زعامة اليشوخ، التي كانت للقبائل والعشائر السريانية البدائية اثناء المرحلة الاولى.

ومع كل ذلك فقد نرى ان هذه الامــة الخالدة بعد مسيرة طويلة الامد في مضمار الحــياة دامت اكثر من عشرة الاف سنة ما زالت تتابع باستمرار في سيرها حول الدائرة الزمنية، وهي تتمتع برقي مدني عظيم وتقدم ثقافي جليل، بواسطتهما خدمت وتخدم البشرية التي انتشلتها من حضيض حياة الهمجية والبستها ثوب الحياة المدنية وسيّرتها بانظمة حياة اجتماعية صالحة وبالنظر لهذا الوضع الحالي يظهر انها عَلَى استعداد لاعادة سيرها ثانية حول الحلقة او الــدائرة الزمنية، وهي مســلحة بمعنوياتها الادبية، ومدججة بامكانياتها الثقافية التي بها تتميز وتفوق كثيرا عن حالة انظمة بدء حياة تلك العشائر والقبائل السريانية البدائية، المشار اليهــا في المرحلة الاولى والتي كانت قد اصبحت نقطة الانطلاق الاولى نحو

تكوين الامة السريانية وسيرها في مضمار الحياة. ذلك لكون الامة السريانية الحالية مدعومة بنهضة ثقافية واسعة وضافية ذات معاهد ومجتمعات مدنية راقية، تتحد فيها من جديد جهود كل الطوائف والعناصر السريانية روحياً ومعنويا بزعامة ائمة ورؤساء حركة النهضة الثقافية السريانية العامة مستعينة بالدول العربية كالعراق وسوريا ولبنان والاردن، تاركة للتاريخ ذكر الاسماء والالقاب الطائفية، كالنسطورية والملكية واليعقوبية، وغيرها من النعوت والتسميات التي الحقها بالامة، المتخاصمون والخوارج اثناء سيرها في مرحلتيها الاخيرتين.

واخيراً، اذا تأملنا في حالة الامة السريانية اثناء حياتها في مدى الثلاثة مراحل الاولى الممتدة منذ نحو الالف العاشر والى سنة ٥٢٨ قم وقابلناها بحالتها اثناء المرحلتين الاخيرتين الممتدتين من سنة ٥٢٨ قم والى هذا القرن العشريني، نجد ان حياة الامة السريانية في مدى الثلاثة مراحل الاولى، كانت حافلة باستنباط وايجاد العلوم والمعارف والفنون وتركيز انظمتها الاجتماعية والمدنية عَلَى نواميس وانظمة دينية الاهية بها حققت حياة اجتماعية راقية وصالحة لها وللعالم القديم اجمع، وبها امنت دوام سير البشرية في تطوراتها المدنية بواسطة ثقافتها، وغير ذلك من الوسائل الهامة، وخاصة باستنباط فنون الكتابة والخطوط المتنوعة التي منها كانت الكتابة الصورية او الرمزية والاسفينية، وثم الاحرف الابجدية او الهجائية المستنبطة كلها من حكمة السريان، والتي اصبحت بمثابة كنز او خزانة ثمينة، بل وموردا ومنهلاً للحكمة البشرية ومدنيتها والتي لولاها لبقيت البشرية حتى الان رازحة تحت وطأة ثقل الحياة الفطرية او الغريزية وغيرها من الاوضاع المبهمة والمجهولة.

وايضا في المدة الاخيرة المبنية في المرحلتين الاخيرتين لحياة الامة والممتدة منذ نحو سنة ٥٢٨ قم والى القرن العشريني الحالي، وهي مدة تناهز الخمس وعشرين قرنا، فيها فقدت الامة السريانية حريتها الزمنية وحرية اوطانها للخوارج والاغراب، وانحدرت اولا الى مستوى نظام الدويلات السريانية الارامية وثم الى مستوى نظام الطوائف والكنائس السريانية. نجد ان هذه الامه كانت في هذه المدة الاخيرة بسبب وضعها الاخير قد حولت كل اهتمامها لمداومة تثقيف العالم عن طريق التهذيب الديني وتأديب سيرة الانسان بالفضائل الحسنة، وذلك بواسطة النظريات والعقائد الدالة عَلَى الايمان بالله تعالى ومحبة القريب الذي هو صنيعة الله عز وجل، لتأمين انظمة حياة اجتماعية صالحة لكل البشر يتساوى فيها الحاكم والمحكوم. كل ذلك لاجل تسلح كل الناس بالفضائل الحسنة والسيرة الصالحة، للقضاء عَلَى شر وحشية الانسان، وسوء معاملته لاخيه الانسان ليتسنى لكل البشر حياة احتماعية فاضلة وامنة، ومدنية هنيئة يتساوى بها الجميع ويتمتعون بحرارة المحبة البشرية المقرونة بمخافة الله المشمولة بالمحبة الالهية. ونظرا لوجود السريان تحت نير الخوارج، اثناء المدة الاخيرة المشار اليها. فلقد كان معظم انشغالهم بالروحيات الى ان توفقوا الى تحقيق تلك الامنيات واهدافها ومقاصدها الصالحة، بها احيوا عقائد محبة القريب او محبة البشرية التي كانت مكنونة في ثنايا ثقافة اديان ابائهم واجدادهم القدامى منذ الوف السنين، والتي كانت معروفة بين ناطقي اللغة السريانية باسم سوريوتا، والتي منها تولدت العقيدة النصرانية وأعطيت للعالم بواسطة يسوع الناصري واتباعه

الجليليين الذين كانوا ابنا الثقافة السريـانية وناطقي اللغة الارامية او السريانية٠

وختاما نرى ايضا ان الامة السريـانية الحالية بطوائفهـا المتعددة والناضجة دينيا ومدنيا وثقافيا، مـا زالت مستمرة في إكمال سيرها حول الدائرة الزمنية وهي متمسكة بروابط محبة القريب المشمولة بمحبة الله، مع المحافظة على علاقاتها وقرابتها العنصرية وكيانهـا السرياني، عن طريق التفاهم فيما بينها بالاتكال عَلَى قوة ثقافة اللغة السريانية الخالدة، وممارسة العوائد والتقاليد الموروثة عن عقائد واديان السريان القدامى، الدالة عَلَى حفظ العلاقات وممارسة المعاملات الحسنة مع كافة ابناء البشرية دون تمييز بين عنصر او لون، او جنس او عقيدة، التي عليها يتوقف تأمين سلامة البشرية ومدنيتها، والتي منذ البدء كانت تهدف اليها غايـة الثقافة السريانية ومجهوداتها٠ وقد اوشكت ان تصل الامـة الى اخر مرحلتها الاخيرة وبلوغها الى نقطة انفصالها في المرحلـة الاولى، لاعادة سيرها ثانية حول الدائرة الزمنية٠ وهي بانظمتها الطائفية التي بـدأت تلتئم وتتحد في اوطانها الاصليـة بشكل انظمة أخرى عتيدة لا يعلمهـا الا المستقبل، متذكرين بان التاريخ يعيد نفسه، كما اعاده في عدة مناسبات من حياة الامة، إبان سيرها الطويل في مضمار الحياة، وفيه تغلبت عَلَى معظم الصعوبات الزمنية التي مرت بها الى ان دخلت في حيـاة الخلود بكثرة انتاجها العلمي والثقافي، الذي به يمكنها ان تداوم وتتابع سيرها ثانية حول دورتها الزمنية في مضمار حياة الانتاج المدني الصالح لها وللبشرية جمعاء، ومدنيتها ابد الدهر، لعلمنا بان الامة السريـانية لـم تمت ولن

تموت . بل ستتطور من حال الى حال، كما في السابق، والله اعلم بالمستقبل

واخيرا لدى ختام الكلام عن الامة السريانية اريد ان ألفت نظر قراء هذه المقالات الى اقاويل حزقيال النبي، شاهد عيان عظمة السريان، في الاصحاح الحادي والثلاثين ٣ـ٩ من النسخ والتراجيم السريانية، حيث يهدد بالخراب فرعون ملك مصر وجمهوره، ويمدح عن استحقاق عظمة اسور، الذي من حيث التشبيه، يفوّقه عَلَى ارز لبنان، او الارز في جنة الله، ويصفه بكلام ثناء وتبجيل يفوق جميع مدح الانبياء حتى لشعب الله الخاص اذ يقول :

هوذا اسور اعلى من الارز في لبنان، جميل الاغصان، واغبى الظل، وقامته طويلة، وكان فرعه بين الغيوم . وقد عظمته المياه، ورفعه الغمر، انهاره جرت من حول مغرسه، وارسلت جداولها الى كل اشجار الحقل . فلذلك ارتفعت قامته عَلَى جميع اشجار الحقل، وكثرت اغصانه وطالت فروعه لكثرة المياه اذ نبت . وعششت في اغصانه كل طيور السماء، وتحت فروعه ولدت كل حيوان البر، وسكنت تحت ظله كل الامم العظيمة . فكان جميلا في عظمته، وفي طول قضبانه، لان اصله كان عَلَى مياه كثيرة . الارز في جنة الله لم يفقه، السرد لم يشبه اغصانه، والدلب لم يكن مثل فروعه . كل الاشجار في جنة الله لم تشبهه في حسنه . جعلته جميلا بكثرة قضبانه، حتى حسدته كل اشجار عدن التي في جنة الله . (حزقيال ٣١ : ٣ـ٩) .

ولهذه الاسباب كلها، والاوضاع الحسنة والمثالية، التي كان قد وصل اليها الشعب السرياني او الاشوري، في العصور القديمة، كما تشير الكتب الدينية المقدسة، يظهر ان الله عز وجل جلاله، كان قد اتخذه اداة

ووسيلة تأديب شعبه الخاص· كلما شذ في سيره عن اوامره السامية ونواميسه المستقيمة، ذلك لان السريان بسبب تقدم مدنيتهم المثالية، وتفوق ثقافتهم الممتازة كانوا كمنارة للعالم، ومثل «الصديق الذي كالنخلة يزهو، وكالارز في لبنان ينمو، ويثمر حتى في الشيبة» او كالشجرة المغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمارها في اوانه، وورقها لا يذبل، وكلما يصنعه ينجح» (مزامير ١ : ١ـ٣ و ٩٢ : ١٢ـ١٤)·

وحتى الان وفي اثناء شيبتها فان الامة السريانية المكونة من الخمس طوايف المذكورة انفا، والمنتشرة معظمها حاليا بين الخمس دول العربية الحديثة (العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين)، ما زالت تنمو وتثمر وتعطي ثمارها الثقافية حتى في شيبتها الحالية بين شعوب هذه الدول، كما اشار لذلك انبياء الله في ارشاداتهم واقاويلهم الرمزية الملهمة من الله تعالى·

—— انتهى ——

صورة الاله آشو او اسور

مصادر الكتاب

لم يكن بامكاني تهيئة قائمة حقيقية شاملة وحاوية لذكر جميع اسماء المصادر والموارد المستقاة منها محتويات هذا الكتاب، حسب المتطلبات العصرية، ذلك لكثرتها ولبعد اماكن وجودها، وطول الزمن لتكوين الاستنتاجات التاريخية المدرجة، الى ان اصبح معظمها بعيدة المنال للاطلاع وذكرها، منذ ان تكونت الاراء التاريخية في مواضيع الكتاب التي اوجدتها من النظر والمطالعة في الاف الكتب والمؤلفات، بانواع اللغات السامية والغير السامية، الدالة عَلَى تطورات الثقافة والمدنية والاديان السريانية، ركن الاديان الالهية والمدنية العالمية.

لهذه الاسباب وغيرها، لقد حاولت وثبت هنا، بقدر الامكان، ما تذكرته عن المواضيع المبتغاة بشكل مقالات او بحوث تاريخية اعددتها لاطلاع القراء معتمدا بالطبع عَلَى ما اوحته الي الذاكرة مما استوعبته منذ امد من مطالعة الكثير من الكتب الدينية، والقواميس اللغوية، والدواوين العلمية، وتصانيف المستشرقين، الغربيين والشرقيين، التي لا تعد ولا تحصى، والتي كانت قد صارت لي عونا للتأمل والمقارنة، والتروي والاستنتاج للادلاء بما جاء هنا من بينات تاريخية موجزة عن اوضاع الامة السريانية، ومراحل تطوراتها اثناء الوف السنين، والنتائج الحاصلة لاجل اظهار مفعول حياتها الفضائلية، وعظمة تضحيتها وجهادها المتواصل في سبيل مدنيتها التي عليها وضعت واقامت بنجاج اركان انظمة المدنية

العالمية، واوجدت بل وحققت اساليب حياة اجتماعية صالحة لها وللبشرية مما سبب لها دوام سيرها في طريق الخلود مع البشرية ومدنيتها حتى الان. لا شك ان المحيط السرياني وتقاليده المتوارثة، الذي لا يمكن حصره بين قوائم وطيات الكتب، والذي فيه ولدت ونشأت، صار ايضا لي عونا اخر لاظهار بعض البينات التاريخية المدرجة في هذا الكتاب. فلو انني حاولت وهيأت القائمة المعنية بكاملها لذكر جميع اسماء وعناوين المصادر والموارد، البعيدة معظمها عن منالي، لكلفني ذلك عناء ومشقة وتحبير اعداد كثيرة من الصفحات قد تفوق عدد صفحات هذا الكتاب وتكاليفه الباهظة مما لا طائل تحته. فلهذه الاسباب اعتذر للقراء الكرام معلنا بان ما بينته هنا جاء عَلَى نسق تآليف الكتاب القدماء، وبشكل مقالات او مواعظ اعتدت ان القيها عَلَى مسامع الحاضرين في مجتمعاتنا العائلية والطائفية عَلَى وزن «من له اذنان للسمع فليسمع»، وان شئتم «اسمعوا وعوا».

المؤلف

سان باولو ـ البرازيل ـ آذار سنة ١٩٧٩

SOWMY, Gabriel Ibrahim, 1913

QUITÁB AL-MAKALÁT FIL-UMAT AS-SIRIÁNIAT, estudo sobre o Povo Siríaco, em árabe, Editora Comercial Safady Ltda., São Paulo, 1979.

276 páginas de 20,5x14, com ilustrações

Endereço do autor:
Caixa Postal, 5946 - São Paulo, Brasil

تصليح الاغلاط

الصفحة	السطر	الغلط	التصحيح
١٢	١٦	اسور	آسر
٢٠	٦	وترجمته	وترجمتها
٢٠	١٢	وبالعورة	وبالعودة
٢٩	١٠	والقديمة	القديمة
٢٩	٢١	والمتعددة	المتعددة
٣٥	١٠	اطوار	اطورا
٣٥	٢٠	اجتي	اجبتي
٣٧	١٣	المتآخين	المتاخين
٤٠	٢	دعمت	وعمّت
٤١	٨	اسّريبيان	اسّريان
٤٨	٢٠	تهدي	تهتدي
٥٧	٩	عشر	عشرة
٧٦	٢٠	الاربع	الاربعة
٨٩	١٦	تفجرت	تفجرت في
٩٠	٩	يها	اليها
٩٢	٩	بابل	بال
٩٩	١٤	اسماء	اسماءاً
١٠٠	٥	ومجدهن	مجدهن
١٢٣	١٠	الطوفان	الطوافين
١٢٣	١٩	وغيرها	وغيرهما
١٢٤	٣	مع	——
١٣٤	١٤	احياء	احياءاً
١٣٨	٣	وافسكشار	وارفكشار
١٣٩	١٢	نبوبل آشر	نبوبل آسر
١٣٩	١٣	ونبونيدس	ونبوتيدس
١٤١	٢١	دولا	دول
١٥٠	١٣	المنتظرة	المنظورة
١٦٥	٧	السليمة	السلمية
١٦٧	١٨	صالا	اصلا
١٧٦	٢٢	التكميل في الصفحة اللاحقة	
١٨١	٦	وانظتهم	وانظمتهم
١٨٣	١٣	اللتي	اللتين
١٨٣	١٤	سبا	سبتا
١٨٧	٤	الولايات	الولاة
١٨٧	١٢	المنفصون	المنفصلون
١٨٧	١٢	وذويهم	——
١٨٨	٢٠	الامية	الارامية
١٩٠	١٧	الحياة	حياة
١٩٢	١	قبلما	قبل
١٩٧	٣	وثم	وتمّ
١٩٨	٤	اثر	اثراً
١٩٨	٢٠	النزعات	النزاعات
٢٠٥	١	وانحلت	انحلت
٢١٣	٢	متعرضت	فتعرّضت
٢١٣	١٦	والمثقين	والمثقفين
٢١٨	٧	التسميه	التسميوية
٢١٩	١٥	عشر	
٢٢١	١٤	سومر او اكاد	سومر واكاد
٢٢٣	١	تضعف	للضعف
٢٢٧	١٨	وتم	وثم
٢٢٨	١٣	لتقديم	لتقدم
٢٣٦	١٩	ولعثمانيين	والعثمانيين
٢٤١	٨	الاخرى	الآخرين
٢٤١	١٧	وايرن	وايران
٢٤٤	٦	الدلة	الدولة
٢٤٤	١٥	الاصطرابية	الاضطرابية
٢٤٧	٢	العرب	والعرب
٢٤٧	٥	القرآنية	القرآنية
٢٤٧	٦	خير	خيراً
٢٤٧	١٠	الطوئف	الطوائف
٢٤٨	١٣	فرام سين	نرام سين
٢٥٢	٦	تعرف	عرفت
٢٥٣	١	واما	وما
٢٥٣	١٣	اجزاء	اجزاءاً
٢٥٥	٨	امل	وامل
٢٦٥	٦	التسموي	التسميوي
٢٦٥	١٣	الارمية	الارامية
٢٧٢	٢٢	آشو	آشور
٢٥٩	١٧	ومعناة نور نور القمر	(الصحيح) ومعناه نور القمر

ابراهيم كبرائيل صومي

كتاب المقالات

في

الامة السريانية

مطبعة صفدي التجارية
بهمة جميل صفدي

سان باولو ـ البرازيل

١٩٧٩